نثر الخواطر



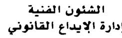
تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

نشر الخواطر

دار الكتب والوثائق القومية



الشئون الفنية
إدارة الإيداع القانوني

عنوان المصنف: نثر الخواطر

تأليف: أحمد بن ناصر الطيار

رقم الإيداع: ١٧٩٤/ ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: ٢-٠٨٥-٨٠٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق

الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/ ٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩

البريد الالكتروني: d.alhijaz@gmail.com

نثر الخواطر

تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء



المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد**:

فلقد كان خاطري ينشط ومشاعري تتفاعل في كثير من المواقف والأزمات الخاصة والعامة، فكنت أدوّن هذه الخواطر، وكنت خلال قراءتي للكتب المتنوعة أقف على عبارات نافعة مؤثرة، فأبادر إلى نشرها والتعليق عليها في كثير من الأحيان.

وقد وجدت صعوبة بالغة في صياغة بعضها، حتى إني أحيانا أكتب وأمسح وأعدل وأضيف عدة مرات في الخاطرة الواحدة، وأجد أحيانًا صعوبة ومشقة في اختصار ما أريد كتابته أو نقله.

وإليك أخي القارئ وأختي القارئة هذه الخواطر والنقولات المتناثرة، التي تناثرت من خاطري في أوقات مختلفة، وأزمان طويلة، ومواقف متباينة.

وقد راجعتها وتوسعت في كثير منها، وزدت في التفصيل اليسير، وعدلت الأخطاء الإملائية والنحوية، وسمَّيتُها **(نَثْرُ الْخَوَاطِرِ)**[١]

---

(١) النّثْر: إلقاء الشيء ورميُه متفرّقًا.
والخواطر: جمع خاطر، وهي الأفكار التي ترد على الضمائر.

ومع أنّ أصل مادة الكتاب خواطر إلا أنني أضفت إليه كثيرًا من كلام أهل العلم والفضل، وبعضَ الأحكام والفتاوى والبحوث اليسيرة.

وأول خاطرة كتبتها كانت في تاريخ: ١٩/ ٤/ ١٤٢٦هـ.

وآخر خاطرة دوّنتها في هذا الكتاب كانت في تاريخ: ١١/ ٢/ ١٤٤٤هـ.

أي أني أمضيت قرابة ثمانية عشر عامًا في تقييد هذه الخواطر والنقولات.

أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه، ومقربًا إليه، ونافعًا لعباده، إنه سميع قريب مجيب.

وأتقدم بالشكر الجزيل لدار الحجاز، التي رأيت منها التعامل الحسن، والأمانة والإتقان، وهي تقوم بدور كبير في نشر ما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم، ويعتنون بالكتب التي تقوم على منهج السلف الصالح.

وأشكر كلّ من ساهم في مراجعة هذا الكتاب من المشايخ والأصدقاء الفضلاء الأوفياء، فجزاهم الله خيرًا وبارك فيهم.

أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع
عبد الله بن نوفل بالزلفي
والداعي إلى الله في وزارة الشؤون الإسلامية
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦
١١/٢/١٤٤٤

الرقائق وصلاح القلوب

۞ والله لن تجد طعم السّعادة والراحة والطمأنينة إلا إذا اطْمأنّ قلبُك وانْشرح.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب لا يَصلح ولا يُفلح ولا يلْتذ ولا يُسرُّ ولا يَطيب ولا يَسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبّه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلْتذ به».

قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾؛ أي: بتوحيده، وتعظيمه، ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وخشيته على الدوام.

۞ كم من إنسان قد امتلأ قلبه بحب الله والشوق إلى لقائه وجنته.

يعيش معنا ببدنه، وقلبه مع ربه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله سبحانه يحب رسله وعباده المؤمنين ويحبونه، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا أشوق إليهم من لقائه، ولا أقر لعيونهم من رؤيته، ولا أحظى عندهم من قربه). طريق الهجرتين (ص٣٢٤)

۞ كلما عظم رجاؤك عظم حبك لربك، وكلما عظم حبك عظم شوقك للقائه وأنسك به، فحينها تدخل جنة الدنيا، التي من دخلها دخل جنة الآخرة بإذن الله الرحيم الودود.

۞ أبشر يا مَن وقعت بمعصية الله بعد أن ذقت حلاوة طاعته..

فلعله ابتلاك بهذا الذنب ليذيقك ألم الحجاب والبعد، ليكمل لك نعمته بعظيم فرحك وسرورك إذا أقبلت إليه.

فيكون التذاذك وفرحك في ذلك ـ بعد أن صدر منك ما صدر ـ بمنزلة التذاذ وفرح الظمآن بالماء الزلال، والمريض بالعافية.

أبشر ثم أبشر.

۞ إنك تتعاهد بدنك دائمًا، فتزيل عنه الروائح الكريهة وتقص شعرك وتقلم أظفارك، وتجمله باللباس الجميل والرائحة الزكية، وإن لم تفعل ذلك قبح وفسد وكرهك الناس وعابوا منظرك ورائحتك.

لكن أين حظّ قلبك من هذا التعاهد؟

تفقّده دائمًا وأبدًا، وابحث عن عيوبه ـ وما أكثرها ـ فأزلها، وعما يجمّله ويُصلحه فحصّله.

۞ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كمائن القلوب تظهر عند المحن.اهـ.

فأمراض القلوب لا تظهر إلا عند المحن، فلا تغترّ بنفسك ولا بأحد حتى تهب رياح المحن فتكشف الخبايا.

۞ إنّ عباداتك وطاعاتك ليست دليلا كافيًا على قوة إيمانك وصدقك وصلاح قلبك..

وإنما الدليل الواضح: إذا أَلَمّت بك شدة أو انفتحت عليك الدنيا فانظر إلى قلبك أين يكون؟

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله ما أعتمد على أني مؤمن بصلاتي وصومي، بل أعتمد إذا رأيت قلبي في الشدائد يفزع إليه، وشكري لما أنعم علي».

❁ إذا كان النبي ﷺ لو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألّف بين قلوب أصحابه!

فهل يُمكن لغيره أن يُؤلف بين القلوب ويزرع المحبة بغير نور الإسلام والدين؟

❁ **طغيانُ قلمِ ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

استطرد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث عن مسألة، فتكلّم بكلام عجيب قد لا يكون طَرَق مسامعك، ولا خطر على قلبك، وربما لو سمعتَه من غيره لأنْكرتَه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **عمارة الوقت**: الاشتغال في جميع آنائه بما يُقربه إلى الله أو يُعين على ذلك من مأكل أو مشرب أو منام أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يُسخطه كانت من عمارة الوقت، وإن كان فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات.

فالمحب الصادق: ربما كان سيره القلبي في حال أكله وشربه وراحته: أقوى من سيره البدني في بعض الأحيان.

ولهذا سببٌ صحيح، وهو اجتماع قوى النفس وعدمُ التفاتها حينئذٍ إلى شيءٍ، مع ما يحصل لها من السُّرور والفرح واللذة، والسُّرورُ يذكِّر بالسُّرور، واللذَّة تذكِّر باللّذّة، فتنهض الرُّوح من تلك الفرحة واللذَّة إلى ما لا نسبة بينها وبينها بتلك الجمعيَّة والقوَّة والنشاط وقطعِ أسباب الالتفات، فيورثه ذلك حالًا عجيبةً.

ولا تعجل بالإنكار، وانظر إلى قلبك عند هجوم أعظم محبوب له عليك في هذه الحال كيف تراه؟ فكهذا حال غيرك.

ولا ريب أنَّ النفس إذا نالت حظًّا صالحًا من الدُّنيا قويت به وسرَّت، واستجمعت قواها وجمعيَّتها، وزال تشتُّتها.

اللهم غَفرًا، فقد طغى القلم وزاد الكلم. ا.هـ.

[مدارج السالكين ٢/ ٢٣١]

ما أجمل طغيان قلمه، وزيادة كلمِه، التي جاءتنا بهذه الفائدة النفيسة العجيبة الغريبة، والتي قد لا يتصور حدوثها أحد، ولا يستوعبها إلا من فهم مقصود الشريعة ووقف على روحها وأسرارها.

فالسير إلى الله تعالى لا يُقطع بكثرة عمل، ولا بترك وهجر كلّ محبوب وشهوة، بل يُقطع بالصِّدْق مع الله، وطلبِ مرضاته، والتمسك بشرعه، ولو كان فيه ما هو محبوب إلى النفس وميل إلى شهوَتها ورغبتها، فالشهوة قد لا تكون مقصودةً لذاتها، بل لما يترتب عليها من المصالح وسكون النفس؛ لتتفرغ للطاعات وتنشط لها..

ولا تظنّ أنّ الزهد فيما أباحه الله من النعم والملذات أفضل من التزود بها واستعمالها دائمًا، بل الصواب ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه إن شغلته هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله عن الله وكان شاكرًا لله فيها: فحاله أفضل، والله يحب أن يَرى أثر نعمته على عبده، فشكرُه على نعمه، والاستعانةُ بها على طاعته، واتخاذُها طريقًا إلى جنَّته أفضل من الزهد فيها، والتخلي عنها، ومجانبة أسبابها.

والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها.

[مدارج السالكين ٢/ ١٧]

وبعد هذا: ستعرف **ما هي العبادة التي ينبغي أن تلزمها وتُواظب عليها.**

وهي العبادة التي تجد نفسك تخشع وتنشط فيها، ويزداد إيمانك فيها، فإن كانت في قراءة القرآن فالزمه، وإن كانت في الصلاة فأكثر منها، وإن كانت في الصوم فواظب عليه، وإن كانت في الذكر فلا يفتر لسانك منه، وإن كانت في نفع الآخرين فازداد نفعًا لهم.

واحذر ـ أخي المسلم وأختي المسلمة ـ من مداخل الشيطان في العبادة؛ كأن يزين لك القيام بعبادة لا تنشط فيها، وتكون سببًا في تضييع عبادات أحبّ إلى الله منها، كالصوم، فبعض الناس إذا صام النوافل أُصيب بالكسل والخمول، وفتر عن عباداتٍ أخرى يعملها وينشط فيها إذا لم يكن صائمًا.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ من كيد الشيطان أنه يشغَلُ المسلم بالعمل المفضول عما هو أفضل مه، ليزيحَ عنه الفضيلة، ويفوّته ثواب العمل الفاضل، فيأمرُهُ بفعل الخير المفضول، ويحضُّه عليه، ويحسّنه له، إذا تضمَّن ترك ما هو أفضل وأعلى منه.

وقلَّ من يَتنْبَّهُ لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًّا ومحرِّكًا إلى نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربة، فإنه لا يكادُ يقول: إن هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمرُ بخير، ويرى أن هذا خيرٌ، فيقول: هذا الداعي من الله.

وهو معذورٌ، ولم يصلْ علمُه إلى أن الشيطان يأمره بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما لِيَتَوَصَّلَ بها إلى باب واحد من الشَّرِّ، وإما لِيُفَوِّتَ بها خيرًا أعظمَ من تلك السبعين بابًا وأجلَّ وأفضلَ.

وهذا لا يتوصلُ إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفهُ في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ وشدَّة عنايته بمراتب الأعمال عند الله

وأحبها إليه وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحةً لله تعالى ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصَّتهم وعامَّتهم، ولا يعرفُ هذا إلا مَن كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة وخلفائه في الأرض، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك فلا يخطر بقلوبهم، والله تعالى يمن بفضله على من يشاء من عباده. [بدائع الفوائد ٢/ ٨٠١]

۞ **[جواب عجيب!]:** سُئل أحد العلماء الصالحين: ما أقرب ما يُتَقرب به إلى الله، قال: أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

۞ احذر تَقَلُّب قلبك حينما تُقَلِّب مواقع التواصل والفتن، فقد كان أكثر يمين النبي ﷺ: «**لا ومُقَلِّبِ القُلُوبِ**»، ومن أكثر دعائه: «**يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك**».

۞ لن تبلغ درجة عالية في الإيمان ولن تَنْعم بسلامة القلب: حتى تحب لإخوانك وأقرانك وأصحابك وطلابك وعموم المسلمين ما تحبه لنفسك، ويسُرُّك ترقّيهم في العلم والعبادة والدنيا والذكر الحسن.

۞ هل تعلم ـ أيها المؤمن ـ أنّ الله تعالى قدَّم حُرمتَك على حُرمته تبارك وتعالى حين أباح لك أن تقول ما يكرهه حفاظًا على نفسك، وعصم عِرضك فشرع الحدّ على من قذفك، وعصم مالك بقطع يد من سرقك، وأباح لك الميتة سدًّا لجوعك عند الاضطرار، ونهاك عمّا يضرك رحمةً بك، وأنزل الكتاب إليك هدايةً لك، ونورًا تستضيء به؟

فلا يليق بك ـ مع هذا الإكرام ـ أن تعصيه.

ألا تراه يُكْرمك وهو الكبير المتعال، وتستهين به وأنت الضعيف المسكين؟

۞ القلب مثل الزجاجة الملساء، يعلق بها الغبار اليسير الذي تسهل إزالته في أيّ وقت، ويعلق بها الطين فتسهل إزالته قبل يبسه، وإذا تُرك زمنًا طويلًا يبس فصعب زواله، وعسر تخليصه منها، وربما استحال ذلك إلا بكسرها.

وكذلك القلب، تعلق به الغفلة والتعلق اليسير بالدنيا، فيسهل زوال هذه الغفلة وهذا التعلق، بسماع أو قراءة آية أو حديث.

وإذا علق بالقلب شهوة أو شبهة قوية، كتعلق الرجل بصور الفاتنات والمغنيات، أو تعلق المرأة بصور الشباب وحبهم، أو بالمغنين والممثلين الضالين: فحينئذ ترِينُ هذه الذنوب الخطيرة على القلب وتغطيه شيئًا فشيئًا، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتنقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقًّا، والحق باطلًا، وهذا من بعض عقوبات الذنوب.

ويصعب ويشق حينئذ زوال هذه الآفات عن القلب، فلا المواعظ تنفعه، ولا الآيات والأحاديث تفيده.

فبادر بالتوبة من كل ذنوبك، وتخلَّص من أمراض قلبك، قبل أن يُطمس ويُختَم عليه، ولا تفيق من غفلتك إلى حين مماتك فتندم والله ولا ينفعك الندم، وتتمنى الإمهال ولكن هيهات هيهات.

۞ كلّنا يَسْبَحُ..

فمنّا مَن يسبح في نهرٍ عذبٍ نظيف آمن، وهو نهر الدِّين، المليء بالأنس والأمن والعزة والبركة وصفاء الذهن، فيكون همّه وحياته وعمله لأجل دينه، فهو في جنة مُعَجَّلة، ثم ينتقل بعد موته إلى الجنة الكبرى.

ومنّا مَن يسبح في نهرٍ آسنٍ قذر خطير، وهو نهر الدنيا، المليء بالشقاء والخوف والذلة وقلة التوفيق وتشتت الذهن، فيكون همّه وحياته

وعمله لأجل دنياه، فهو في جحيمٍ مُعَجَّل، ثم ينتقل بعد موته إلى الجحيم الأكبر.

فمادمت سابحًا ـ يا أخي الكريم ـ فاسبح في نهر الدّين، الذي لن تخرج منه إلا نظيفًا سعيدًا رابحًا.

۞ **عبرة وعظة في سلامة القلب:** حصل خلاف بين الشيخ ابن سعدي وقاضي عنيزة ـ رَحمهما الله ـ، فحاول القاضي عزله عن إمامة وخطابة الجامع، لكنه فشل في محاولته، ثم انتقل القاضي إلى الرياض، وتوفي هناك، فعلم بوفاته الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلى عليه صلاة الغائب!

صفاء القلب من الحقد والحسد كرامة وهبة من الله، فاطلبها منه.

۞ **أعرف من يقول:** «من فضل الله عليّ أني حينما أسمع أحدًا شتمني أو أخطأ عليّ أبادر إلى:

١ ـ الدعاء له.

٢ ـ كسر شهوة نفسي في الانتقام.

٣ ـ إرغام قلبي على العفو والتماس العذر له.

٤ ـ إغاظة الشيطان الذي سلطه علي.

ثم أسعى إلى مكالمته أو المجيء إليه لأُذهب ما في صدره علي.

ولو علم الناس ما يقذفه الله في قلبي من الأنس والانشراح والسعادة واللذة في فعلي هذا لَتسابقوا إلى مثل ذلك».

القلوب الطاهرة من الأحقاد في سعادة وهناء.

۞ من أراد صلاح قلبه واستقامة دينه: فليبتعد عن طلب الشهرة، وليعمل لله في الخفاء ما استطاع، قال النبي ﷺ: «**إنّ الله يحب العبد**

التقي الغني الخفي»، فابحث عن الشيء الذي يكون سببًا في حبّ الله لك.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]: أخفى القوم أعمالًا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

۞ تذكر الموت وما بعده على الدوام من أعظم أسباب صلاح القلب:

قيل لبعض العلماء ـ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى ـ: فلان يتكلم فيك؛ فقال: مَثَلَي ومَثَلُه كمثل رجل حُمل لضرب عنقه، فقذفه رجل في الطريق فقال لنفسه: أنت تُحمل للقتل تَسأل عمن يقذفك، وأنا سائر إلى الموت لا أدري متى يأتيني أسأل عمن يتكلم فيّ؟ فيْ الموت ما يشغلني عن ذلك.

۞ إذا حلّ الأنسُ بالله تعالى في القلب استنار وانشرح، وملئ نورًا وفرحًا، حتى لا يأنس إلا بالله، وأسعدُ لحظاته الخلوة بالله، فحينها تنقلب المحن في حقِّه إلى منح، والمصائبُ إلى مكاسب، ولا يلم شعث القلوب شيء غير الإقبال على الله والإعراض عما سواه، فهناك يلَمّ شعثه، ويزول كدره، ويجد روح الحياة.

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن علم السلوك والرقائق وصلاح القلب وطهارته: فوائد العلم بهذا الشأن لا تنحصر، فلا ينبغي أن تصغي إلى من يثبطك عنه ويقول: إنه لا ينفع، بل احذره واستعن بالله ولا تعجز، ولكن لا تغتر، وَفرْقٌ بين العلم والحال، وإياك أن تظن أن بمجرد علم هذا الشأن قد صرت من أهله.

۞ من أعظم أسباب صحة قلبك وإيمانك وتوفيقك كثرة تذكر

الآخرة؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القلب لا يزال مشتتًا مضيَّعا حتى يرحل من الدنيا وينزل في الآخرة، فإذا نزل فيها أقبلت إليه وفود التوفيق والعناية من كل جهة، وما لم يترحل إلى الآخرة ويحضرها فالتعب والعناء والتشتت والكسل والبطالة لازمة له لا محالة.

۞ **نصيحتي لك:**

اعتن بصلاح قلبك واحفظ لسانك، وأكثر من العبادة والقراءة خاصة كتاب الله.

ولا تدخل في أي نقاش في أمور الأمة العامة.

وعليك بالدعاء لك وللمسلمين بصدق وتضرع.

ولا تتابع الأخبار التي فيها ذكر المصائب.

وادع إلى ربك برفق ولين، في حدود ما يسمح به نظام بلدك، ومجالات الدعوة كثيرة جدًا.

۞ بعد أن ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال الأبرار مع الله قال: وأَسفاه وواحسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفد العمر، والقلب محجوب ما شمّ لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزًا وموته كمدًا، ومَعَادُه حسرةً وأسفًا.

۞ كم من هالك بثناء الناس عليه، وكم من مغرور بستر الله عليه، وكم من مستدَرج بإحسان الله إليه، نعوذ بالله من حجاب الغفلة الذي يحجب الحق أن يدخل إلى القلب، ويحجب القلب عن فهم الحق لو دخل إليه، ويمنعه من العمل به لو فهمه، وقد أكثر الله من ذمّ الغفلة.

وعلاجه: بذكر الله بالقلب واللسان.

۞ كان رجل يطيل النقاش والجدال مع الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ الله في كتاباته القديمة، ولا يصدّق أنه رجع عن كثير منها، فقال له الشيخ: اكتب رسالة ترد بها عليّ! فتعجب الرجل وقال: ألا تغضب؟ قال: لا، فكتب رسالة طُبعت ووُزّعت. [الذكريات ٨/ ٢٢٩]

هكذا تكون النفوس الطاهرة، التي هدفها الحق فتخلصت من حظوظ النفس وأمراض القلب.

۞ إذا خلا القلب من التعلق بغير الله استقبل آياته بحب ويقين فازداد نورًا وإيمانًا، كحال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه لما رأى ملكوت السماوات والأرض كان من الموقنين، وإذا تعلق القلبُ بغيره جحد آياته وكرهها، كحال فرعون ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ [طه: ٥٦]، وصدق الله: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

۞ لتكن همتك أن تبلغ منزلة الصِّدِّيقين، وذلك بصدق العزم والقول والعمل، ادْع الله كثيرًا أن تكون منهم، والصدق يبدأ من إصلاح القلب، فإذا صلح القلب صلح العمل.

۞ يحزّ في النفس ما نراه من استهتار وبلادة بعض المسلمين أوقات البلاء والمصيبة، ويصل الأمر ببعضهم إلى كثرة اللعب والضحك والاستهتار والنكت، وقد كان الصالحون إذا أُصيبوا بالأمراض أو الفتن تضرعوا وأكثروا من العبادات والصدقات والتقرب إلى الله، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأنعام: ٤٣].

۞ يا ترى ما عيشة من يعيش مع الله وبالله ولله؟ هذا الذي اطمأن قلبه بالله، وسكنت نفسه إلى الله، وخلصت محبته لله، وجعل رجاءه وخوفه كله لله.

فإنْ سَمِع سَمِع بالله، وإن أبْصَر أبْصَر بالله، وإن بَطَش بَطَش بالله، وإن مَشَى مَشَى بالله.

حبّه وبغضه وعطاؤه ومنعه وكلامه لله، قد اتخذ الله وحده معبوده ومحبوبه وأنسه وغاية قصده.

۞ في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «**إنّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»، فمن كان من أتقى الناس قلبًا، وأغناهم نفسًا، وأخفاهم عملًا، فهو المحبوب الْمُقرّب من الله.

۞ «ليس الشأن أن تحِب الله ولكن الشأن أن يحبك الله»! ابن القيم رحمه الله.

ما حالك لو كنت محبوبًا عند أحد كبار المسؤولين؟

فكيف لو أصبحت محبوبًا عند رب العالمين؟

۞ **البروز والشهرة:** من أعمال القلوب لا الظواهر، وليس منه نشر العلم والخير؛ لأنه إبراز للعلم والخير لا للنفس، والمذموم: إبراز النفس وشهرتُها.

۞ سأل إبراهيم ﷺ ربه أن يريه كيف يحي الموتى لغاية شريفة: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ أي: ليسكن ويهدأ باليقين بك، وقد أعطى الله أمة محمد ﷺ طريقة سهلة موصلة للطمأنينة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

فليس شرطًا أن ترى إحياء الموتى ليطمئن قلبك، بل يكفيك أن تكثر من ذكره بقلبك ولسانك فيطمئن ويهدأ باليقين به.

۞ الدمامل لا تزال تؤلم وتؤرّق من أصيب بها حتى ينظفها من الصديد فيبرأ منها بإذن الله.

وكذلك أمراض القلوب كالحسد والحقد والكبر والنفاق والتعلق بغير الله ورجاء ومحبة غيره لا تزال تؤلمك وتؤرّقك حتى تُنَظِّف قلبك منها، فبادر إلى إخراجها من قلبك؛ لتذوق طعم الإيمان وسرور النفس وصلاح البال وطيب العيش.

والله لا أنْكد عيشًا ممّن يحمل هذه الأمراض.

۞ من الناس من يرى أن العمل إذا كان أفضل في حقه لمناسبته له ولكونه أنفع لقلبه وأطوع لربه يريد أن يجعله أفضل لجميع الناس ويأمرهم بمثل ذلك! ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها، لكن هذا في الحقيقة إنما هو محبة الإحسان لا نفس المُحسن، ولو قطع ذلك لاضمحل ذلك الحب، فإنه ليس لله. ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ إذا حل الأنس بالله تعالى في قلبك اشتقت إلى لقائه والقرب منه، ولم يكن الموت أعظمَ مصيبة وكارثة عليك؛ لأنه الجسر الذي تعبر منه إلى لقاء المولى الكريم الرحيم الودود.

اللهم إنا نسألك الشوق إلى لقائك، ولذة النظر إليك يارب.

۞ من أنفع ما للعبد في حصول استقامته: صدق التأهب للقاء الله تعالى؛ فإن من استعد للقائه:

١ ـ انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالِبها.

٢ ـ وخمدت من نفسه نيران الشهوات.

٣ ـ وأخْبت قِلبه إلى ربه.

٤ ـ وعكفت همته عليه وعلى محبته وإيثار مرضاته.

٥ ـ وهو مفتاح جميع الأَعمال الصالحة والأَحوال الإيمانية.

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ الغابة الجميلة لن تأمن وتستمتع بها وتستثمر خيراتها حتى تقضي على عقاربها وسباعها.

وكذلك نفسك فيها من الجمال والقوة والخيرات ما لا حصر له، ولن تشعر بالأمان وتستمتع بها وتستثمر خيراتها إلا إذا قضيت على آفاتها وطباعها السيئة الكثيرة.

ولن يقضي عليها شيء سوى تعلقك بالله وحده وقربك منه.



الإخلاص والصدق مع الله

۞ كن مع الله في كل شيء: في خوفك وهمّك وحزنك وحاجتك وفقرك: يكون معك في كلها.

ويكون معك عند موتك فيُثبّتك بالقول الثابت، ومعك في قبرك فيؤنسك بعملك الصالح، ومعك بعد البعث فيُظلّك في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، وعند العرض عليه فيستر عيوبك ويظهر محاسنك، وعلى الصراط فيمدك بقوة فتقطعه كلمح البصر، وفي دار الكرامة فتسعد سعادة لا تشقى بعدها أبدًا.

ولا تسل عما ستراه من الكريم الوهاب.

۞ كان الصحابة رضي الله عنهم:

- يسألون ليَعملوا.
- ويستَمعون ليتَّعظوا.
- ويقرؤون ليتدبَّروا.

فأفْلحوا وانْتصروا على أهوائهم وأعدائهم.

وأما نحن - إلا من شاء الله -:

فنسأل ونسْتمع ونقرأ لنسْتكثر أو نُجادل أو نُبَاهي.

فمن أراد الفلاح ومُرافقتهم في الجنة فلْيسِر على خُطاهم ولْيهتد بهديهم.

۞ لتكن همّتك أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

الإمام: هو الذي يُقتدى به في الدين، بأخلاقه، أو علمه، أو عمله، أو دعوته، أو صبره على البلاء.

وشرطه: دعوة الناس وإرشادهم إلى الدين بعد العمل به.

وسائل تحقيق الشرط:

١ ـ الصبر على طاعة الله وعلى البلاء وعلى دعوةِ الناس.

٢ ـ اليقين التام.

فبالصبر تترك الشهوات، وباليقين تدفع الشبهات.

۞ هنيئًا لتلك الأنفاس التي قضيتها بالذكر وقراءة القرآن والعلم..

ولذلك القلب الذي خفق لله غيْرةً على دينه أو خوفًا منه أو رجاءَ جنته..

ولذلك العقل الذي أشغلته تأملًا في آية أو تفكرًا في عظمة الله أو تبليغًا لرسالاته، ستكون يومًا تلك الأنفاس والقلوب والعقول التي تحرّكت لله وفي سبيله أثقل من جبال الدنيا حسنات..

وأرفع من سمائها درجات..

وأَمْتَع من جميع مُتَعِها لذّات..

۞ أتدري ما أحسن وأعظم عمل تتقرب به إلى الله؟

أن تُحسن إسلامك، بحيث تكون أقوالك وأعمالك خالصة لله، مُتّبعًا بها سُنَّة رسوله ﷺ.

وإذا كنت كذلك: فكلّ حسنة تعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف!

قال ﷺ: إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف. متفق عليه.

يا لَه من فضْل عظيم!

۞ التعب لله راحة، والافتقار إليه غنى، والذل له عز، وإذا اقتربت منه كان قربُه إليك أسرع، وهذا بخلاف المخلوق.

وخدمة العبد لأمثاله العبيد لن تخلّصه من رق الذل والفقر، وإنما يُخلصه خدمة سيّده الغني الكريم الرحيم به.

لا تدع خدمة الأكابر واعْلم أنَّ في خدمة الصّغار صَغارا

فكن مع الله ولله، وكلّ ما سواه ينقطع ويزول.

۞ نرى موظفي العملاء يتعاملون بلطف وحذر من الخطأ؛ لأنهم مراقبون من رؤسائهم، أو ليس الله يراقبنا؟ والملَك لا يفارقنا؟ فلم نعصي ونكذب ونغتاب إذًا؟

۞ أعلى حالات الإنسان وأشرفها:

إيثار إلٰهه ومعبوده بالمحبة والطاعة، والتودد إليه، كما يتودد المحب الصادق الذي لا غنى له عن محبوبه إليه.

فلا يزال ناظرًا إليه بقلبه، لا يلهيه عنه شيء، ليس له همٌّ إلا في مرضاته، وهذا في سروره ونعيمه ولذته في الدنيا: كأهل الجنة في الآخرة. ابن القيم رحمه الله.

۞ التمكين الديني نوعان:

أ ـ التمكين العلمي النظري، وهذا التمكين سهل وكثير أهله، حتى في الكفار المستشرقين.

ب ـ التمكين العلمي والعملي الإيماني، وهو صعب وقليلٌ أهله، وقلَّ من ذاق طعم الإيمان والأنس بالله والفرح به.

والله يُمَكّن من يشاء في الأول، ولا يمكن في الثاني إلا مَن صدق مع الله فأحبَّه وقرّبه إليه واصطفاه.

۞ **أخي وفقك الله:** لا يعظم عندك بذْلك نفسك في ذات الله، فهي التي بذلتها بالأمس في نيل شهادة دنيوية، أو منصب زائل، أو شهوة عابرة، وخاطرت بها في الأسفار لأجل إمتاعها، أو تحصيل مال.

فلما جئت إلى طاعة الله عظّمت ما بذلته؟

بع نفسك لله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

أي يبيع نفسه يبتغي بذلك مرضاة الله.

۞ لقد وصلتُ إلى قناعة تامة إلى أن كل مُوَفَّق جعل الله نشر دينه على يديه، وفتح له باب القبول والنفع على مصراعيه: لم يكن لأجل قوة حفظه وكثرة علمه وحدّة ذكائه.

بل لأنه جعل رضا الله غايته، وتبليغ دينه هدفه، والإخلاص والصدق والاتباع مركبه، ومجاهدةَ نفسِه في تعلم ما ينفعه ونشر ما تعلّمه والعمل به سلاحه.

۞ اجعل أول أهدافك، وأكبر اهتماماتك، وأعظم مشاريعك في حياتك منذ أن تستيقظ إلى أن تنام: رضا الله تعالى في كل قول تقوله، وكل عمل تعمله.

وسوف ترى ـ والذي لا إلٰه غيره ـ كرامات الله تتوالى عليك، وألطافه تسرع إليك، وبركاته تحل عليك.

۞ أتدري ما هو الإسلام الذي يحبّ الله أن تتّصف وتَنْصَبِغ به؟

لا تظنّ أنّ الإسلام الذي يحبّ الله أن تتّصف وتَنْصَبغ به مقتصرٌ على قيامك بأركان الإسلام الخمسة، وببقية الواجبات وترك المحرمات..

بل الإسلام الذي يحبّه الله بقدر عدد أنفاسك، وحركاتك وسكونك؛ لأنّ في كلّ صفة وضدّها عبوديّةً يحبّها الله، فالفرح له عبودية، وضده الحزن له عبودية، والجوع له عبودية، وضده الشِّبع له عبودية، واليقظة لها عبودية، وضدها النوم له عبودية، والغنى له عبودية، وضده الفقر له عبودية، والكلام له عبودية، وضده السكوت له عبودية؛ وذلك بأنْ تكون لله عبدًا محتاجًا له متذللًا له، مستشعرًا أنَّ كلَّ حركة وسكون ينبغي أن تكون لله.

كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

أي: قل يا رسول الله: إنّني لا أبتغي من صلاتي، وذبحي، وما آتيه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل، إلا وجه الله وحده، لا أبتغي بها حظوظ نفسي، ولا راحتها ولا رفعتها، ولا أبتغي بها تعظيم مخلوقٍ أو مداهنته، مهما علا شأنه، وعظم قدره.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير المنار (٨/ ٢١٥): «في معنى كون حياة الرسول ﷺ وموته ـ وكذا من تأسَّى به ـ لله وحده: هو أنه قد وجَّه وجْهه وحَصَر نيَّته وعزْمه في حبْس حياته لطاعته ومرضاته تعالى، وبذَلَها في سبيله؛ ليموت على ذلك، كما يعيش عليه..

وبهذا تكون الآية جامعة لجميع الأعمال الصالحة التي هي غرَض المؤمن الموحِّد من حياته، وذَخيرتُه لمماته، يجعلها خالصةً لله رب العالمين».

ومن استشعر هذا المعنى أكْسبه عدة فوائد نفيسة عظيمة جليلة:

الفائدة الأولى: شعوره بالتقصير والتفريط في حقّ الله تعالى عبادةً ودعوةً وإسلامًا خالصًا، وأنه حتى الآن لم يسلم إسلامًا جيّدًا، وهذا يدفعُه إلى تجديد إسلامه لله تعالى كلّ وقت وكلّ حين.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ إذا أُثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعدُ إسلامًا جيِّدًا. [مدارج السالكين: ١/ ٥٢٠]

الفائدة الثانية: ملازمته للاستغفار والتوبة من تقصيره وتفريطه في القيام بحقّ العبودية لله في كلّ شؤونه.

ولَمَّا استشعر ذلك رسول الله ﷺ كان كثيرَ التوبة والاستغفار، قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة**». [رواه مسلم (٢٧٠٢)]

الفائدة الثالثة: تخلّصه من داء العُجب والكبر، اللذين هما أساس جميع أمراض القلوب، ومتى توغلا في قلب اجتثا بذور وعروق كلّ خير وبرّ فيه، ولذلك قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**». [رواه مسلم (٩١)]

فمثقال ذرة من كبر تمنع صاحبها من دخول الجنة ـ وهي جزء يسير من الكبر ـ فكيف بمثاقيل الذرِّ من الكبر؟ بل كيف بالكبر كلّه؟

اللهم اهدنا واهْد بنا، وأصلحنا وأصلح بنا.

۞ من أعظم ما يتّصف به الأنبياء والْخُلَّص من عباد الله الصالحين:

١ ـ شدة افتقارهم والْتجائهم إليه.

٢ ـ أنهم جعلوه مرادهم الأول، فقدّموه على أهوائهم ورغباتهم، وبذلوا قُصارى جهدهم لأجل العمل بما يرضيه، ودعوة أهليهم وأقوامهم إلى الحق، وصبروا على ذلك.

۞ تأملتُ فيمن رفعه الله: فرأيت أن من أعظم أسباب رفعتهم وقبول الناس لهم: صدقهم مع الله الذي دفعهم إلى أن باعوا أنفسهم وأموالهم وأعراضهم لله، فلم ينتقموا لأنفسهم، وبذلوا أوقاتهم له ولدينه، وامتلأت قلوبهم خشيَةً منه، وحبًّا ورجاءً وإخلاصًا له فرفعهم الله وأشرب قلوب الناس حبهم؛ لصلاح قلوبهم، لا لكثرة أعمالهم وعلومهم.

۞ **قال النبي ﷺ: «إذا أحبَّ الله عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**. متفق عليه.

لتكن همّتُك أن تكون محبوبًا عند الله وملائكته، وإذا أحبك الله تعالى غرس حبّك في قلوب الناس.

۞ **نصيحة:**

لا يعلم أحد بما عملته لله إلا لمصلحة ظاهرة دينية.

ومن الأمثلة:

١ ـ تفريجك لكربة.

٢ ـ نصيحتك لأحد.

٣ ـ إسلام كافر أو هداية ضال على يديك.

٤ ـ إسداؤك لمعروف.

٥ ـ صدقتك على محتاج.

٦ ـ بناؤك لمسجد أو غيره لله.

اكتمها كما تكتم سيّئاتك.

واسْأل الله القبول؛ فإنّ إخفاء مثل هذه الأعمال الصالحة خيرٌ من إبدائها ـ ما لم يكن في إبدائها مصلحة ظاهرة ـ؛ لِمَا يترتب على ذلك من إحباطها أو نُقصان ثوابها.

فالإخبار بها قد يُذهب أجرها ويمحق بركتها.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الإنسان إذا تحدث بعمله الصالح للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله: أبطله، كما لو فعله لغير الله.

فاحرص إذا عملت عملًا صالحًا؛ كالصدقة وتفريج كربة ونفع الآخرين وبناء مسجد ونحوه: ألا تُخبر به أحدًا مهما كان قريبًا منك، وربما زين الشيطان لك الإخبار به من باب إدخال السرور عليه.

❁ سورة الفاتحة أعظم سورِ القرآن وهي من أقصرها.

وآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله وليست بأطولها.

ومحمد ﷺ أفضل الرسل وهو آخرهم ومن أقصرهم عمرًا.

فَعُلُو منزلتك في الدنيا والآخرة ليست بكثرة علم ولا عمل.

ولا بكثرة متابعيك ومحبيك.

ولكن بقوة إخلاصك لله، وصدق عزيمتك في طلب مرضاته ونصرة دينه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

۞ **ستُسَأل يوم القيامة سؤالين: لِمَ، وكيف.**

١ ـ لم صلّيت، لم تصدقت، لم تعلّمت، لم علّمت، لم أحسنت للناس، لم ابْتسمت، لم عفوت، لم قُلت، لم فعلت، لم كتبْت. .

٢ ـ كيف صليت، كيف صمت، كيف حججت، كيف اعتمرت، كيف زكّيت. .

السؤال الأول عن الإخلاص، **والثاني** عن المتابعة.

فأخلص لله تعالى في جميع أقوالك وأعمالك، ولتكن على السُّنَّة، ولا تبْتدع.

۞ «والله لا يبقى في القيامة إلا الإخلاص، وقبل القيامة لا يبقى إلا ذكر المخلصين». ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ.

عليك بالإخلاص ففيه خلاصك ورفعتك ونجاتك وتوفيقك، فخلاصك بإخلاصك.

ودع التكلف والتباهي.

ولا تنشغل بصلاح ظاهرك وثناء الناس عليك عن صلاح باطنك، وسلامة قلبك، وتعاهد إخلاصك، وصدقك، وإيمانك.

هنيئًا للمخلصين.

۞ **من صدق مع الله:** لم يتشتت بكثرة الهموم، بل يكون همُّه همًّا واحدًا، وهو رضا الله.

فلا يخاف من الفقر، ولا يخشى تهديد العدو، ولا يطمع بالدنيا،

بل تجده مطمئنًا موقنًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وغاية ما يخافه الناس الموت، والموت للمؤمن الصادق سببٌ في لقاء ربه تعالى، فكيف سيخاف منه؟

۞ إذا أردت أنْ تعرف: هل الدنيا أكبر همّك أم الآخرة: فانظر إلى دعائك:

فإن كان أكثرُه فيما يتعلّق بالدنيا؛ كالمال والصحة والمتاع: فالدنيا أكبر همّك والعياذ بالله.

وإن كان أكثرُه فيما يتعلّق بالآخرة؛ كالمغفرة والجنة ورضا الله والنجاة من النار والثبات على الدين: فالآخرة أكبر همّك.

۞ هناك علم لا تُدركه بكثرة قراءة ولا تجربة ولا سماع، وهو العلم الذي يهبه الله لك لإقبالك في عبادته إخلاصًا وصدقًا واجتهادًا، وإحسانك مع الناس تواضعًا ونفعًا ورحمة.

وحينما ذكر الله أنه آتى يوسف وموسى عليهما السلام حكمًا وعلمًا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢٢].

وعلوم الدنيا كلها لا تغني عنه، فاجتهد في طلبه.

۞ كنت أتساءل عن سبب تفضيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مَن سبقه بالإسلام وقد نالهم من صنوف الأذى ما لم ينله، فرأيت أنّ من أعظم الأسباب: عزمه من أول إسلامه على نصرة الدين بماله ونفسه، بخلاف من سبقه ـ سوى أبي بكر رضي الله عنه ـ فكانوا أقل منه عزيمة.

فإذا أردت أن يرفعك الله فاجعل همّك نصرة الدين بلسانك وقلمك وأفعالك.

۞ «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

قال لي قاضٍ ثقة ثبت: كان بجواري رجل من الصالحين العُبّاد، وقد ابتلي بكربة عظيمة، وطالت عليه حتى كاد ييأس من فرجها، فاستقبل القبلة وقال: أُقسم عليك يا ربي أن تفرجها عني.

فاقشعر جلدي.. ووالله لم أبرح مكاني حتى ساق الله الفرج له وهو عندي.

۞ قال بعض السلف: «ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة، إن النبي ﷺ قال: «**المرء مع من أحب**» فهم مع الله في الدنيا والآخرة».

إنّ حبّ الله بصدق لا يحصل إلا بكثرة عبادته وذكره، وإيثار ما يريد على ما تريد.

حينها: يفتح لك جنة حبّه وحب لقائه، وتنهال عليك سحائب لطفه، وتحوطك من كل جانب بحار كرمه.

۞ جاءت آية ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة: ٩١] في سياق نفي الحرج عمّن تخلّف عن الجهاد، بشرط: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي أخلصوا لله ورسوله قصدهم وحبهم».

فكلّ من عزم على فعل الخير بإخلاص وصدق فهو محسن ولو لم يفعله، ويُنزّل منزلة الفاعل التام.

فما أعظم أثر وبركة النيّة الصالحة الصادقة.

۞ عندما تقرأ كتابك أمام ربك العظيم يوم أن تقف أمامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتجد في صحيفة أعمالك تلك النصائح التي ملأتها بـ (قال الله قال رسوله) والنصح والإرشاد: ستفرح أيما فرح، وستتمنى أن لو زدت.

۞ كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إذا أحرم بالصلاة تكاد تنخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام.

فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة.

[الأعلام العلية ص٣٦]

حينما امتلأ قلب ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بتعظيم الله وحبه وخوفه والإقبال عليه: فجّر الله من قلبه ينابيع الحكمة والعلم.

۞ من صدق مع الله وأخلص له في أقواله وأفعاله وأحواله سيكرمه ربّه بما لم يخطر على باله، ومن ذلك:

١ ـ السعادة.

٢ ـ القناعة.

٣ ـ الرضا بأقداره.

٤ ـ خفّة العبادات عليه.

٥ ـ البركة التي لاحدّ لها.

حتى إنه يسبق غيره في التحصيل والأثر الطيب النافع، ولو كان غيره أقدم منه.

٦ ـ القبول والمحبة في قلوب الناس.

۞ **لو تأملت فيمن رفعه الله**، وبارك فيه بركةً لو وُزِّعت على أمّةٍ لكفتهم، وملأ قلبه سعادة وانشراحًا وطمأنينة لو دخلت إلى قلوب بؤساء الناس كلهم لكانوا أسعدهم وأهْنأهم عيشًا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ركب على باب الحبس وقال له رجل: يا سيدي هذا مقام الصبر: فقال له: «بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل على قلبي من

الفرح والسرور شيء لو قُسِم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم، ولو أن معي في هذا الموضع ذهبًا وأنفقته ما أديت عشر هذه النعمة التي أنا فيها». [الجامع لسيرة شيخ الإسلام ١/ ١٥٠]

لو تأملت حاله: لرأيت أنّ من أعظم أسباب رفعته وقبول الناس له ثلاثةَ أمور:

١ ـ إخلاصَه لله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ في جميع شؤونه، فلا يقصد في عباداته وأخلاقه ونومه ونزهاته وعطائه ومنعه وكلامه وسكوته إلا وجه الله وحده.

٢ ـ حبَّه له حبًّا ملأ قلبه، وتغلغل في عروقه، واختلط في كل عضوٍ من أعضائه.

٣ ـ صدْقَه معه صدقًا أرخص في سبيله وطلبِ مرضاته وتبليغ رسالاته كلّ غال ونفيس.

فلذلك:

١ ـ باع نفسه وأمواله وعرضه ووقته لله ولدينه.

٢ ـ سأله بحرقة أن يرضا عنه وأن ينصر به دينه ولو كان ثمن ذلك دمه.

٣ ـ قدّم ما يُحبه ربه على ما تُحبه نفسُه، وعمل به بلا تردد ولو كرهته نفسه، وجُبِل على خلافه طبعه.

فلم ينتقم لنفسه، وعفا عمّن ظلمه، وصام الأيام المستحبة ولو كان الطعام حبيبًا إليه، وقام الليل ولو كان النوم أشهى وأحلى إلى قلبه.

٤ ـ وسأله أن يرزقه الشهادة في سبيله ومرضاته ونصرة أوليائه ودحر أعدائه.

فرفعه الله، وبارك في أقواله وأعماله وأوقاته، وأَشرب قلوبَ الناس حبَّه والاقتداء به؛ بإخلاصه وصدقه وحبّه لله، لا بكثرةِ أعماله وعلمه.

اللهم اجعلنا من أخلص عبادك لك، وأصدقهم معك، وأحبهم لك.

۞ **أكرم الناس عند الله تعالى وأفضلهم وأحبهم إليه:**

١ ـ من عرف الله.

٢ ـ وعرف مراد الله.

٣ ـ وعمل بما أمر الله.

٤ ـ وأعرض عما نهى الله.

٥ ـ ودعا عباد الله إلى الله.

هذا هو وليّ الله حقًّا، الذي يبلّغه الله منازل الصّدّيقين، فاجعل همّك وهمّتك أن تتحلى بهذه الخصال وتعمل بها، وما أسرع انقضاء العمر!

۞ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ما صدقَ اللهَ عبْدٌ إلَّا صُنِعَ له».

اصدق مع الله في كل ما تفعل وما تذر يصنع لك التوفيق والبركة والسعادة.

۞ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: ما أكثرَ مَن يدعي حبَّ مشايخ لله، ولو كان يحبهم لله لأطاع اللهَ الذي أحبهم لأجله، وكيف يحب شخصًا لله مَن لا يكون محبًا لله؟!

۞ قد يبارك الله لأحد ويَكثر خيره، ويعظم نفعه، ويذيع صيته، في مدة قصيرة، ولا يَحصل لغيره عُشر ذلك وهو أقدم منه علمًا وهداية، وذلك بحسب التوفيق والإخلاص والصدق والعمل بالعلم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «المسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع: فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة».

اللهم اجعلنا من الصادقين.

۞ هناك من الناس من أيامهم مليئة بالأشغال، وأوقاتهم مزدحمة بالأعمال، ولكنهم إذا جن الليل قاموا لله قانتين، وإذا جاء النهار كانوا صائمين، ويختمون القرآن في الشهر مرة أو مرتين، فالمشكلة فينا ليست في الشغل والفراغ، بل في التوفيق، والصدق، والإخلاص، وصلاح القلب، اللهم أصلح فساد قلوبنا.

۞ ذُكر للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ الصدق والإخلاص فقال: بهذا ارْتفع القوم. [طبقات الحنابلة ١/ ١٤٧]

والإخلاص: أن يقصد بالعمل وجه الله وحده، **والصدق**: أن يبذل وقته وجهده وطاقته في مرضاته، ومن كان كذلك: كان من الصّدِّيقين الأولياء، ورفعه الله وبارك فيه وفي علمه ووقته، جعلنا الله منهم.

۞ ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن الحسنة تعظم ويكثر ثوابها بزيادة الإيمان والإخلاص حتى تقابل جميع الذنوب، واستدل بالبغي التي سقت الكلب فغفر الله لها بسبب عملها.

۞ كلما عظم الإخلاص لله في القلب، وسكن فيه إرادة وجهه وحده: غمره الكريم الوهاب بجوده وفضله، وبارك في علمه وعمله ووقته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ذاق طعم إخلاص الدين لله وإرادة وجهه دون ما سواه: يجد من الأحوال والنتائج والفوائد ما لا يجده من لم يكن كذلك». [المجموع ١٠/ ٣٢١]

۞ «جرت عادة الله ـ تبارك وتعالى ـ التي لا تُبدّل وسنته التي لا تُحوّل: أن يُلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق،

وإقبال قلوبهم إليه، ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويلبس المرائي من المقت والمهانة ما هو اللائق به.

فالمخلص له المهابة والمحبة، وللآخر المقت والبغضاء».

[إعلام الموقعين لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ٢/ ٥٢٠]

اللهم ارزقنا الإخلاص.

۞ والله ليأتينّ عليك يوم ترى كلّ أقوالك، وأفعالك، وتفكيرك، وتخطيطك، وطموحاتك، وإبداعاتك، واختراعاتك، وتغريداتك، وكتاباتك، وجولاتك في سجل أعمالك ولن تفرح بشئ منها..

إلا ما كان منها خالصًا لله موافقًا لشرْعِه، فيكون كالجبال يُثقّل الله بها ميزانك، فيرفعك درجات في الجنان

وأما ما كان ظاهره الخير ولكنه لم يكن عن إيمان بالله أو غير موافق للشرع فإنه يكون كالهباء المتطاير الذي لا تحصل منه على شيء قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

۞ يا من استقام ظاهره واشتُهر في الناس صلاحه:

- إنك تُعْرَف بالله.
- وتُكْرَم لله.

فانظر كيف تكون مع الله إذا خلوت به وغِبْت عن أعين الناس؟

كن في باطنك خيرًا من ظاهرك، وكن في حال خلوتك أعْبَد لله من حال مخالطتك للناس.

واعلم أن عبادات السرّ:

- أعظم دليل على إخلاصك.

- وأعظم أسباب ثباتك واستقامتك وبركتك وتوفيقك.

۞ تأمل هذه العبارة العظيمة كثيرًا، ولا تمرّ عليها مرورًا سريعًا بلا تأمل:

«مَن آثر الله تعالى على غيره: آثَرَه اللهُ على غيره».

[طريق الهجرتين لابن القيم رحمه الله ص٦٣٨]

فإذا قدَّمْت ما يُحبّه ربك على هوى نفسك وغيرك: قدَّمك على غيرك: فأعطاك أجْزل عطاياه، وأحْسَن أرزاقِه في الدنيا والآخرة.

۞ تأمل آثار التقوى عليك:

١ ـ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٢ ـ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

٣ ـ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم، حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل؛ أي: ليعلمكم». [التحرير والتنوير ٣/ ١١٨]

فتقواك لله بفعل ما يُحب واجتناب ما يكره سبب في:

١ ـ المخرج من كل ضيق.

٢ ـ الرزق الواسع.

٣ ـ تيسير أمور دينك ودنياك.

٤ ـ إفاضة العلوم عليك.

۞ الصادق المخلص حقًّا:

١ ـ يكون في الخلوة أشدّ عبادة واجتهادًا من الجلْوة.

٢ ـ بشوشٌ مرحٌ مع الناس وأهله، خاشعٌ مخْبت إذا خلا بنفسه.

٣ ـ أفعالُه أكثر وأصدق من أقواله.

٤ ـ تصغر في عينه أعماله الصالحة وينساها، وتعظم أعماله السيئة وتكون نُصْب عينيه.

٥ ـ باع نفسه لله فلا ينتقم ولا يغضب لها أبدًا.

۞ الصّدق صفة متى اتصفت بها قادتك إلى كل الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة والمنازل العالية.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا**».

والبر: اسم يجمع خصال الخير، كالكرم والأدب والحياء والتواضع والشجاعة وغيرها، فالصدق يقود إلى التحلّي بها كلّها.

ولئِن بلغ الموت في سبيل الله بصاحبه درجة الشهداء فإن الصدق يبلغ بصاحبه درجةً عالية دون سفك دِمَاء. فاصدق لله في أقوالك وأفعالك وعزمك.

۞ الشّكر الصادق الحق لله تعالى ليس باللسان فحسب بل بالتقوى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣] فاجتنبْ ما نهاك عنه وامْتثِلْ ما أمرك تكنْ من الشاكرين حقًّا.

۞ إنَّ عملًا يسيرًا يقوم به الصادق مع الله في حال مشاهدته منَّةَ الله عليه، وكمالَ افتقاره إليه، وعدمَ استغنائه عنه في ذرةٍ من ذراته، وقد خالط قلبَه حالُ المحبة، والفرح بالله، والأنس به، والشوق إلى لقائه:

أحبُّ إلى الله وأفضل وأعظمُ أجرًا من جبالٍ من الأعمال يقوم بها غيره.

فعليك بصلاح قلبك.

۞ أثنى الله على الصادقين من عباده بأنهم يسارعون في الخيرات، ومسارعتهم لأسباب منها:

١ ـ علمهم بحسن عاقبتها وبركة القيام بها.

٢ ـ خوفهم من معاجلة الموت لهم.

٣ ـ حبهم فيها وراحتهم ولذتهم وأنسهم بها.

فإذا رأيت نفسك تسارع في الطاعات مستشعرًا هذه الأمور فاحمد الله وأكثرْ من شكره والثناء عليه أنْ وفقك واصطفاك.

۞ المُحب الصادق المحبة لمحبوبه الذي قد طُلب منه أن يعمل له شيئًا ما: يبذل مقدوره كله في تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعًا من محبوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه.

أفلا يستحي العبد من ربه ومولاه ومعبوده ألا يكون في عمله هكذا؟

وهو يجد من نفسه ذلك مع مَن يحبه من الخلق؟ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ المؤمن الصادق ملأ الله قلبه:

ـ غنى أغلى عنده من كنوز الأرض كلها.

ـ ولذة أحلى في قلبه من لذات الدنيا جميعها.

فجمع له بين الغنى والسعادة.

فمن مثلُه؟

حتى قال بعضهم: والله لجلوس ساعة في المسجد أحب إليَّ من مُلك العراقَيْن.

هذا نعيم قليل معجل لهم..

فكيف بالنعيم العظيم الدائم في جنة الخلد؟

۞ الفقير التقي الذاكر لله كل وقت وحين أفضل عند الله من غني تصدق بالملايين في نفع المحتاجين، لكنه كثير الغفلة والانشغال بالمباحات.

والمنزلة عند الله على حسب ما في القلب من الإيمان والخشية والتقوى، لا على كثرة الأعمال وبذل الأموال.

فذرة من إيمان الصادقين تعدل جبالًا من أعمال الغافلين.

۞ الله تعالى يعامل المخلصين الصادقين بأنواع من اللطف، فيقذف في القلوب محبّتهم، ويطلق الألسنة بالثناء عليهم:

- لينوِّه بذكرهم في الملأ الأعلى ليستغفروا لهم.

- وينشر طِيب ذكرهم في الدنيا ليُقتَدى بهم، فيَعظُمُ أجرهم، وترتفعُ منازلهم. [المفهم للقرطبي ٦٤٨/٦]

اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين.

۞ فرق كبير:

- بين من يحب الله لعطائه.

- وبين من يحبه لكماله.

فمن يحب الله لعطائه: يحبه ما دام يعطيه ويعافيه.

فإن انقطع العطاء وزالت العافية قلَّ حبُّه أو انعدم.

وأما من يحبه لكماله: فإنما يحبه لذاته وصفاته.

يحبه لأن الله ربه وهو عبده.

لا ينقص حبه إذا ابتلاه بمرض أو فقر.

فأحبوا الله لأنه الله.

۞ طوبى لمن كان رضاه لله، وغضبه لله، ولا يرتكب لأجل شهوته وهواه ما حرم الله، ولا يغضب حين يغضب لأجل الانتقام لنفسه وإنما لله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «من كان رضاه وغضبه موافقًا لرضا الله وغضبه: فإن الله تعالى يرضا لرضاه، ويغضب لغضبه».

[جامع المسائل ٨/ ١٢٩]

اللهم اجعلنا منهم يا حي يا قيوم.

۞ أتعلم من هو الصادق الذي جاءت النصوص بمدحه وعلوّ قدرِه؟

هو الذي استقام:

١ ـ لسانه، فيتكلم بالخير ويسكت عن الشر وخاصة فيما يؤذي الصالحين.

٢ ـ وقلبه، فملأه بحب الله وتوحيده وإجلاله.

٣ ـ وفعله، فلا يعمل إلا بما يرضي الله، وبجدّ وإتقان.

هذا هو الصادق حقًّا.

ومن أخلّ بأحدها نقص صدقه بقدر إخلاله.

۞ لا تجعل طاعاتك وانقيادك وخضوعك ومحبتك وولاءك إلا للحيّ القيوم الذي خلقك ورزقك.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وما أحسن قول بعضهم:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضا والأنام غضاب
وليت الَّذِي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الَّذِي فوق التراب ترابُ

من تحقق أنَّ كلَّ مخلوقٍ فوقَ التراب فهو تراب، فكيف يُقْدم عَلَى طاعة شيءٍ من التراب عَلَى طاعة ربّ الأرباب؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط الملك الوهاب، إنَّ هذا لشيء عجاب! [الجامع المنتخب ١٧٨]

۞ من كان غضبه لله أحبّه الله ورفعه وتجاوز عن كثير من هفواته وأخطائه في ذات الله، فنبيّ الله موسى عليه السلام من شدّة غضبِه لله تعالى أخذ برأس أخيه هارون عليه السلام يجرّه إليه، وهو نبي من أنبياء الله، ورمى الألواح التي فيها كلام الله، ومع ذلك لم يعاتبه الله على ذلك، كما عتب على آدم عليه السلام في أكل لقمة من الشجرة، وعلى نوح عليه السلام في ابنه حين سأل ربه أن ينجيه، وعلى يونس عليه السلام في شأن المغاضبة.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حصلت منه مع النبي ﷺ أمورٌ أخطأ فيها في حقه، كان سببها الغضب لله ولرسوله، ولم يعاتبه الله ولا رسولُه ﷺ.

وفي عدم معاتبة ومؤاخذة هؤلاء معنى آخر: وهو أنَّ أخطاءهم غُفرت وسُومحوا بسبب ما سبق لهم من الحسنات العظيمة، والمقامات العالية الرفيعة، وصدقهم مع الله، وكمال حبّهم لله.

قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: انظر إلى موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رمى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها، وجر بلحية نبي مثله، وهو هارون، ولطم عين مَلَكِ الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ﷺ ورفعه عليه، وربه تعالى يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه؛

لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدو له، وصدع بأمره، وعالج أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة، وجاهد في الله أعداء الله أشد الجهاد، وكان شديد الغضب لربه، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر، واحتمل له ما لم يحتمله لغيره.

وانظر إلى يونس بن متى عليه السلام حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى عليه السلام، غاضب ربه مرة، فأخذه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى، وفرق بين من إذا أتى بذنب واحد، ولم يكن له من الإحسان والمحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتى بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع، كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

فالأعمال تشفع لصاحبها عند الله، وتُذَكِّر به إذا وقع في الشدائد، قال تعالى عن ذي النون عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، وفرعون لما لم تكن له سابقة خير تشفع له وقال ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال له جبريل: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠، ٩١]. اهـ[1]

فمن صدق حبه وإخلاصه لله: رفعه الله فوق غيره، وفوق من سبقه، وفوق من هو أعلم منه بمراحل لا تخطر على بال، ويجعله مباركًا في علمه وماله وحياته وأعماله وأقواله، ويجعل له القبول في الأرض وفي السماء.



الإيمان بالله وأثره على الفرد

۞ ليس في الدنيا أغنى ولا أعز ولا أقوى ولا أسعد ممن امتلأ قلبه بالإيمان بالرب الخالق سبحانه.

هدد أحدُ الجبابرة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالسجن فقال: سجني خلوة بالله.

وهدده بالقتل فقال: قتلي شهادة.

وهدده بالطرد فقال: طردي سياحة.

۞ البيوت التي يكون همّ ساكنيها رضا الله وطاعته وعبادته: تدخلها السكينة من كل جانب، وتغشاها الرحمة من كل ناحية، وتملؤها السعادة، وتفيض عليهم البركة، وتحفها الملائكة وتهرب منها الشياطين..

فكم صُرفت عنها هموم وخلافات مُلئت بها بيوت كثير من الناس.

فيا لروعة تلك البيوت، ويا لهناء ساكنيها، ويا لسعادة أصحابها..

وسيأتي اليوم ـ إن شاء الله ـ الذي يجتمعون به في جنة الخلد.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

۞ الكافر مهما تنعّم في الدنيا، وأوتي من مُتعها ولذاتها، ونال منها ما يتمنى من شهرة، أو منصب، أو مال، أو لذة: فَقَدْ فَقَدَ أعظم نعيم وأشرفه وأعلاه، وكل نعيم بدونه فليس بنعيم تامّ، ألا وهو نعيم

الأنس بالله تعالى، ولذة الإقبال عليه، والشوق إلى لقائه، والتفكر في جنته الذي وعده إياها، وحلاوة العبادة والطاعة، والقناعة التامة، والرضا بالقضاء والقدر.

والمؤمن الذي ذاق هذه المعاني العظيمة، هي أحلا في قلبه من جميع متع الدنيا، وإنه ينظر إلى أهل الدنيا نظرة إشفاق ورحمة، ويشعر بالعزة والفرح وعظيمِ النعمة التي وهبه الله تعالى.

وقلبه يطرب دائمًا فرحًا وأنسًا بالله تعالى، وهو أمر لا ينعمُ به غير المؤمن، ولا ينفكّ عنه إلا في حالات نادرة، وأوقات متفاوتة قليلة.

فلا يربح الدنيا والآخرة معًا إلا المؤمن التقي.

۞ لقد صوّر الله تعالى نجاة المؤمن به المتمسك بدينه الحنيف من السقوط في جحيم وعذاب الدنيا والآخرة: بنجاة من أراد أن يتدلى من مكان مرتفع، فاسْتَمْسَك بأوثق عروة من حبْل متين يأمن من انقطاعه فقال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فإيمانك بالله هو السبيل الوحيد لنجاتك من هموم الدنيا وعذاب الآخرة.

۞ إذا أردت أن تعرف شرف الدين وحقارة الدنيا فانظر إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: صعوبة تحصيله: فالعلم يحتاج إلى حفظٍ وفهمٍ ودراسة، وإلى العمَل به، والدعوةِ إليه، والصبرِ على الأذى فيه.

وأما الدنيا فالحصول عليها سهل: فقد حصّلها أناس بالهزل،

والغناء، والنكت في مواقع التواصل وغيرها، والغش، والمكر، وبغير كسبٍ أصلًا، كالإرث وغيره.

وليس كلّ من تعب في تحصيل الدنيا أتته، ولكن كلّ من تعب بجد وإخلاص وصدق في تحصيل الدين حصل عليه، وبلغ فيه مبلغًا فوق ما رَجا وسعى.

الأمر الثاني: أخلاق أهل الدين: فأخلاقهم التواضع، والكرم، ونفع الناس، والصّدق، والأمانة، والمودّة، والعفاف.

وأخلاق أهل الدنيا ـ في الغالب ـ: الكبر، والمباهاة، والجشع، والحرص، والأنانية، والكذب.

الأمر الثالث: غاية أهل الدين: فغايتهم رضا الله، والعمل بما يحب، وطلب الْمُلك الذي لا يفنى ولا يزول، وتحصيل دار لا يرحلون عنها، ولا كدر ولا مرض ولا سَآمة فيها.

وغاية أهل الدنيا: إشباع رغباتهم الجسدية، بالاستمتاع واللذة البدنية في حياةٍ عن قريب سيغادرونها، ويأخذ غيرهم ما جمعوه.

۞ ليكن أعظم أعمالك واهتماماتك تقوية إيمانك بربك وحبك له.

رأى أحد مشايخي الفضلاء أحدَ الدعاة إلى الله بعد وفاته في منظر جميل ووجه مشرق، فقال له: ما الذي نفعك بعد موتك؟

قال: فظننت أنه سيقول: الصدقة أو الصلاة أو نحوها من الأعمال الظاهرة، لكنه ضرب على صدره وقال: الإيمان، الإيمان.

۞ أخذ الله تعالى من النبيين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الميثاق ـ وهو العهد المؤكد ـ إذا بعث نبيَّنا محمدًا ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١].

ولولا صعوبة الإيمان به ونصرته على النفوس لما أخذ عليهم هذا العهد المؤكد، والإيمان به لا يكفي، بل لا بد من نصرته بما تستطيع: بالقول أو الكتابة أو الفعل، فانصر نبيك ﷺ ولو بكلمة.

۞ أجر من آمن إيمانًا صادقًا، وعمل عملًا صالحًا: لا يدركه عقل بشر، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩﴾ [المائدة: ٩]، وفي آية أخرى ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس: ١١] وأخرى ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢]، فمن الذي يقدر قدر ذلك الأجر العظيم الكريم الكبير؟!

اللهم إنا نسألك من فضلك، وواسع كرمك.

اللهم ارحمنا يا رب.

۞ في أدمغة البشر ـ مهما نضجت ـ مصابيح مُطْفأة لا يُشعلها إلا الإيمان بالله والعلم بشرعه وكتابه..

وحينها تكون كنور الشمس..

وتَخْمد في جانب نورها نارُ الأهواء المحرقة للأدمغة..

ويسري النور إلى سائر الأعضاء، فيُصبح الإنسان حكيمًا عاقلًا، صاحب خلق رفيع وأدب جمّ، وانقياد تامّ للحق وثبات عليه.

۞ السعادة في الإيمان..

قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إننا في سعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لو فتشت حياة الملوك والوزراء والأغنياء، وفتشت حياة من آمن وعمل صالحًا لوجدت الثاني أطيب عيشةً وأشرح صدرًا.

۞ المتفائل الذي يحسن الظن بربه في كل ما يُقَدِّره عليه وعلى الناس ولو كان في الظاهر شرًّا وضررًا في الدين أو الدنيا: أشرح الناس صدرًا، وأكثرهم علمًا وعملًا.

كان النبي ﷺ مع شدة ما واجهه من كفر ونفاق وحروب وتآمر: حَسَن الظن بربه.

فإياك والحزن وضيق الصدر، فهو نقص في الإيمان وغاية مراد الشيطان.

۞ لن تجد شخصًا دخل الإيمان قلبه: عاش في نكد وهمٍّ وضيق، ولو كان فقيرًا مريضًا سجينًا.

ولكنْ ستجد أعدادًا كثيرةً ممن لم يدخل الإيمان قلوبهم عاشوا في نكد وهموم وضيق، وكانت نهاية كثير منهم الانتحار، وكثير من هؤلاء أغنياء وأصحَّاء.

فلا سعادة لك والله بلا إيمان..

۞ ما أطيب عيش مَن عاش مع الله، قال ابن الجوزي رحمه الله: «أبناء الدنيا: كلٌّ منهم خائف أن يُقتل أو يُعزل أو يُشتم، فعيشهم نغص، ونحن نأكل ولا نخاف من عدو، ولا وِلايتنا تقبل العزل، والعزّ في الدنيا لنا لا لهم، وإقبال الخلق علينا، وفي الآخرة بيننا وبينهم تفاوت، إن شاء الله». [صيد الخاطر ص٤٥٨]

۞ إذا كان مثقالُ ذرة من إيمان بالله يُخَلّص من الخلود في دار الآلام، فكيف بإيمان عظيم بالله وحبّ وإخلاص له؟

أتدري بماذا وُعِدَ هؤلاء المؤمنون: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فكان جزاؤهم:

١ ـ جنات تجري من تحتها الأنهار.

٢ ـ خالدين فيها.

٣ ـ ومساكن طيبة.

٤ ـ في جنات عدن.

٥ ـ ورضوان من الله أكبر.

ذلك هو الفوز العظيم.

۞ شتان بين من طهّر روحه بالإيمان والقرآن فعَمَرت جسده، وبين من نجّسها بالكفر أو النفاق أو العصيان فخرّبت جسده..

إنّ روح المؤمن إذا صعدت إلى السماء فاح منها ريح طيّبة، فيقول أهل السماء لها:

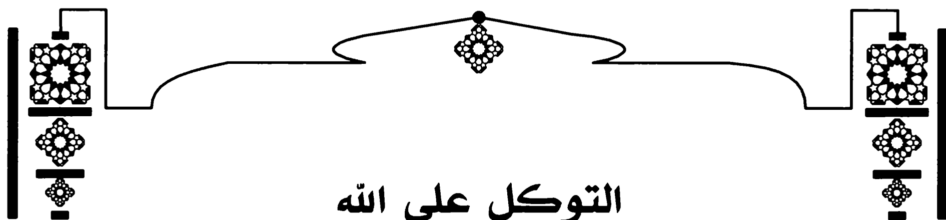
«روحٌ طيّبة جاءت من قِبَل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه». رواه مسلم.

يا لسعادتها وهي تسمع هذا الدعاء والثناء من ملائكة السماء..

اجْعل روحك تعمر بدنك، ولا تجعل هواك يُخرّبه ويُفسده.

۞ حلاوة العبادات القلبية لا يذوقها إلا من اصطفاه الله وأتم عليه النعمة، ومن ذاقها وخالطت قلبه حلاوةُ الإيمان وطعم اليقين والرضا وشكر الله على هذه النعمة فلن يسلبها الله منه بإذنه ﷻ، وهذا بخلاف حلاوة ولذة العبادات الظاهرة، فقد يذوقها بعض الناس، ثم يتراجع بعد ذلك فيفتر أو ينتكس والعياذ بالله.





التوكل على الله

۞ من أعظم آثار رضا الله عنك: أن يجعلك ترضا عنه وعن جميع أقداره.

فترى بعين يقينك وحبك له أن كل أقداره لك لا عليك، وأنها في غاية اللطف والرحمة بك.

ولو كان فيه فقْد ولدك أو ذهاب مالك أو تأخر زواجك أو تضييق لمعيشتك ورزقك.

ووالله لن يخذلك ربك اللطيف الودود الرحيم البرّ الذي يسمع نداءك ويرى حالك ما دمتَ متعلقًا به سبحانه.

۞ إياك والمبالغة في التفكير في العواقب، فهو يَمْنَعُك من الإبداع والكثير من الخير.

فإذا عزمت على أمر قد ألْمَمْت به وأتقنته واستشرت أهل الخبرة والتجربة: فاستعن بالله وامض بلا تردد، ودع الخوف من النتائج السلبية، ولو أخطأت فأنت لم تخسر، فما من ناجح إلا قد وقع في الزلات والأخطاء إلا ما شاء الله.

۞ من توكل على الله أمده بقوة حسية ومعنوية، وفَتَحَ له أبواب الرزق.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو حقّق الناسُ التوكلَ على الله بقلوبهم لساق

إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح. [جامع العلوم ٥٠٢]

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: من سره أن يكون أقوى الناس: فليتوكل على الله تعالى. [جامع المسائل ٣/ ٥٥]

وقد وَعَد ربنا وهو أوفى من وَعَد: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وإذا كان الله حسبك: كفاك وأعانك وقواك وحماك ورزقك.

۞ من كان اعتماده في تحصيل أموره على الأسباب أوكله الله إليها ولم يبارَكْ له فيها، ومن كان اعتماده في تحصيلها على الله بصدق ويقين مع فعل الأسباب: أوكله الله إليه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وبارك له في الأسباب التي اتخذها.

فقل وكرر: حسبي الله ونعم الوكيل، إياك نعبد وإياك نستعين، لا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ كن دائم اللجأ إلى الله، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع العارفون بالله على أن التوفيق هو ألا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلّي بينك وبين نفسك.

خاب رجاء امرئ له أمل   بغير رب السماء قد وصله
أيبتغي غيره أخو ثقة   وهو ببطن الأحشاء قد كفَله

۞ إذا كنت مع الله فالله معك..

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

لا حزن مع الله.

لا خوف مع الله.

لا ضيق مع الله.

لا يأس مع الله.

ومن كان الله معه فما له وللحزن؟

إنما الحزن والألم والضيق والنكد لمن فاته الله..

فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن؟

ومن فاته الله فبأي شيء يفرح؟

مسكين من فاته الله..

۞ ربّى الله نبيّه ﷺ على الرجاء وحسن الظنّ.

ولما حزن على حال المعرضين قال له: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

ولما ضاق صدره لعدم استجابتهم قال له: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ولما دعا عليهم قال له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

فأبشر وأحسن الظن بربك ولا تحزن على ما تراه وتسمعه، فأنت منهي عن ذلك، ولن تجني إلا الهم.

۞ قد يبتليك الله بتعلّق قلبك بأمر من الأمور، وينشغل ذهنك به، فإياك أن تسأله الحصول عليه ولو كان مباحًا، فقد يكون فيه ضررٌ عليك في دينك أو دنياك.

ولكن اسْأله الخِيرة فيه، وفوِّض إليه اختيار الأصلح لك، وقل في

كل شؤونك كما قال العبد الصالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

۞ من سُنَّة الله التي لا تتبدل في الماكرين والمُفسدين:

١ ـ العذاب في الدنيا بالهموم والمصائب. ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [فاطر: ١٠].

٢ ـ بطلان مكرهم. ﴿وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

٣ ـ رجوعه عليهم. ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

فكن مطمئنًا، فمكر الكافرين والمفسدين إلى بوار.

والله خير الماكرين.

۞ علاج المصائب والمواقف المُؤلمة يكون باتّخاذ هذه الخطوات:

قبل وقوعها: باليقين بأن مقدّرها حكيم رحيم، ولن يقدّرها عليك إلا رحمةً بك ولحكمة يعلمها.

ولو كشف لك عن مصلحتك فيها لاستحييت من حزنك عليها.

وأثناء وقوعها: بتصغير حجمها مهما كان ألَمُها.

وبعد وقوعها: بنسيانها مهما سعى الشيطان في تذكيرك بها.



الثناء على الله والتأمل في مخلوقاته

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قضى الله أن لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ومن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد.

فما أَغناه حينئذ من فقير، وأَعزه من ذليل، وأَقواه من ضعيف، وآنسه من وحيد، فهو الغني بلا مال، القوي بلا سلطان.

قد قرت عينه بالله فقرت به كل عين.

واستغنى به فافتقر إِليه الأغنياء والملوك.

طريق الهجرتين (ص١٠٧ ـ ١٠٨)

۞ إنك لا تخص بالهدية الثمينة إلا من تعلم أنه يفرح بها ويشكرك بقلبه ولسانه عليها.

والله لا يخص بالإيمان واليقين وحبه والتلذذ بطاعته والشوق إلى لقائه والعمل الصالح والعلم النافع إلا من يعلم أنه يفرح بها ويشكره بقلبه ولسانه عليها.

فمن حرم ذلك فليقرأ على نفسه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣]؟

والشكر معه المزيد أبدًا، لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، فمتى لم تر حالك ودينك وعلمك في مزيد فاستقبل الشكر واستكثر منه.

والشكر الذي يحبه الله ووعد صاحبه بالمزيد يكون باللسان والقلب والعمل:

أما اللسان: فأن تكثر من شكره بصدق على كل شيء، فإذا دخلت بيتك شكرت الله بصدق على نعمة البيت الذي يسترك، وإذا استيقظت من نومك شكرته على أن عافاك وأحياك لتتزوّد من الأعمال الصالحة، وإذا أكلت وشبعت شكرته على هذه النعمة العظيمة التي حُرمها كثيرٌ من الناس، وإذا صلّيت أو قرأت القرآن أو عملت صالحًا شكرته على أن هداك ووفقك لهذا الفضل الكبير.

وأما القلب: فباعترافك أنّ هذه النعم من الله، ولا يستحق الشكر الكامل عليها إلا الله، وأن يمتلئ قلبك بحبّ الله الذي وهبها لك، وأن يكون شكرك بلسانك نابعٌ من قلبك.

وأما العمل: فأن تعمل العمل الذي يُرضي الله، وتبتعد عما يُبغضه.

۞ الأرض بجناتها وأنهارها وقصور أهلها وزخارفهم وكل ما متَّعهم الله بها من زهرتها، لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وقد أعد الله للمسارعين المسابقين إلى مغفرته جنة عرضها السماوات والأرض، فلا تفرط فيها لأجل شهوة زائلة، ولذة عابرة، وصدق الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠]، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى.

۞ يقوم مجموعةٌ من الناس بوضع الأنظمة العالمية، وتتغيّر مع مرور السنين، ومع ذلك وُجد فيها من الأخطاء ما لا يُحصى، وأتى النبيّ ﷺ وحده بنظام متكامل في كل شؤون الحياة، ولم يوجد فيه خطأ

واحد، ألا يدل هذا على أنه وحي من خالق البشر، الذي يعلم ما يُصلحهم وما يُفسدهم؟

بلى والله، فاستمسك يا أخي بدينك الكامل.

❁ من عرف قدْر نفسه تواضع وصغرت في عينه ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة: ٣٧، ٣٨]، ومن عرف قدْر الله تعالى خافه وعظّمه وحذر من معصيته ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج: ٧٤].

فأكْثِر من التفكر في نفسك وضعفها ونقصها، وفي آيات الله ومخلوقاته العظيمة؛ لتعرف بها عظمته سبحانه.

❁ **فيروس كورونا:** مخلوق من أضعف خلق الله، لا تراه من صغره العيون، ولا يُحَسّ به لهوانه، ومع ذلك كان سببًا في أزمة عالمية لم يُعرف لها نظير، أخلى الطرقات، ومنع التجمعات، وألجأهم إلى المكث في بيوتهم، وألقى الذعر في قلوبهم، فتحركت الجيوش لا لقتاله، بل للمنع من لقائه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

❁ سلفنا أول من اكتشف كروية الأرض!

قال إياس بن معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السماء على الأرض مثل القبة.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من المعلوم أن الأفلاك مستديرة كروية الشكل.

❁ في الكون وفي أنفسنا دلائل قاطعة تكاد تنطق وتقول: الله هو الحق المبين، وسنرجع إليه بعد موتنا ويُحاسبنا على أعمالنا.

وفي كتاب الله وسُنَّة نبيّه ﷺ أضعاف أضعافها.

ومن تأملها بلغ به اليقين ما لو فُرجت له السماء ورأى يوم القيامة والجنة والنار والحوض والميزان ما ازداد يقينًا عما هو عليه.

۞ سبحانك ربي لا إلٰه إلا أنت.

تعلم ما كان وما يكون.

وتعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا تعلمها، وتعلم كل حبة في ظلمات الأرض وكل رطب ويابس.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

كرسيك وسع سماواتك كلها.

فكيف بعرشك؟

تسبح لك السماوات والأرض وكل شيء.

فسبحان الله الخالق العظيم.

۞ في خلْقك ونفسك وحالك دليل ظاهرٌ واضح جليّ على وجود الله واتّصافه بصفات الكمال ونعوت الجلال.

وللهِ في كلِّ تحريكةٍ ... وتسْكينةٍ أبدًا شاهد
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنه واحد

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصولُ الإيمان التي اتَّفقت عليها جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم:

١ ـ إثباتُ الخالق.

٢ ـ وصفاتِ كماله.

٣ ـ وصدقِ رسُلِه.

٤ ـ ووعْدِه ووعِيدِه.

إذا تأمَّل الإنسانُ حالَه وخلْقه وجدَه من أعظم الأدلة على صحتها وثبوتها، فتكفي الإنسانَ فكرتُه في نفْسه وخلْقه. [التبيان في أقسام القرآن ص٦٢]

تفكر:

- من علّق أرضنا في السماء وأمسكها وجعل فيها الحياة من بين ملايين الكواكب؟
- من جعل الشمس تلتهب ولا ينقطع لهيبها ولا يأكل بعضها بعضًا؟
- من خلقك من ماء مهين فكنت سميعًا بصيرًا؟
- من سيّر الكون بنظام دقيق وترتيب عجيب بديع؟
- من جعل قلبك ينبض بلا توقف؟

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد
تأمل سطور الكائنات فإنها ... مِن الملِك الأعلى إليك رسائل
وقد خُطّ فيها لو تأمَّلت خطَّها ... ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل

التفكر، والتأمل، والتدبر: هو أساس العمل، وصلاح القلب:

ولذلك أَكْثر الله تعالى من الأمر بذلك.

فكلما أبحرت في العلم: ازددت يقينًا أنك لم تزل قليل البضاعة في العلم، وأدّى بك ذلك التفكر إلى مزيد الجهد في التعلم، وعدم القناعة باليسير منه، وعدم الاغترار والعجب بما عندك من العلم.

وكلما أبحرت في التفكر في خلق نفسك والكون: ازددت يقينًا بعجزك وضعفك، وعظم خالقك ﷻ، وأدّى بك ذلك التفكر إلى ازدراء نفسك، والتواضع وهضم النفس، وعدم الانتقام لها، وامتلأ قلبك بتعظيم الخالق القادر العظيم ﷻ.

وكلما أبحرت في التفكر في أسماء الله الحسنى، وتدبرت القرآن: ازددت يقينًا بتفريطك في حقه، وأدّى بك ذلك التفكر إلى الاجتهاد في العبادة، وعدم القناعة باليسير منها.

وكلما أبحرت في التفكر فيما أعده لك في الجنة من النعيم والكرامة واللذة: ازددت شوقًا لها، ورجاء وحبًّا، وأدّى بك ذلك التفكر إلى عدم القنوط واليأس، والسعادة والأنس بالله.

وكلما أبحرت في التفكر فيما أعده الله للكفار والمجرمين في النار، من العذاب الأليم، والزقوم والأغلال: ازددت خوفًا منه، وعدم الاتكال على العمل، وأدّى بك ذلك التفكر إلى العناية بحسن العبادة والعمل، وعدم مقاربة المعاصي، وكرهها والحذر من نزغات الشيطان، الذي يسعى أن تكون معه فيها.

وكلما أبحرت في التفكر في الناس، وما جُبلوا عليه من البخل، والعداوة، والتسلط، وعدم التماس الأعذار، وتتبع العثرات: ازددت يقينًا بعدم الركون إليهم، وكثرة خلطتهم، وأدّى بك ذلك التفكر إلى عدم الاكتراث بمدحهم وذمهم، وعدم الانشغال بانتقادهم، والردود عليهم.

وكلما أبحرت في التفكر في قصر الحياة: ازددت يقينًا بعدم الركون إلى الدنيا الفانية، وأن الانشغال بها كانشغال المسافر ببناء بيت في أرض سيبيت فيه ليالي معدودة ثم يكمل سفره إلى مقصوده، وأدّى بك ذلك التفكر إلى راحة الفكر من الانشغال بالدنيا، وعدم التوسع فيها، وامتلأ قلبك بالتأمل في الدار الآخرة.

وكلما أبحرت في التفكر في القضاء والقدر: ازددت يقينًا بأنّ الله لم يقدر الشر والضر إلا لحكمة بالغة، وغاية حميدة، كجرعة دواءٍ مرٍّ

تعقبها عافية وسلامة، وأدّى بك ذلك التفكر إلى عدم الجزع من المصائب التي تصيبك في ولدك، أو مالك، أو أمتك.



الدعوة إلى الله وفضلها

۞ **قابلني شاب فقال:** كنت معرضًا عن الله، ومرتكبًا للفواحش، فسمعت يومًا كلمةً من أحد الدعاة إلى الله فتأثرت، وخرجت من المسجد تائبًا إلى الله، وهجرت المعاصي وأقبلتُ على ربي.

فتأمل: كلمة واحدة أخرجت هذا الشاب من الظلمات إلى النور!

فما أعظم أثر الدّعوة والدعاة جزاهم الله خيرًا.

۞ أتعلم أنك إذا تسببت في هداية ضال أفضل من امتلاكك مئات الآلاف وإنفاقها في سبيل الله؟

قال النبي ﷺ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حينما أمره بالمسير لفتح خيبر: «**ادعُهُم إِلَى الإِسلَامِ، وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم مِن حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَن يَهدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِن أَن يَكُونَ لَكَ حُمرُ النَّعَمِ**». [رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦)]

قال القرطبي رحمه الله: يعني به ـ والله أعلم ـ أنّ ثواب تعليم رجل واحد وإرشاده للخير أعظم من ثواب هذه الإبل النفيسة لو كانت لك فتصدقت بها؛ لأنَّ ثواب تلك الصدقة ينقطع بموتها، وثواب العلم والهدى لا ينقطع إلى يوم القيامة، كما قال النبيّ ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة**»، فذكر منها: «**علم ينتفع به**».

[المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٢٧٦]

فكيف إذا اهتدى على يديك العشرات؟

هنيئًا لمن كان شغله في الدعوة إلى الله، أو تعليم الناس العلم النافع في مواقع التواصل وغيرها..

۞ إن الذين يدعون إلى الله بلا ضجّة ولا إعلان هم المجاهدون، هم الجنود المجهولون، هم الذين بنوا هذا الصرح العلمي الذي ردّ عنا أمدًا طويلًا هجمة الإلحاد والفساد، لقد كانوا يعملون وحدهم لا يريدون أن يراهم الناس ليهتفوا لهم، بل أن يراهم الله فيثيبهم ويدخلهم الجنة.

[ذكريات علي الطنطاوي رحمه الله ٧/١٣]

۞ أيها الداعي إلى الله:

إنك ترى ثمارًا كثيرة مما تبذله في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، ومن ذلك حرص الناس على الاستماع لك، وإقبالهم عليك، واستفادتهم منك، مما يجعل صدرك ينشرح وتغمرك السعادة التي تلازمك ما لازَمْتَ عملك هذا داعيًا إلى الله على بصيرةٍ، ولتعلم أن هذه الثمار من الجزاء المعجل في الدنيا، فما بالك وهذا كله ما هو إلا نزرٌ يسيرٌ جدًّا في مقابل ما تلقاه من الجزاء العظيم الكبير يوم القيامة؟ فهنيئًا لك.

۞ **أيها الداعي إلى الله:** كان من قبلك في بعض الأزمان يُعادى إذا دعا إلى الله، ويتعرّض للأذى الحسيّ والنفسيّ، وأنت اليوم تُنادَى لتدعو إلى الله وتبليغِ رسالاته، وتسمع الثناء والمدح والشكر، وتُستقبل أحسن استقبال، ويفرح بك الناس.

فما عذرك أمام الله إن تقاعست عن الدعوة؟

فابذل نفسك ووقتك في نشر علمك يُبارَك لك فيه.

۞ قوافل الداعين إلى الله، المبلّغين رسالاته: تمضي وتسير

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، يا للشّرف! اركب معهم يا طالب العلم، بنشر علمك غاية جهدك، اركب معهم أيها المسلم، اركبي معهم أيتها المسلمة. .

لا تتخلفوا عنهم؛ لتحطوا رحالكم في المنازل العالية في الجنة بإذن الله.

۞ قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، قال القرطبي رحمه الله: «الدّعاء إلى الله: هو تبليغ التوحيد، والأخذ به، ومكافحةُ الكفرة».

فالداعي إلى الله الصادق: هو الذي يدعو إلى الله، ويجعل جُلّ دعوته في الدعوة إلى توحيد الله وتعظيمه، لا يدعو إلى مذهبه ولا جماعته ولا حزبه.

۞ شتان بين من سخَّر وقته وماله وتفكيره لإرضاء ربه، وتبليغ رسالاته، وبين من سخر ذلك لإرضاء نفسِه، وخدمة بدنه.

وكلّ الناس يتعب، وخيرهم من يكون تعبه لله.

۞ ما من نبيّ إلا جعل الله له عدوّا يُنكّد عليه طريق الدعوة إلى الله ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

فإذا رأيت من تسلّط عليك وحَاربك ووقف في طريق دعوتك إلى الله فلا تحزن؛ لأنّ هذا هو طريق الأنبياء.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ يهديك، وقد حَرَم الهداية هذا المتسلّط، ﴿وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١] ينصرك عليه.

۞ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢]؛ أي: يُبطِّئ

ويُثبّط غيره عن نصرة الدين، ومن صِفات الْمُبَطِّئين لأهل الخير:

١ ـ كثرة انتقادهم.

٢ ـ تتبع زلاتهم.

٣ ـ تخويفهم من العواقب الوهمية لما يقومون به.

وعكس هذا الصنف: المحفِّز، الذي يحفّز غيره على الخير والبذل والإصلاح، فكن محفّزًا لا مُبطِّئًا.

۞ إذا بذلت نصيحةً لأحدٍ أو كتبتها في مواقع التواصل ولم يُسْتجب لك أو لم تجد قبولًا فلا تقل: ضاع وقتي.. ذهب كلامي هباء.

إنَّ نصائحك محفوظة عند من لا تخفى عليه خافية ﷻ، وستراها يومًا في صحائف أعمالك.

فقد حفظ الله نصائح الأنبياء رغم عدم مبالاة أقوامهم بها.

فأنت مطالب بأن تبلّغ لا بأن يُستجاب لك.

۞ **الواجب تجاه المنكر:**

١ ـ بغضه وإنكاره بقلبك.

٢ ـ دعاء الله بأن يزيله.

٣ ـ الصبر وعدم الجزع.

٤ ـ الإيمان بأنه من تقدير الله لحكمة يعلمها.

٥ ـ عدم نشره.

٦ ـ ألا يكونَ سببًا في التحريض على ولي الأمر المسلم.

٧ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما تستطيع وخاصة أهلك.

٨ ـ عدم الشماتة، وسؤال الله العافية.

٩ ـ حمدُ الله وشكرُه على أنْ عافاك منه فلم يصدر منك.

۞ أعظم نصرة للنبي ﷺ: عملك بسنته وسعيك في نشرها.

وقد قال النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**».

بلغوا: تكليف.

عني: تشريف.

ولو آية: تخفيف.

فانشر أقواله وأفعاله وأخلاقه واعمل بها، وبهذا تكون قد نصرته أعظم نصرة.

فيا أمة محمد ﷺ انصروا نبيكم بالعمل بسنته والدعوة إليها وإظهارها وإشهارها ومعاداة أعدائها.



العلم والعلماء ووصايا لطالب العلم

۞ كلّ علم لا يقربك إلى الله ولا ينجيك من عذابه فليس بعلم في الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٦، ٧].

فنفى عنهم العلم، وأثبت لهم علمًا بظاهر الحياة الدنيا، فدل ذلك على عدم اعتبار هذا العلم وأن وجوده كعدمه.

فالعلم الذي لا ينفع ليس بعلم، كمن يعلم عدد حبات كثيب رملي، وحجارة ذلك الجبل، فهل هذا علم؟

قال الزمخشري: وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾، وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده، ليُعْلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا. اهـ.

فلا تتفاخر بعلم حقيقته جهل.

ولو أنَّ رجلًا عنده امتحان في علم معيَّن، فانشغل عنه بمُذاكرة علمٍ آخر، فهل سينفعه في الامتحان؟

قطعًا لن ينفعه، فالله تعالى أوجدنا في هذه الحياة وعلّمنا ما ينفعنا في امتحان الآخرة، فلا يليق بالعاقل أن يترك هذا العلم وينشغل بعلم آخر لا ينفعه في امتحان الآخرة.

۞ كان الصحابة ومن تبعهم من السلف الصالح ﷺ يعتنون بالعمل والعلم معًا.

وبهذا كانوا قدوة لمن بعدهم، وارتفع قدرهم، وعظم نفعهم، وكثر عطاؤهم، وصفت قلوبهم، وزكت نفوسهم، ودانت لهم الأمم.

ووالله لن يَصلح حالك إلا بما صلح به حالهم.

ولما كان كثير ممن جاء بعدهم على عكس ذلك: لم يقتد بهم مَن جاء بعدَهم، ونزل قدرهم، وقلّ نفعهم، وضعف عطاؤهم، ولم تصفُ قلوبهم، ولم تزك نفوسهم، بل دبّ فيها الحسد والشحناء، وهانوا على الأمم؛ لأنهم انشغلوا بتحصيل العلم عن العمل للتكاثر أو المفاخرة، والفلاحُ كلّ الفلاح في العمل بالعلم، فالعلم والعمل متلازمان.

وليكن أعظم همّك وغايتك في أمرين:

١ ـ عمل قلبك بالإخلاص والإيمان والصدق وحب الله ورجائه وخوفه.

٢ ـ عمل جوارحك بكثرة العبادات القولية والفعلية.

۞ أهل العلم والمعرفة أقوى الناس قلبًا وأغناهم نفسًا وأعزهم حالًا وأشرحهم صدرًا، ويشعرون بالأمن والثقة والعزة بالله أعظم من أمن وثقة الملوك بملكهم وجنودهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: سلطان الحال والقلب كسلطان المُلْك واليد، إلا أن أسباب هذا باطنة روحانية وأسباب هذا ظاهرة جثمانيه.

[تقريب الفتاوى ٥/ ٤٩٧]

۞ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كنهر عظيم عميق يجري بسرعة، لا يسبح فيه إلا الماهر الخبير.

وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كفرعٍ غير عميق من هذا النهر، ويجري بهدوءٍ، فيستطيع كلّ أحدٍ السباحة فيه.

فلا يقرأ لابن تيمية إلا الماهر بالعلم الخبير فيه.

ويستطع كلّ أحد أن يقرأ لابن القيم؛ لسهولة عبارته، وترتيب أفكاره، وتفصيل كلامه.

❁ **ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ طبقات الناس يوم القيامة وقسَّمهم على حسب تفاضلهم:**

الأولى: الرسل والأنبياء.

الثانية: ورثتهم في العلم والعمل.

الثالثة: أئمة العدل.

الرابعة: المجاهدون.

فانظر يا طالب العلم إلى علوِّ وشرف مكانتك.

واعرف قدر ما تملك.

فتلك والله المكارم والغنائم.

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

❁ قال الله تَعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ١٥]، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الآية دليلٌ على شرف العلم وتقدّم حملته وأهله، وأنّ نعمة العلم من أجلّ النّعم وأجزل القسم، وأنّ من أوتيه فقد أوتي فضلًا على كثيرٍ من عباد الله المؤمنينَ». [تفسير القرطبي ١٦/ ١١٢]

وقال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله؛

حيث شكرا على العلم، وجعلاه أساس الفضل، ولم يعتبرا دونه ما أُوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما، وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وإنْ فُضِّل على كثير فقد فُضِّل عليه كثير. [تفسير البيضاوي ٤/١٥٦]

فالله تعالى ذكر أن داود وسليمان عليهما السلام حمِدا الله على أنه فضَّلهما على كثير من عباده المؤمنين، بعد أن ذكر أنه آتاهما علمًا، فدل على أن العلم النافع الذي يدفع صاحبه للعمل به هو أجل النعم، وأفضل المنن.

وحينما رأى سليمان عليه السلام عرش ملكة اليمن مستقرًّا عنده قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠] فأخبر أنه من فضل الله، بينما ذكر أن الله فضله على كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ بالعلم، وذكر أن نعمة الملك وخرق العادة ابتلاء، بينما ذكر أن العلم اصطفاء.

وتأمل قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ١٥] فلما علِما عمِلا، فشكرا الله تعالى، فبعد العلم جاء العمل، فأيُّ علمٍ لا يُثْمر عملًا فليس علمًا نافعًا.

۞ **وصية ثمينة:** يجب على طالب العلم الذي يريد أن يكون نافعًا لنفسه ولأمته ألا يكون عنده اتجاه إلى قول معين من الأقوال، بل إذا راجع خلاف أهل العلم يكون متجِّردًا، ويقف بين أقوال أهل العلم موقف الحَكَم، الذي لا يُفَضِّل أحدًا على أحد. [الشرح الممتع ١٣/٥٤]

الزم هذه الوصية، فبها تُوفق للحق والبركة.

۞ عاشرت خلال سنوات مضت العديد من الناس..

وخضت العديد من الهوايات..

وجربت الكثير من الأمور..

فما وجدت أعز ولا أنفع ولا أفضل ولا أمتع ولا أغلى من العلم الشرعي.

قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ميراث العلم خير من ميراث الذهب والفضة».

وصدق والله.

۞ من أجلّ النعم أن يُبارك الله في طالب العلم، وينشر علمه في حياته وبعد موته ويكتب القبول لمصنفاته.

قال ابن خلكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٣): «رُزق أبو الحسن الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها».

نسأل الله الكريم الجواد الودود من واسع فضله وفيض عطائه وعظيم إحسانه.

۞ **هل تريد أن تنال أفضل الكرامات؟**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظم الكرامة لزوم الاستقامة».

وإذا بذلت جهدًا في تعلّم ما ينفعك في دينك: فقد حُزتَ الكرامات العظيمة.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتغال العلماء بالعلم كرامات كثيرة. تريد للعلماء كرامة أفضل من اشتغالهم بالعلم؟».

۞ تعلّم واطلب العلم واقرأ، ولو تقدّم بك العمر، ولو نلت منصبًا كبيرًا، قيل لأبي عمرو بن العلاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيَحْسُنُ بابن الثمانين سنة أن يتعلم؟

قال: نعم، إن كان يَحْسُنُ به أن يعيش!

۞ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أطباء الأديان، تُشفى بهم القلوب المريضة، وتهتدي بهم القلوب الضالة، وهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ كان بعض العلماء قلَّما يترك ثلاث كلمات جامعة للخير، وهي:

١ ـ اتّبع ولا تبتدع.

٢ ـ اتَّضع ولا ترتفع؛ أي: تواضع.

٣ ـ مَن وَرِع لم يقع.

حقًّا، هي جامعة لكل خير، ومُجنّبة لكل شر، فحريّ بالمسلم أن يحفظها ويعمل بها، ويُوصي بها غيره.

۞ يا من زكيت علمك النافع وبذلت قصارى جهدك في نشره: يومًا ما ستغادر هذه الدنيا، وقد نشرته بكل ما تستطيع، بقلمك ولسانك ومالك، وسيبقى أثره بعد موتك يُدرّ عليك الحسنات درًّا، فهنيئًا لك، فلا تلتفت للمخذلين.

قال الله تعالى: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس: ١٢].

فالويل لمن نشر علمًا فاسدًا، أو كتم علمًا نافعًا.

۞ إذا كثر علم الإنسان: قلّ اعتراضه وانتقاده.

وإذا كبر عقلُه: قلّ تعرّضه لصغار الأمور لانشغاله بكبارها وعظائمها.

وإذا عظمت همّته: هانت في نفسه المصاعب.

وإذا عظم حِلمُه: صغرت في عينه سفاهات السفهاء وحماقات الحمقى.

فمن رُزق علمًا وعقلًا وهمّة وحلمًا: فقد كمل ونبغ وفاز وسعُد.

❁ **معادلة لا تكاد تنخرم:** إذا ازداد الإنسان معرفة بدينه وربه: ازداد تواضعًا، وعظمت أخلاقه، ولانت عريكته، وعدّ نفسه كآحاد الناس.

والعلم إذا أُطلق يقصد به:

١ ـ العلم بالله.

٢ ـ العلم بأعمال القلوب.

٣ ـ العلم بالأحكام والأدلة الشرعية.

وعلم الفقه وغيره: جزء من جزء من جزء من علم الدين، كما قال ابن تيمية رحمه الله.

❁ رأس الفضائل العلم، وكل من كان أفضل من غيره من الأنبياء والصحابة وغيرهم: فإنه أعلم منه، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. ابن تيمية رحمه الله

❁ **قال الشافعي** رحمه الله: كفى بالعلم فضيلة أن يدّعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نُسب إليه! [حياة السلف: ٦٥]

❁ تخيّلت نفسي يومًا أني لم أتعلم!

كيف سيكون خُلقي، وقضاءُ وقتي، وحالي مع ربي، وتعاملي مع نفسي وأهلي والناس؟

إني لا أعدّ حياتي قبل العلم حياة؛ لأنها بلا روح.

ولا أعدّها من عمري؛ لأنها بلا هدف ولا إنجاز.

تعلّم ولو جاوزت سنّ الثمانين.

وليكن هدفك:

١ ـ رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك.

٢ ـ رضا ربك.

۞ من الأمانة عزو الكلام لقائله، والذي ينتحله له قد كذب، وقد قال النبي ﷺ: «**المتشبع بما لم يُعْط كلابس ثوبي زور**».

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من بركة العلم عزْوه لقائله.

۞ أتعلم من هم ملوك الآخرة؟

هم:

١ ـ العلماء.

٢ ـ أئمة العدل.

٣ ـ أهل الجهاد.

٤ ـ أهل الصدقة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هؤلاء ملوك الآخرة، وصحائف حسناتهم متزايدة، تُمْلى فيها الحسنات وهم في بطون الأرض، ما دامت آثارهم في الدنيا، فيا لها من نعمة ما أجلها، وكرامة ما أعظمها».

كن أحد هؤلاء، ولا تعش لنفسك.

۞ قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل موته بمدة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النوم، وسأله عن منزلته؟ فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر.

ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ. [ذيل طبقات الحنابلة ٥/ ١٧٦]

اللهم اجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة، وأحبابنا وأهلنا. آمين.

۞ هنيئًا لمن بذل ما يستطيع لتبليغِ دين الله ونشر الخير بماله أو علمه، فإذا فني جسده بقي أثره.

ما ماتَ من كان عزُّ الدّين يَعقُبُه وإنّما الْمَيْتُ منكم مَن له عقبُ

هذا والله الغنيمة، لا غنيمة الجاه والمال والمنصب الذي يفنى بفناء صاحبه.

يموت قوم فيُحيي العلمُ ذكرهم والجهل يُلحق أحياءً بأموات

۞ الجلوس مع قوم يغتابون ويشتغلون بتتبّع عثرات وعيوب الدعاة والمشايخ تُقسي القلب، وتمنع نور العلم ولذة الإيمان، فكيفَ بِحال من يُباشر ذلك بنفسه؟ رحماك يا رب.

۞ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من تلبيس إبليس على بعضهم: أن يحسّن لهم ازدراء الوعاظ، ومراده ألا يحضروا في موضع يَلين فيه القلبُ ويخشع»!

فاحذر من تنفير الناس عن أهل العلم والواعظين الصالحين.

۞ **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في منهاج السنّة (١/ ٢٢): «من أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غلّ لخيار المؤمنين».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من جعل كلّ مجتهد في طاعة أخطأَ في بعض الأمور: مذمومًا معيبًا: فهو مخطئ ضال مبتدع».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لو قُدِّر أنّ العالِم الكثيرَ الفتاوى أخطأ في مائة مسألة: لم يكن ذلك عيبًا، وكلٌّ من سوى الرسول ﷺ يصيب ويخطئ.

[مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٠١]

فاحذر القدح في الصالحين وأهل الخير.

۞ كم من شخص خاض في العلوم وتضرر بها، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في دينه ودنياه مما صار إليه.

ومن أمثلة هؤلاء: الطاعنون في أهل العلم والمصلحين، قال بعض السلف: من أطلق لسانه في العلماء بالثَّلْب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب.

۞ (تحتاج إلى نظر وتأمل) (يحتاج إلى تأمل) (ليس عندي جواب) (هذه تحتاج إلى نظر) (ما أدري) هذه بعض إجابات العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ! فلم لا نسمعها من بعض طلاب العلم؟

۞ عظّم أهل العلم أمر الفتوى وتهيّبوا منها وتدافعوها، ورأوها بلية يطلبون خلاص أنفسهم من تبعاتها كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المسألة إذا سُئل فيها الرجل ولم يجب واندفعت عنه فإنما هي بليّة صرفها الله عنه.

فأين من يتصدر للفتوى ويفرح إذا سئل، ويسعى في الظهور في الإعلام للفتوى وليس أهلًا لها!

۞ أعظم مكسب يسّره الله لي منذ ولدت بعد نعمة الإسلام: العلم الشرعي فيه ـ بعد توفيق الله ـ:

١ ـ عرفت ربي، فانشرح صدري.

٢ ـ وعرفت نفسي، فكشَف لي حقيقتها.

٣ ـ وعرفت عيوبي، فسعيت في إصلاحها.

٤ ـ وعرفت الناس، فلم أنشغل بهم.

٥ ـ وعرفت حقوق من له حق عليّ، فحرصت على السعي للقيام بحقوقهم.

٦ ـ وعرفت قيمة وقتي فحرصت على استثماره.

وكلما تذكرت حالي قبل العلم وبعده أقول: الحمد لله الذي نجاني من ظلمات الجهل.

۞ وجوب العلم أسبق وأوكد من وجوب الجهاد؛ ولولاه لم يَعْرفوا عَلام يُقاتلون، ولهذا كان قيام الرسول ﷺ والمؤمنين بذلك قبل قيامهم بالجهاد. ابن تيمية رحمه الله.

۞ التعب في طلب العلم يذهب وتبقى لذته وبركته:

«التكاسل في طلب العلم وإيثار عاجل الراحة يوجب حسرات دائمة لا تفي لذة البطالة بمعشار تلك الحسرة.

ولقد كان يجلس إلي أخي وهو عامي فقير، فأقول في نفسي: قد تساوينا في هذه اللحظة، فأين تعبي في طلب العلم؟ وأين لذة بطالته؟». ابن الجوزي رحمه الله.

۞ خاطرة شعريّة:

حياة العلم يا صحبي ... تزيد القرب من ربي
ونيلُ الْعِزِّ والشَّرفِ ... ببذل الجِدِّ في الطّلبِ
ومن طَلبَ النُّبُوغَ بلا ... مزيدِ الجردِ للكتب
وضبطٍ للأُصولِ كمن ... يرومُ غنًى بلا كَسْب

۞ درس في هضم النفس:

ترجم الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ لنفسه فقال: الذهبي: مخرج هذا المعجم، جمع تواليف (يقال) مفيدة! والجماعة يتفضلون ويثنون عليه وهو أخبر بنفسه.

۞ قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة أحد العلماء: كان يتمنّع من التحديث. [تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٢]

وقال السِّلَفي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة أحد العلماء: كان يمْتنع من الرواية. [معجم السفر ص٢٣٥]

أي حرمان أعظم من حرمان العالِم من نشره لعلمه.

حرم نفسه الأجر، وحرم غيره العلم والنفع، نعوذ بالله من علم لا ينفع.

۞ ذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ أحد العلماء ووصفه بأنه علّامة ثم قال: «كان ضيق الخلق فلم يُقْدَر على الأخذ عنه، مشتغلًا بنفسه».

أمران حرما كثيرًا من أهل العلم من الانتفاع بعلمهم:

١ ـ سوء الخلق، فلم يقدر طلاب العلم على أن يستفيدوا منهم وينهلوا من علومهم.

٢ ـ اشتغالهم بأنفسهم بكثرة القراءة والمطالعة، أو بأمور المعيشة ونحو ذلك.

۞ كلّ من يُبْدي رأيه أو نصيحته إنما يُبدي لك ما يعمل ويقتنع به، فلذا لا تَسْتشر إلا صاحب العلم والعقل والخبرة، فكم مِن مشورةٍ أَعْقبتْ مَصائب كثيرة!

۞ إذا اتسع علمك: هجرت كثيرًا من طباعك وعاداتك وتصوراتك وآرائك التي كانت مُسَلَّمَة عندك، وأنت مُقَيَّدٌ بها، أسيرٌ لها.

فكم للعلم من بركات على أهله الصادقين.

۞ ثمرات العلم!

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أوتي العلم مع الإيمان: فهذا لا يرتد عن الإسلام قط، بخلاف مجرد القرآن أو مجرد الإيمان فإن هذا الإيمان قد يرتفع.

۞ ليكن همّك أن تعمل بعلمك وأن تسارع إلى مرضاة ربك، فما العلم إلا وسيلة إلى العمل، وسبب موصل إليه، فإذا كان جلّ وقتك في العلم والقراءة، وتُساق للعملَ سوْقًا كالمكره: فقد جعلت العلم غايتك، والقراءة مقصدك، وهذا حرمان وخذلان.

ما العلم فخرُ امرئ إلا لعامِله ... إن لم يكن عملٌ فالعلم كالعدم

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تعلّم علمًا فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه.

وأما اقتصار العالِم على نفسه وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجُهَّال ما لا يعلمون: فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟

وأي نتيجة نتجت من علمه؟

وغايته أن يموت فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان».

۞ دين الله هو نوره، ومن يستطيع إطفاء نورٍ أضاءه الله؟ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

وإطفاؤه يعني خراب العالَم، ولذلك «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**» كما قال النبي ﷺ. متفق عليه

فإذا سعى عدوٌّ في أطفاء نور الله في مكان، قيّض الله من يُضيئه في مكان آخر، فالدين الإسلامي كالشمس إذا غابت في مكان أشرقت في مكان آخر، قال ابن عاشور رحمه الله: «وإضافة النور إلى اسم الجلالة إشارة إلى أن محاولة إطفائه عبث، وأن أصحاب تلك المحاولة لا يبلغون مرادهم». [التحرير والتنوير ١٠/ ٧٢]

فلا تخش على نور الله، ولكن اخش على نفسك ألا تكون قد استنرت به، ولم تنل شرف إضاءته، فابذل وسعك في العمل به، ونشره بكل ما تستطيع، عبر مواقع التواصل وغيرها.

۞ من صرف همه وشغل عقله في العلم النافع: وجد فيه من لذة العقل ما ينسيه لذة الجسم إلا فيما هو من ضرورته.

ومن صرف جسمه في العبادة، وشغل روحه بالتعلق بالله والافتقار له: وجد فيها من الأنس والنعيم ولذة الروح ما ينسيه كل متع ولذائذ الدنيا والمناصب والترف.

فهنيئًا لمن جمع بين العلم والعمل.

۞ فائدة العلم هو التطبيق العملي، بحيث يظهر أثر العلم على صفحات وجه الإنسان، وسلوكه، وأخلاقه، وعبادته، ووقاره، وخشيته، وهذا هو المهم.

وأظن أنه لو أتى رجل نصراني ذكي ودرس الفقه مثل ما درسناه لفهم منه مثل فهمنا أو أكثر، فالعلم فائدته الانتفاع. [الشرح الممتع لابن عثيمين ٧/ ١٦٦]

۞ أخلاق بعض أصحاب العلم كأخلاق الجهال.

وأخلاق بعض العوام كأخلاق العلماء والحكماء.

وخير الناس من جمع العلم وحسن الخلق.

وشرهم سيئ الأخلاق الجاهل.

۞ **أخي طالب العلم:** جاء في صحيح مسلم أن رجلًا جاء والنبي ﷺ يخطب، فقال له: رجل غريب جاء يسأل عن دينه؟

فترك ﷺ خطبته وأقبل عليه يُعلمه ويجيب عن أسئلته.

فما عذر من امتنع من تعليم الجاهل، وإرشاد السائل، ويتعلل بانشغاله بمكتبته أو بحوثه؟

وما أكثر طلاب العلم، وما أقلّ من نشر علمه واستفاد منه الناس!

۞ لو ذقت يا صاحب المال طعم ولذة إنفاق مالك وتفريج كربات المحتاجين لما ترددت في إنفاقه.

ولو ذقت يا طالب العلم لذة وبركة نشر علمك بكل وسيلة تقدر عليها وتفريج كربات الجاهلين وهداية الضالين وإرشاد السائلين لما ترددت في نشرِه.

إذا لم يبذل العالم علمه والغنيّ مالَه: كان شؤمًا عليهما في حياتهما وبعد مماتهما.

۞ **من أسرار النبوغ العلمي:**

١ ـ روحانية الذهن (خيال واسع).

٢ ـ لطافة الفهم (الدقة).

٣ ـ سلاسة القياد (عدم التعصب).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن حقق مسألة في اللغة:

وهذا من أسرار لغتهم ـ أي العرب ـ التي لا يهتدي إليها إلا كل روحاني الذهن، لطيف الفهم، سلس القياد. [جامع المسائل ٨/٣٤٨]

۞ سُئل ابن المبارك رحمه الله: هل للعلماء علامة يُعْرَفون بها؟

فقال: علامةُ العالم:

١ ـ من عمل بعلمه.

٢ ـ واستقَلّ كثير العلم من نفسه[1]

٣ ـ ورغب في علم غيره.

٤ ـ وقَبِل الحق من كل من أتاه به.

٥ ـ وأخذ العلم حيث وجده.

فهذه علامة العالم وصفته.

فذُكر ذلك للإمام أحمد رحمه الله فقال: هكذا هو. [طبقات الحنابلة ٣/٢٦٨]

۞ قال رجل للدارمي رحمه الله ـ وكان ممن يحسده ـ: ماذا كنت لولا العلم؟

فقال: «أردتَ شينًا فصار زينًا، لولا العلم لكنت بزّازًا من بزّازيِّ سجستان».

لو قارنت بين حالك قبل طلب العلم وبين حالك الآن: لعلمت نعمة الله عليك بالعلم، وماذا سيكون حالك لو لم يمنّ عليك بالعلم؟ فاحمد الله وانسب الفضل له، لا لاجتهادك وذكائك.

۞ لو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاةِ النبي ﷺ انشغلوا بالتباحث في العلم والمسائل، وقضوا أوقاتهم في التعلم: فهل سيكون الإسلام قد

---

(١) أي: رأى العلم الذي عنده قليلًا، فلذلك يجتهد في أخذ العلم من غيره.

وصل إلى ما وصل إليه من العزة والقوة والتمكين والانتشار في جميع الأقطار؟

لا

وهذا لا يعني أن تزهد في العلم، ولكن يجب عليك العمل بعلمك ونشره بقدر طاقتك: بقلمك ولسانك وتعاملك.

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منّا الظنون وضاقت بنا الأرض أتينا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوّة ويقينًا وطمأنينة».

قلتُ: والله إني إذا وجدت مثل ذلك راجعت كلامه في كتبه فيَذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوّة ويقينًا وطمأنينة.

۞ لَأن تستفيد من شيخك كيفية الوصول للمعلومة، ومعرفة طرق البحث: خير لك وأنفع من آلاف الفوائد التي تأخذها منه جاهزة دون كلفةٍ وعناء.

۞ قاعدة مفيدة، فاحفظها واجعلها منهجك:

العلماء يُحتج لهم لا بهم، ما لم يتفقوا على قول.

فإن كان ما نُقل عنهم مخالفًا للصواب تركناه، مع الاعتذار لهم.

وإن كان صوابًا استشهدنا به استئناسًا لا استدلالًا؛ أي: لا نسوق أقوالهم وأفعالهم للاحتجاج والاستدلال والإنكار على المخالف المجتهد - لا العامي -.

۞ يا طلاب العلم، يا أيها المشايخ، لا تبخلوا على إخوانكم من الخطباء والدعاة وطلاب العلم بكلمات الثناء والشكر.

فبها:

تكسبون ودّهم.

وترفعون هِمَمَهُم.

وتزيدون من عطائهم.

وتثيرون الحماسة في نفوسهم.

وتُغلقون عن الشيطان حباله التي يصيد بها من تخلى عنه الأحباب، وبخل بالثناء على جهوده الأصحاب.

❁ **[الْتماس الأعذار للعلماء]:** قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلماء لا يتناقض كلامهم، ولا ينبغي أن يُحْمل على ذلك ما وُجد إلى غيره سبيل، ولا يتعسف بإطلاق الرّد.

❁ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زلة العالِم:

«لا ينبغي أن:

١ ـ يُشنّع عليه بها.

٢ ـ ولا يُنْتقص من أجلها.

٣ ـ أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحتًا».

يا له من منهج!

❁ قال بعض السلف: العلماء ثلاثة:

١ ـ عالم بالله، وهو الذي يخشاه.

٢ ـ وعالم بأمر الله، وهو الذي يعرف أمره ونهيه.

٣ ـ وعالم بالله وبأمر الله، وهو الأكمل.

❁ **أهمية علم التاريخ:** قال أبو شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجاهل بعلم التاريخ

راكبُ عمياء، خابِطُ خَبْطِ عشواء، يَنسب إلى من تقدَّم أخبار من تأخر، ويعكس ذلك ولا يتدبر. الروضتين

۞ «ليت الزمخشري لم ينتحل مذهبًا، وإذًا لكان كشافه حجة ومرجعًا في تحرير معاني نصوص الكتاب والسُّنَّة؛ إذ كان من أدق علماء هذه اللغة فهمًا». محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ

۞ قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (في الدرر) عن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كان مع سعة علمه تعتريه حِدّة فِي البحث، تزرع لهُ عداوة في النّفوس، وإلا لو لاطف خصومه لكان كلمة إجماع.

۞ قال المبرد رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أبو حاتم النحوي رَحِمَهُ اللَّهُ دون أصحابه ـ أي أقل علمًا منهم ـ إلا أنه إذا خَرج من بلده لم يُلْق أعلم منه.

[إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٢]

وهذا حال كثير من طلاب العلم، إذا خرجوا من بلدانهم لم يُلق أعلم منهم إلا ما شاء الله، ولكنهم مغمورون ما داموا فيها؛ لوجود من هو أعلم منهم، أو أجْرأ منهم.

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يُعرف إمام من أئمة الإسلام ألبتة قال: لا نعمل بحديث النبي ﷺ حتى نعرف من عمل به». اهـ.

فكأن الحديث عند بعضهم: فرع، وعمل العالم: أصل!

۞ طالب العلم الصادق تتصاغر نفسه عنده حينما يرى ثمار أعماله وجهوده ودعوته والذكر الحسن؛ لأنه على يقين أنّ هذا ليس من ذكائه ولا من همَّته، بل هو محضُ فضلٍ من الله، ولم يهب له ربه هذا العطاء من بين كثير من الناس إلا ليبلوه أيشكر أم يكفر.

وشكر الله على هذه النعمة العظيمة الجليلة أمر ليس بالهين.

۞ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ **عن خالد بن الوليد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما خلقه الله عزًّا للإسلام وأهله وذلًّا للكفر وشتَات شمله».

قلت: وكذلك ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ جعله الله كذلك.

وإذا كان خالدٌ سيفَ الله سلّه على رقاب الكفار والمنافقين فابن تيمية سيفُ الله سلّه على عقائدهم الباطلة وشبههم الزائفة.

فقد مزّقها بقلمه ولسانه.

وقطّعها بحججه وبيانه.

۞ عندما أحس الشيخ عبد العزيز آل مبارك رَحِمَهُ اللَّهُ بدنو أجله قال: ما أسفت على شيء أسفي على علم بين جنبيّ لم أستطع أن أورِّثه لأحدٍ بعدي. [علماء نجد ٣/ ٢٦٩]

فانشر علمك يا طالب العلم ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، قبل أن تندم وتتحسر على علم تعبت في تحصيله، وتكاسلت في نشره وزكاته.

نعوذ بالله من علم لا ينفع.

۞ **قال الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطبع أرض والعلم بذر، ولا يكون العلم إلا بالطلب، فإذا كان الطبع قابلًا زكا مرْبَع العلم».

فبقدر قبول طبع طالب العلم للعلم وحرصه في طلبه وجودة العلم الذي يتلقاه: ينبغ ويُعان ويبارك له.

ولو كان غيره من أقرانه وشيوخه قد سبقوه.

فهذا من أعظم أسرار نبوغ الكثير من العلماء.

۞ «يجب على طالب العلم أن يخلص نيته لله، وألا يبالي أقال الناس أنه عالم أو شيخ أو أستاذ أو مجتهد أو ما أشبه ذلك.

لا يهمه إلا رضا الله وحفظ الشريعة وتعليمها ورفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن عباد الله، حتى يُكتب من الشهداء الذين مرتبتهم بعد مرتبة الصِّدِّيقين». ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ من أعظم ما يصد المسلم وخاصة طالب العلم عن الوصول للحق، ويحجب عقله من الانتفاع بالكتاب والسُّنَّة، ويحرمه من الحصول على كنوزهما: التعصب للمذهب أو الشيخ، أو الانتماءات الحزبية..

وإني لك ناصح محب: اجعل كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ الغذاء الأساس لروحك، والعمدة في الطلب والقراءة والعلم والعمل.

۞ هل يُطيق طالبُ علمٍ حياةً بدون إدمانِ بحث، أو تعليمٍ ونشرِ ما عَلِمَه، أو تأليف؟

وهل يرضا بأنْ يُوصَف بأنه طالبُ علمٍ بدون واحدةٍ منها؟

۞ أن تتمكن من العلم قبل أن تبرز وتشتهر خير وأصلح وأنفع لك وللناس من أن تبرز ثم تبدأ بالتمكن والضبط.

فتدارك نفسك قبل أن تُشغلك الشهرة عن العلم.

۞ حضور الدروس أولى للمبتدئ، والانكباب على القراءة والبحث أولى لغيره، قال المسعودي: تَعْرف من الكتاب في شهر ما لا تأخذه من أفواه الرجال في دهر!

۞ طلب العلم جهاد!

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ وهو محفوظ عنه ـ: «عليكم بالعلم، فإن البحث عنه جهاد».

فجعل الباحث عن العلم مجاهدًا في سبيل الله.

۞ طالب العلم المتقدم ينبغي له أن يبحث ولا يكتفي بترجيحات شيخه وتقريراته، بل إن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى تحريم التقليد للقادر على الاجتهاد إلا عند العجز.

۞ من أراد تصحيح منهجه وتفكيره، وإصلاح قلبه ونيّته، وشحذَ همّته، وإمتاع ناظره، فعليه بكتابين: مدارج السالكين لابن القيم، وصيد الخاطر لابن الجوزي رحمهما الله.

۞ ما لم تذق عشق القراءة والعلم لم تذق اللذة ولم تتمكن بعدُ من العلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما عشاق العلم فأعظم شغفًا به وعشقًا له من كل عاشق بمعشوقه!

۞ قال بعض الأكابر: توانيتُ في أوان التعلّم عن المسألة عن أشياء كانت الحاجة تحفِز إليها، فلما كبرتُ أَنِفْتُ من عرضها، فبقِيت الجهالةُ في نفسي.

۞ البحث والتحقيق والتأليف: من أعظم لذائذ العلم، وأهم أسباب الرسوخ والتمكين، وشحذ الهمّة، واسْتغلال وتنظيم وبركة الوقت.

فإياك أنْ تُفرط فيها أو في بعضها.

۞ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لاريب أن لذة العلم أعظمُ اللذات!».

فلذات الدنيا بأكملها من رئاسة وأموال وأولاد في كفة، والعلم الشرعي المؤصل في كفة أخرى.

۞ من أعظم متع ولذائذ الدنيا حين الانتهاء من ثلاثة أتعاب:

- تأليف كتاب.
- بحث مسألة مُشْكِلة.
- قراءة مجلدات كبيرة.

فهل ذقت يا طالب العلم أحدها؟

۞ طالب العلم الذي شرّفه الله بميراث الأنبياء:

يثبت حين يهتز غيره، ويتقدم حين يتراجع غيره، ويصبر حين يجزع غيره، ويعزم حين يخور غيره، ويتفاءل حين يتشاءم غيره.

منشغل بنفسه ولم ينس غيره، والجاهل منشغل بغيره ونسي نفسه.

لم تزده المحن إلا ثباتًا، ولم تزده المصاعب إلا قوة.

اللهم اجعلنا منهم.

۞ تستهوي طالب العلم الكثير من الملهيات والنزهات، والاستجابة لها تعوق عن العلم، وصدق القائل:

ولم أقض حقَّ العلم إن كنْت كلَّما   بدا طمعٌ صيَّرتُه ليَ سلمًا

۞ لتعرف لذة طالب العلم بمكتبته التي هي جنّته، وبكتبه التي هي أفضل صديق له، وبالعلم الذي هو شرفه وثروته وكنزه: لو طُلب من أي رجل أن يترك هوايته وعمله ويتقاضى ضعف مرتبه: لما تردد.

ووالله لو طلب من طالب العلم الشرعي المخلص الصادق أن يترك مكتبته ويتقاضى عشرات الآلاف شهريًا لما قبِل ذلك.

۞ طالب العلم الصادق أينما كان النفع وجدته، إن دُعي إلى إلقاء نصيحةٍ على مجموعةٍ قليلةٍ أو دُعي إلى تعليم فتيةٍ صغار أجاب، ولا

يبالي أكان الحضور أغنياء أم فقراء، مائةً أم خمسة، وحالُه كحال المجاهد الصادق الذي قال عنه ﷺ: «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة**».

۞ قال القرطبي رحمه الله: في سجود الملائكة لآدم حينما علمه الله الأسماء دليل على فضل العلم وأهله، وفي الحديث: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم**»؛ أي: تخضع وتتواضع، فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت إعظامًا للعلم وأهله.

هذا في الطلاب منهم، فكيف بالأحبار فيهم والربانيين منهم!.

۞ كثير من طلاب العلم ذاكرتهم ضعيفة، فعوضهم الله بالفهم عن الحفظ، وربما فتح عليهم من دقائق الاستنباطات والتأملات ما لم يُفتح على غيرهم، حيث صرفوا جلّ همّهم في الفهم، والاستنباط، واختصار الكتب المطولة.

فلا تظن يا طالب العلم أنّك لن تصل إلى الرسوخ في العلم ونفع الأمة إلا بذاكرة قوية.

۞ **هناك فرق كبير بين (محب العلم)، وبين (طالب العلم):**

طالب العلم: هو الذي يطلبه بجد وشغف وتضحية، كل أو جل وقته، وبكل وسيلة: بالبحث، وضبط المتون، وجرد المطولات، والاختصار، ويقرأ الكتب التي تنفعه وتؤصّله، ولو كان لا يستمتع بها.

وأما محبّ العلم: فهو يحب القراءة في الكتب التي يهواها.

۞ **لسان حال طالب العلم**: لا أترك القراءة والبحث إلا لحاجة ملحة أو ضرورة، وأقرأ ما ينفعني ويؤصلني، فالعلم بالنسبة له: غذاؤه وروحه وقرة عينه.

ولسان حال محبّ العلم: أقرأ متى فرغت، وما أحببت، فالعلم بالنسبة له: فضلةٌ وتسليةٌ ومتعة.

فشتان بينهما، ولَمَا بينهما كما بين السماء والأرض.

۞ **طلب العلم بصدق يجمع جميع فضائل الأعمال المتفرقة:**

فقيام الليل لقراءة العلم المبتغَى به وجه الله داخل في هذه الآية ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وهو أفضل من التنفل لمن يُرجى انتفاع المسلمين بعلمه. ابن عطية رحمه الله.

وهو أفضل أنواع الذكر وأفضل أنواع الجهاد. ابن رجب رحمه الله.

۞ لا يليق بمن منّ الله عليه بالعلم أنْ يعتذر عن نفع الناس عبر إلقاء كلمة أو كتابة مع قدرتِه وزوال المانع، فالله ما أعطاه العلم إلا ليزكّيه ويتصدق به، لا ليكتمه ويبخل به.

وبعضهم يقول حينما يُدعى لنفع الناس بعلْمِه: لا رغبة لي بذلك!

وتزكيةُ العلم وبذلُه لا يكون حسب الرَّغبة والشهوة.

۞ **قال ابن السمعاني** رحمه الله **عن أحد القرّاء:** سافر في طلب القراءات، وأتعب نفسه في التجويد والتحقيق، حتى صار طبقة العصر، ورحل الناس إليه من الأقطار. [معرفة القراء ٢/ ٨١٥]

حينما أتعب نفسه في طلب العلم والتحقيق صار علَما بارزًا، فرحل الناس إليه.

فلن تبلغ المجد والشرف في العلم حتى تتعب وتصبر وتثابر.

۞ من بركة العلم على صاحبه أنّه يرى الحقّ أوضح وأنقى وأصفى

من غيره، ويكون انتفاعه به أكثر وأعظم من غيره، قال الله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل مؤمن يرى هذا، ولكن رؤية أهل العلم له لون، ورؤية غيرهم له لون آخر.

۞ فضل العالم العامل على العابد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، قال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو يدل على فضل هداية الخلق بالعلم، ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع؛ فإن النبي ﷺ كالطبيب، والطبيب يكون عند المرضى، فلو انقطع عنهم هلكوا».

۞ تأملت في سير كثير من أهل العلم السابقين والمعاصرين فرأيت أكثرهم بركةً وقبولًا وتوفيقًا ومحبةً في قلوب الناس: من نشر علمه، وبذل نفسه ووقته لتعليم الناس ونصحهم.

ورأيت أقلهم بركةً وقبولًا ومحبةً في قلوب الناس من قلَّ نفعه وتعليمه ونصحه، بحجة التفرغ للعلم!

وهل يراد العلم إلا للعمل ونفع الناس؟

۞ قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويلٌ للعالم إذا سكت عن تعليم الجاهل، وويلٌ للجاهل إذا لم يقبل». [المستدرك على مجموع الفتاوى ٢/٢٨١]

لا تُحجم عن نشر ما عندك من علم ولو قلّ.

فقد قال النبي ﷺ: **«بلغوا عني ولو آية»**.

فلن تعجز عن تبليغ الناس آيةً أو حديثًا أو تنقل لهم كلام أهل العلم عبر مواقع التواصل وغيرها.

وأحق من تُبلغّه أهلك وأولادك.

ولا تردّ الحق ولو أتاك ممن تكرهه وتُبغضه.

۞ نصيحة لطالب العلم:

الكتب نوعان:

١ ـ كتب مؤنسة، ككتب التاريخ والأدب والرقائق.

٢ ـ كتب مُؤَصِّلة، ككتب الحديث والتفسير والمتون العلمية، وشروحاتها.

فمن انشغل بالأولى حرم التأصيل والنبوغ والقوة العلمية، وهي كالملح في الطعام، فلا تكثر منها.

واجعل شغلك الشاغل في الثانية، وأعط بعض وقتك للأولى.

۞ قال ابن أبي ليلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقيني كعب بن عُجْرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: ألا أُهدي لك هديةً سمعتُها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: «**قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**».. متفق عليه

يا طالب العلم: أَهْد للناس من الهدايا التي أهداها الله لك وخصّك بها من بين ملايين البشر.

وكلما زدت في إهدائك زاد الله في هداياه لك، وبارك فيها وكثّرها.

۞ **يا طالب العلم:** سفِهَ رجل على بعض السلف فاحتمله وتغاضى عنه وقال: لأيّ شيء تعلمنا العلم؟ نعم، لأي شيء تعلمتَ العلم وحفظت القرآن إلا للعمل به، ومن العمل به: حسنُ الأخلاق، كالحلم، وكظم الغيظ، والرحمة، والرفق.

۞ **يا طالب العلم:** ابذل نفسك لله، واجتهد في خدمة الناس بقلمك ولسانك وجاهك، وتخلَّصْ من التباهي بالأوصاف التي يتباها بها كثير من الناس، حينها يرفعك الله بصدقك وإخلاصك وتواضعك.

والناس لن يحتاجوا إلى شهاداتك، بل يحتاجون إلى طيب تعاملك، ولن يحتاجوا إلى كثرة كلامك، بل يحتاجون إلى حسن فعالك.

۞ **يا طالب العلم:** لو أعدت ترتيب الأولويات في العلوم التي تعتني بها وتقْرؤها، فبدأت بما يَنْبَني عليه عملُك وصلاح إيمانك وقلبك وأخلاقك، وجعلتها الأهمّ عندك، وعزَمْت على العمل: لأمدّك الله ببركةٍ عظيمة في العلم الذي حصّلْته، وأعانك على تحصيلِ وفهْم علوم لولا هذه البركة لما قدرت عليها.

۞ **يا طالب العلم:** لا تألُ جهدًا في بذل علمك بكل ما تستطيع.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: الحظ لمن آثر العلم وعرف فضله أن يستعمله جهده ويُقْرئه بقدر طاقته.

بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارة.

بل لو تيسَّر له أن يهب المال لطلابه صابرًا في ذلك على المشقة والأذى: لكان ذلك حظًّا جزيلًا وسعيًا كريمًا وإحياءً للعلم.

۞ **يا طالب العلم:** انفض عنك غبار الكسل والتسويف، قال القاضي الأديب علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: ليس المنكوب من ذهب ماله أو

احترقت داره، فإن الصحة تَردّ المال، والمالُ يُعيد الدار، ولكن المنكوب من ثكل أفكاره، وأضاع ذكاءه، وعاش بائسًا يائسًا، ومات مغمورًا منكرًا، وقد كان أهلًا لأن يسعد حيًّا بذكائه، ويخلد ميتًا بآثاره.

❁ **يا طالب العلم:** ينبغي أن يكون هدفك الأول رضا الله وصلاح قلبك وكثرة العبادة. وهدفك الثاني: نفع الناس ونشر العلم والخير والبر.

وكثير من الناس عكسوا ذلك، فجعلوا هدفهم الأول نفع الناس ونشر العلم والنهم في القراءة والبحث، فأدى بهم ذلك إلى قسوة القلب وحب التصدر وكثرة العلم بلا بركة.

❁ **يا طالب العلم:** كلما كثر علمك فليَكْثر عملُك، وزِد في عبادتك ونفعك؛ حينها يُبارَك لك في علمك.

سئل الإمام أَحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الرجل يكتب الحديث فيُكْثِر، قال: ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب، ثم قال: سبيل العلم مثل سبيل المال، إنّ المال إذا زاد زادت زكاته. [طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣]

❁ **يا طالب العلم:** احذر التعصّب والجور، قال الإمام ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تحلّى طالبُ العلم بأحسن من الإنصاف وترك التعصب. [نصب الراية ١/ ٢٦٣]

❁ **يا طالب العلم:** تركُ العمل معصية، وتركُ تبليغ العلم معصيةٌ أخرى، فارْتِكاب معصيةٍ واحدة أخفّ بالمرء من ارتكاب معصيتين.

[المدخل لابن الحاج ١/ ٦]

❁ **يا طالب العلم:** نظّم جدول يومك، واعلم أنّك لن تَتمَكَّن من العلْم إلا إذا رتّبت وقتك ترتيبًا دقيقًا، فحينها تجد لذةً وإنجازًا.

❁ **يا طالب العلم**، إني لك من الناصحين: لا يسبقك أحد إلى الله،

لا في صدق توجهك، ولا في عنايتك بكتابه، ولا في عبادتك، ولا في طهارة قلبك وصلاحه، ولا في أخلاقك، ولا في زهدك وورعك.

وأكثر من قول: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، لا حول ولا قوة إلا بك)، فإن أثرها ونفعها لا يخطر على بال.

۞ أكثر الناس علمًا بسُنَّة النبي ﷺ يجب أن يكون أحرص الناس اقتداءً به، لا سيما في أخلاقه وتعامله، كالحلم والصبر على أذى الناس والكرم والبشاشة والرفق وكظم الغيظ والإحسان والتواضع.

فيا طالب العلم: اجعل من أوجب واجباتك وأعظم اهتماماتك: الاقتداء بأخلاق من قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].



القراءة والكتابة والكتب

۞ في المكتبة:

قصص، وعبر، ومواقف، وطرائف، وعجائب، وغرائب، وتأملات، وأتعاب، وأفراح، ورباط، وبحث، وتحقيق، وحفظ، وقراءة، وكتابة، ومراجعة، وصراع مع النوم، وألم عند الفراق، ولذائذ وسعادة خاصة عند الوقوف على نفائس العلم ألذ من كل متع الدنيا.

كيف يطيب العيش بدونها؟

۞ كم حُرمنا من أقلام لو قُدّر لها أن تكتب، ومن ألسنة لو قُدّر لها أن تتكلم لعمّ نفعها، وكثر خيرها، وعظم أثرها، واهتدى بسببها جموعٌ من أهل الغفلة، وصدّت جحافل أهل الشر والفساد.

ولكنها أحْجمت خوفًا من الانتقاد أو طلبًا للكمال.

قال أحدهم: لو لم نطْبع كُتبنا لبقينا نصحّحها إلى أن نموت.

۞ أول ما أنزل الله على نبيه ﷺ سورة العلق، ونبّه فيها على شرف الكتابة فقال: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾، قال القرطبي رحمه الله: «نبّه على فضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة.

وما دوّنت العلوم ولا قُيدت الحِكم، ولا ضُبطت أخبار الأولين، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولاها ما استقامت أمور الدين والدنيا».

۞ لو لم يكن للبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه الصحيح، ولسيبويه رَحِمَهُ اللَّهُ كتابٌ في النحو، وللقحطاني رَحِمَهُ اللَّهُ نونيّته الشهيرة، وللبيقوني رَحِمَهُ اللَّهُ منظومته المختصرة النافعة: لحرموا أنفسهم وغيرهم خيرًا عظيمًا وعلمًا كثيرًا نافعًا، ولو لم يكن للإمام أحمد ومالك وابن تيمية وابن باز وابن عثيمين رحمهم الله وغيرهم تلامِذةٌ يحفظون علومهم وينشرونها لحُرموا وحُرم الناس خيرًا عظيمًا وعلمًا كثيرًا نافعًا.

ليكن لك نصيب من هذين الأمرين أو أحدهما، فاحرص على كتابة بحوثك وخواطرك، وعلى العلاقة الجيدة مع طلابك.

۞ الكاتب والخطيب الناجح المؤثر: هو الذي يكتب ويتكلم بما يعتلج في صدره، ويجول في خاطره.

- مادته: النقل ثم العقل والتجارب والتأمل.
- باعثُه: صدق المشاعر وحرارتها.

إنه يسقي مادة الكتاب والحديث من عين صافية عذبة تنبع من سويداء قلبه، مصدرها النقل الصحيح ثم العقل الصريح والتجارب المفيدة، ويرجع بعد ذلك لبعض الكتب التي تؤيد ما توصّل إليه، وإن ثبت عنده ما يُخالف ما قرره تراجع بلا تردد.

وما لم يكن كذلك فإنه يُمسك عن الحديث والكتابة؛ لأن نفسه الأبية تأبى عليه أن يكون ثرثارًا مهذارًا، يملأ الأسماع أو الصحف كلامًا وهو فارغ من حقيقته، يستجرّه من دماغه ولم يدخل قلبه ويسري في عروقه، فيكون حديثه ومقاله باردًا سمجًا.

۞ من لم يذق حلاوة العلم وجماله فإني أدعوه إلى نقلة كبيرة ستغيره إلى الأفضل بإذن الله تعالى.

أدعوه إلى ميدان قراءة الكتب النافعة التي ستفتق لسانه، وتصقل مواهبه، وتوسع أفق تفكيره، وسيدرك الفرق الشاسع بين القراءة وعدمها.

۞ الذي لا يقرأ كيف يعيش!

وإن عاش كيف يهنأ ويرضا بعيشِه!

۞ قاعدة [انتهيتُ] قد تُغيّر حياتك: فعندما تبدأ بعمل أو قراءة كتاب فقل: انتهيت.

ويفيدك ذلك: الرجاء والمتعة والتركيز على العمل وعدم ترقب النهاية.

وقد جرّبْتُها في أمورٍ وأشغالٍ كثيرة فوفّقني الله لإنجازها بسببها.

۞ ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله فوائد كثيرة للتأليف منها أنه:

١ ـ يقوي النفس.

٢ ـ ويثّبت الحفظ.

٣ ـ ويُذْكِي القلب.

٤ ـ ويشحذ الطبع.

٥ ـ ويبسط اللسان.

٦ ـ ويجيد البيان.

٧ ـ ويُكْسب جميل الذكر وتخليده إلى آخر الدهر، كما قال الشاعر:

يموت قومٌ فيحيِي العلمُ ذكرَهم والجهلُ يُلْحق أحياءً بأمواتِ

[الجامع لأخلاق الراوي: ٢٨٠]

۞ **قال بعض السلف:** «الحزْمُ حفظُ ما كُلِّفْت، وتَرْكُ ما كُفيت».

صدق رَحِمَهُ اللهُ، فإنّ الحزم والعقل أنْ تحفظ ما كُلّفتَ به وأُسند إليك، وتَتْرُك وتدع ما كُفيتَ.

۞ خذوها نصيحةً مني، نصيحةً مِن مجرّبٍ يريد أن يجنّبكم عواقب السيِّئ من تجارِبه: دوّنوا كلّ ما يمرّ على أذهانكم من أفكار وما يعتلج في نفوسكم من مشاعر، اكتبوه في حينه، فإنكم إن أجّلتموه فتّشتم عنه فلم تجدوه. [ذكريات علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ ١/ ٣٢١]

۞ مثل الذي يقرأ على عجل، ويقرأ الكتاب ولا يكمله، ويكتفي بالكتب الصغيرة التي ينهيها على عجل، ويكثر من التنقل بين الكتب: كمن يعتمد في أكله على الوجبات السريعة، التي تسد جوعه، ولكنها غير غنية بالعناصر الغذائية، مع ما فيها من أضرار تؤثر عليه في المستقبل، فتظهر عليه بعد ذلك العلل والأمراض، فكذلك صاحب القراءة السريعة والمتنقّلة، يظهر عليه الضعف العلمي بعد ذلك، ويُبْتَلى بكثرة الأخطاء والتصوُّرات الخاطئة، التي تؤثر على علمه وعمله ومكانته.

۞ **يا من تقرأ كتابًا:** اسْأل نفسك ثلاثة أسئلة: لماذا أقرأ؟ ومتى أقرأ؟ وكيف أقرأ؟

وإجابتك لها بصدق: تحدد لك مدى انتفاعك بالقراءة من عدمها، ومدى صواب أو خطأ منهجك.

۞ ما أرى أحدًا يُفلح في الكتابة والتأليف إلا إذا حكَم على نفسه بالأشغال الشاقة الأدبيّة سنتين في سجن الجاحظ أو أبي العلاء أو غيرهما. [الرافعي].

۞ التأليف وتقييد الخواطر قبل كبر السن مهم جدًّا، قال الأديب علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ بعدما كبر: كنت أغرف من بحر وأنا اليوم أنحت في الصخر.

كان الفكر شابًا فشاخ.

فمن قال لكم إن الفكر لا يشيخ فلا تصدّقوه.

كان قلمي يجري على القرطاس كفرس السباق لا أستطيع أن أجاريه، فأمسى كالحصان العجوز أجرّه فلا يكاد يُجرّ.

۞ خلاصة تجربة سبعين سنة في الكتابة والخطابة:

أفضل ما كتبت ما كنت أنطلق به على سجيتي وأُساير طبعي، فأكتب بلا تكلف ويقرأ الناس ذلك بلا تعب، وأسوأ ما كتبته ما كنت أتصنع فيه وأحتشد له وأريد أن آتي بما أحسبه رائعًا، فأتعب أنا بكتابته ويتعب القارئ بقراءته. [ذكريات الطنطاوي ٥/ ٤١]

فدع التكلف في حديثك وخُطبك وكتاباتك.

۞ لكل علم وعمل حلاوة ونشاط سرعان ما يذهب، فإن لم تستثمر تقييد العلم ومتابعة العمل خسرت وندمت.

ولولا فضل الله علي بمبادرتي إلى تقييد الخواطر والبحوث والفوائد التي نشطَت نفسي في حينها وذقت حلاوتها لما استطعت كتابتها بعد ذلك.

وكان حظي منها المتعة والفائدة في حينها ولم يخرج لي كتاب واحد.

۞ «لمّا خصَّ الله نبيّنا ﷺ بعلوم الأولين والآخرين من غير كتابة ولا مدارسة: كان ذلك خارقًا للعادة في حقّه، ومن أوصافه الدالة على صدقه.

فالأمّيّة في حقّه من أعظم معجزاتِه، وهي في حقّ غيره نقصٌ ظاهر.

فسبحان الذي صيَّر نقصَنا في حقِّه كمالًا، وزاده تشريفًا وإجلالًا».

[المفهم للقرطبي ١/ ٢٦٧]

۞ كتاب: (الذريعة في مكارم الأخلاق) للراغب الأصفهانيّ رحمه الله تعالى، كتابٌ عجيبٌ قيّم، فيه الكثير من النفائس والدّرر، وهو كنزٌ لم يُعط حقّه بعدُ..

۞ يكاد يتفق أهل العلم والخبرة على أنّ إعادة قراءة كتاب قرأتَه: خير وأنفع وأثبت من ابتداء كتاب جديد ولو كان أفضل من الأول.

فراجع ما قرأت وحفظت.

۞ **انتبه لمن تقرأ:**

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أملح ما مثَّل به شيخنا إبراهيم الرّقّيّ كلام ابن عربي ـ من أئمة المبتدعة الذين يحسّنون باطلهم بزخرف القول ـ قال: مثله مثل عسل أُذيف ـ قُطّر ـ فيه سُم، فيستعمله الشخص ويستلذّ بالعسل وحلاوته ولا يشعر بالسّم فيسري فيه، فلا يزال حتى يهلكه.

[تاريخ الإسلام ١٥/ ٢٩٧]

۞ قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض ذكر سبب تأخره في تأليف كتابه ترتيب المدارك: «إلى أن انبعثت الآن عزْمة مصمّمة للتفرغ لتأليفه».

التفرغ التام لقراءة كتاب أو تأليف أو بحث: من أعظم العون على الإنجاز والإتقان؛ لأنه يجمع شتات الذهن، ويعين على التركيز الذي هو من أهم أسباب الرسوخ والضبط والفهم.

وهو محض هبة وفضل من الله الكريم الوهاب، نسأل الله أن يهبها لنا.

۞ قراءة الكتب المطولة كصعود الجبل، إذا نظرت إلى قمته

أُصبت بالإحباط والفتور، وإذا اهتممت بموضع قدميك صعدت بنشاط وأمل.

عش لحظات القراءة، ولا تحمل هم النهاية.

۞ **كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ ـ تُغَذِّي الإيمان.

٢ ـ وتنقل قارئها من الحياة الدنيا والتعلق بها إلى الحياة الآخر والتعلق بها.

٣ ـ ويذوق طعم القراءة ومتعة الخلوة.

٤ ـ وتزيل الشكوك.

٥ ـ وتُثير الهمّة.

٦ ـ وتقوي العزيمة.

٧ ـ وتصنع العقول.

فيا خسارة من زهد فيها، وجعلها زينةً لمكتبته لا لقلبه وعقله.

۞ **قراءة المتعة:** هي القراءة لأجل قضاء الوقت، والاستمتاع بالقراءة، ولا ينوي القارئ بقراءته العمل وتغيير حاله إلى الأفضل، وقصدي بالفائدة ـ كما يُفيده سياق الحديث ـ الفائدة التي تبعث على العمل، لا مجرد جمع المعلومات والثقافة العامة والمتعة الوقتية.

۞ قال بعض العلماء: «من لم يكتب العلم ويُقيّده فلا تَعُدَّ علمه علمًا».

وهذا أمر مشاهد، فمن لم يقيد الفوائد، ويختصر المطولات، ويبحث المسائل المشكلة، واقْتصر على الاستمتاع بقراءة الكتب التي

يألفها ويهواها، ويعتمد على حفظه وفهمه: فقد ضيع على نفسه علمًا كثيرًا، ولم يستطع إخراج كتاب ينتفع به.

۞ الكتاب الذي يجد منه طالب العلم العناء أو الصداع، ويعيد قراءة بعض صفحاته مرارًا ليفهمه: هو الكتاب النافع الذي يَبْنِيه ويُؤصّله، وهو علامةٌ على سلوكه الجادّة التي توصله لمبتغاه.

۞ من أسرار القارئ الناجح الذي يستفيد من قراءته فائدة عظيمة، يظهر أثرها عليه في أخلاقه وكلامه وكتابته وجميع حياته، أنه يقرأ:

- قراءة تبنيه لا قراءة تسليه.
- وقراءة تشفيه لا قراءة ترضيه.

اجعل هدفك عند قراءتك كتابًا:

أن يبني معرفتك وإيمانك وأخلاقك.

ويشفي أمراضك الباطنة والظاهرة، وما أكثرها!

۞ قرّاء العلوم النافعة أربعة أنواع:

١ ـ يقرأ ليستمتع. (يستفيد المتعة واستثمار الوقت وبعض الفوائد).

٢ ـ يقرأ ليستفيد. (قراءته تعينه على العمل والرسوخ العلمي، ولكن عنده تقصير في نشر العلم)

٣ ـ يقرأ ليُفيد. (عنده نقص في العبادة، وإفراطٌ في تتبع غرائب العلم)

٤ ـ يقرأ ليستفيد ويُفيد. (فهذا العالم العامل النفّاع).

۞ حرارة المشاعر تُولّد الأفكار وتُنضجها، والعكس بالعكس:

عندما تهيج مشاعري فأكتب مقالًا أو كتابًا أو قصيدةً أجد الكلمات

والعبارات تسيل كالسيل الجارف، فأدونها إذا كنت في مكتبتي، أو أسجلها في جوالي إذا كنت في الطريق أو في السيارة، وربما هجمت عليّ خلال صعودي المنبر لأخطب الجمعة، فأدوّنها مباشرة حتى لا تضيع، وربما طال هيجانها شهرًا أو شهرين أو أكثر.

وحينما تبرد تموت الأفكار، والغالب أني أكون حينها قد انتهيت من كتابة ما أريد كتابته؛ لأني أعكف على الكتابة والبحث حتى أنتهي.

وإنْ لاحت لي أحدها وكتبت رأسها، أعياني التعبير عنها، فربما أمضيت أسبوعًا أو أسبوعين وأنا أحاول إكمالها فلا أستطيع، وأرجع النظر فيها يومًا بعد يوم، حتى أيأس منها فأحذفها كلها، أو يفتح عليّ الفتاحُ العليم.

أوليس من العجيب أن أصنف كتابًا يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة في أقل من شهر، ولم أستطع أن أكتب صفحة واحدة في شهر؟

وقع لي هذا كثيرًا خلال تأليفي لبعض كتبي.

وهذا مما يؤكد على أن مَنْ شَعَرَ بحرارةٍ في مشاعره فعليه أن يبادر إلى كتابة ما يجول في خاطره، ولا ينشره إلا بعد حين؛ لأنّ الغرض هو صيد هذه الخواطر والأفكار وحفظها عن الضياع، والتي تهجم بكميّة كبيرة حينها على عقلك، فإن أخرت صيدها طارت وتفرقت شذر مذر، ولو طاردتها لَمَا ظفرت إلا على الكسيرة والجريحة، التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

وقد كنتَ متمكّنًا منها، قريبّة منك، ما بينك وبينها إلا وضعها في قفصك الذي هو كتابك.



أهمية الوقت

۞ أعرف غير واحد أنهى مجلدات في أوقات العمل فقط من غير أن يخل بالواجبات المناطة به!

فكم في أوقاتنا من فرص أضعناها! والصادق لا يتعذر بضيق الوقت.

۞ إنّ دقيقة واحدة يتمناها الميت الكافر ليقول: لا إلٰه إلا الله، لينجو بها من النار.

ويتمناها مانع الزكاة ليخرج زكاته لينجو من النار.

ويتمناها القاطع والكاذب والزاني وتارك الصلاة والعاق وآكل الربا ليتوبوا فينجون من العذاب.

وأنت تملك آلاف الدقائق بل أكثر..

فلا تضيعها فتندم كما ندموا.

۞ الجاهل يرى الوقت عدوًّا يسعى في التخلّص منه.

والذكيّ يراه صديقًا يأنس به.

والمؤمن يراه كنزًا ثمينًا فيستثمره فيما ينفع.

والصِّدِّيقُ الذي بلغ مرتبة الإحسان حتى كأنه يرى الله: يرى الوقت أغلى من روحه وماله وأهله وولده، فلا همّ له إلا طلب مرضاة الله فيه، ونشر دينه، وتتبّع محابّه، ولو كانت مخالفةً لهواه.

اللهم اجعلنا منهم.

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: حذار حذار من التهاون بالأمر إذا حضر وقتُه، فإنك إنْ تهاونت به ثبَّطك الله وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبةً لك.

۞ **أعظم كلمة: (لا إله إلا الله).**

وحروفها حلقية لسانية، فلا يحتاج الذاكر أنْ يحرك حتى شفتيه!

فمن الحرمان ألا تُكثر منها وتُشغل وقت فراغك بها، وهي أفضل وأعظم كلمة.

۞ كثير من الناس يرون أن الفراغ عدوٌّ لدود، فلذلك يبادرون إلى قتله بأي وسيلة، أما من أيقن أن هذه الحياة قنطرةٌ للآخرة فإنه يرى الفراغ أعظم مكسب ونعمة، فلذلك يبادر إلى استثماره فيما يعود عليه بالنفع في دينه أولًا ثم دنياه.

۞ لم تسمح يومًا لأيِّ أحد أن يضيِّع مالك، فلماذا تسمح كل يوم للناس أن يضيعوا وقتك؟

وأسهل وسيلة يضيعون بها وقتك: جوالك، عبر الواتس، وتويتر، وسناب، والمقاطع، والاتصالات، والأخبار..

ومن ضيع مالك أفسد عليك دنياك فقط، ومن ضيع وقتك أفسد عليك دنياك وآخرتك.

فلا تفرّط في وقتك فهو رأس مالك وكنزك الذي لا يعوض.

۞ والله إنه مِن النّقص والهوان أن تملك قدرةً ووقتًا ثم تُقصّر في بلوغ القمة والمجد!

ولم أرَ في عيوبِ الناسِ عيبًا كنقص القادرين عَلَى التّمام

۞ قيل للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف تعرف الكذابين؟ قال: بِمَوَاعيدهم! [مختصر الكامل: ٤٨]

ولا تكاد تجدُ المنضبطَ والدّقيقَ في مَواعيده إلا يتّصف بثلاثِ صفات:

١ ـ الأدبُ وحسنُ التعامل.

٢ ـ الأمانة والمبادرة في تنفيذ الأعمال.

٣ ـ التنظيمُ والترتيبُ في وقته وحياته.

۞ **مِن أعظم أسرار التوفيق والبركة والسعادة والنجاح:**

أن تضع لك خطة في عبادتك ومالك ووقتك وأخلاقك وتربية أولادك وقراءتك ونزهاتك..

ارسم لك خطة تسير عليها في كل هذه الأمور وغيرها، وستُنجز في وقت قصير ما لم تُنجزه في سنوات لم تضع لك خططًا وأهدافًا واضحة.

ولا تضيِّع ما بقي لتفريطك فيما مضى.

۞ ما وجدت أكثر مضيعة للوقت، وأضيق للصدر، وأسرع في تشويش الفكر والخاطر، وأشد في التحريش والعداوة بين الناس، من متابعة الأخبار.





همٌّ عالية

۞ من أعظم ما تُوفَّقُ له أن يرزقك الله الهِمَّة العالية، التي بها تنال مطلوبك وتُحقق أهدافك.

والمقصود من علو الهمة استصغارُ ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلبُ المراتب السامية.

فتجد عالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته النبيلة؛ لأنه يعلم أنّ المكارم منوطة بالمكاره.

۞ الهمة إذا علت وارتفعت لم تلحقها الطباع السيئة، ولم تؤثّر في صاحبها سهام الناس الملوّثة بسموم قاذورات أقوالهم وتصرفاتهم، كالطائر إذا علا وارتفع في الجو فات الرُّماة ولم تُصبه بنادقهم، وإنما تدرك هذه الأشياء الطائر إذا لم يكن عاليًا، فكذلك الهمة العالية قد فاتت المثبّطين والمخذّلين.

۞ قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ عن شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: سمع مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني، وكتاب سيبويه.

هذا كله وهو بعدُ ابن بضع عشرة سنة!

۞ **أعظم الناس همّة على الإطلاق:**

- من جعل محبّة الله له غايته.

ـ والفردوس الأعلى مَطْلَبَه.

ـ وأن يمرّ على الصراط كلمح البصر.

ـ وأن يكون في أول زمرة تدخل الجنة.

ـ وألا يطالبه أحد بحقّ أمام الله.

ـ وجعل هذه الدنيا الفانية وسيلة لتحقيق هذه الأهداف.

فلتكن هذه همّتك..

ومن كانت همّته أقلّ من ذلك فهمّته قاصرة، ومن كانت همّته غير ذلك فهمّته خاسرة.

❁ **كان عبد المغيث بن زهير** رَحِمَهُ اللَّهُ: صالحًا متديّنًا، حميد الأخلاق، مجتهدًا في اتباع السُّنَّة والآثار، وجمع، وصنف، وحدّث.

ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته.

وبورك له حتى حدَّث بجميع مروياته. [ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٤٧]

يا لها من حياة سعيدة، ومنهج موفق، وبركة عظيمة.

اللهم إنا نسألك مثل هذه السيرة العطرة.

❁ **لطيفتان من كتاب (فقهاء الشافعيين) لابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ ـ (قرأت على المزي في رمضان.. أخبرني شيخنا يوم عيد الفطر..).

لم تقف دروس العلم حتى في رمضان والعيد.

٢ ـ (قرأت على المزي فسح الله في أجله)

ألف كتابه دون سن (٤٢)، لأنه ولد عام (٧٠٠)، وتوفي المزي عام (٧٤٢).

ولم يزل يتعلم حتى بعد كبره وتصنيفه.

❁ ترجم الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللهُ لأكثر من ثمان مائة عالم وداعية إلى الله فأثنى على أعمالهم، ولكن حينما ترجم للشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ ـ الذي كرس جهده في الدعوة جنوب المملكة ـ قال عنه: «والله إنني لا أعلم عملًا صالحًا يتقرب به الإنسان إلى ربه أولى من هذا العمل الذي قام به هذا المجاهد». [علماء نجد ٤/٣١١]

❁ كان الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللهُ إذا أتى مضجعه للنوم بعد العشاء بدأ بالصلاة ثم نام، فإذا بقي ثلث الليل قام إلى الصلاة، لا يترك ورده حتى في السفر.

فقد سافر مرة بعد كِبره فشرع في الصلاة قبل نومه كأنه في وقت الراحة، ثم عندما بقي ثلث الليل إذا هو قد قام إلى صلاته. [علماء نجد ٣/ ٢٧١]

❁ شتّان بين من سخّر وقته وماله وتفكيره لإرضاء ربه، وتبليغ رسالاته، وبين من سخر ذلك كلّه لنفسه ومن يحب، فضلًا عمن سخرها لمحاربة الخير وأهله.

فالأول: اقتدى بالأنبياء والصالحين، الذين بذلوا وباعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله.

والثاني: اقتدى بالفجار والكفار، الذين قال الله عنهم: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد: ١٢].

❁ تأملت في أسرار نجاح النابغين في دينهم ودنياهم فوجدت من أهمها:

١ ـ صدق لجئهم إلى الله وطلب العون منه وحده.

٢ ـ وضوح أهدافهم وخططهم والعمل الجاد في تحقيقها.

٣ ـ إقدامهم وشجاعتهم وعدم خوفهم لومة لائم إذا وضح لهم الحق.

٤ ـ كبح جماح رغبات نفوسهم، كطلب الراحة والشهرة والبروز والانتقام والعُجب.

❁ لتحقيق أي غاية نبيلة لا بدّ من عدة أمور:

الأمر الأول: التوكل على الله واللجأ إليه.

الأمر الثاني: صدق العزيمة.

الأمر الثالث: وضوح الهدف.

الأمر الرابع: رسم الخطة.

فإن تخلف أحدها فالطريق مسدود.

❁ كان عاصم بن أبي النجود رَحِمَهُ اللَّهُ إذا صلى ينتصب كأنه عود، ويكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدًا يصلي أبدًا، ربما أتى حاجة فإذا رأى مسجدًا قال لمن معه: مِلْ بنا؛ فإن حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل فيصلي، ودخلوا عليه وهو في الموت فقرأ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]. [معرفة القراء للذهبي ١/٢٠٨]

❁ الناجح كان قبل وصوله للنجاح والقمة:

١ ـ رسم خطة واضحة يسير عليها.

٢ ـ جعل مراحل حياته ثلاثة: (صغرى ـ متوسطة ـ كبرى)، ولا يجاوز مرحلة قبل الانتهاء من التي قبلها.

٣ ـ صنع علاقات طيبة مع من حوله.

٤ ـ وضع أهدافًا واضحةً يسعى للوصول إليها.

٥ ـ متفائلًا بلا حدود.

٦ ـ لم يضيع أوقاته بعيب وحسد غيره.

۞ إنّ صرف همتك إلى ما ليس بمهم، وتضييع عمرك بما لا ينفعك يوم لقائك ربك: هو غاية الضلال ونهاية الخسران، وسواء كان الذي صرفت عمرك ووقتك فيه من العلوم أو من الأعمال، فنعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن عمل لا يقربنا إلى ربنا.

۞ أعظم هبة يهبها الله لك:

١ ـ الهمة العالية التي تجعلك لا تقنع إلا بالأكمل في العلم والخلق والدين.

٢ ـ العزيمة الصادقة التي تدفعك وتأخذ بيدك لتحقيق أهدافك.

فمن رُزق ذلك سهّل الله له كل الصعاب.

وذلّل له جميع الأسباب.

وكتب له أجر ما عزم عليه ولو مات أو مرض قبل تحقيقه.

وهذه فضيلة لا تحصل إلا له وأمثاله.

۞ الملك المؤسس العبقري عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ بنى دولة أقامها على تقوى الله وساسها سياسة أدهشت دهاقين السياسيين ممن درس في الجامعات وعاش في مراكز الحضارات، وهو الذي لم يدرس إلا في جامعة الحياة، وهو الذي عاش شطرًا من حياته في هذه الصحراء التي لا تعرف النفاق لأنها مكشوفة. [ذكريات علي الطنطاوي ٨/ ١٥٤]

۞ تمرّ بك في حياتك فرص نادرة على متن قطار سريع لا يتوقف إلا في أوقات وأماكن محددة قليلة.

فإن لم تحزم أمرك وتنتهزها فاتك القطار ووصل بمن ركبوا وقد ربحوا.

وتظل أنت مكانك.

كم خسرت فرصًا ثمينة!

وهذا القطار لا يركبه المترددون الخائفون.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

۞ أجاز الإمامُ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ العلامةَ ابنَ الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ وأذن له بالإفتاء وعمره ٢٣ سنة فقط، وألّف كتابه: مُنجد المقرئين وعمره ٢٢ سنة، فأين همّةُ شبابنا؟

۞ **الذين نجحوا وأنتجوا ونفعوا: لم يكونوا أذكى الناس، بل كانوا:**

١ ـ أعلاهم همة.

٢ ـ وأوضحهم هدفًا.

٣ ـ وأصبرهم على تحقيق أهدافهم.

٤ ـ وأشدهم حرصًا على أوقاتهم.

٥ ـ وأبعدهم عن الالتفات للمثبطين والمخذلين، الذين طالما سحبوا أصحاب الهمم والذكاء إلى مستنقعهم البائس.

فإياك إياك أن تصغي لهم.



أسباب السعادة واللذة

۞ لو جُمعت لذائذ الدنيا كلها منذ خُلقت إلى أن تفنى في قلب رجل لما كانت أعظم وأكمل من لذة المؤمن وهو يناجي ربه في جوف الليل خاشعًا بين يديه..

يناديه: يا رب يا رب..

يناجيه ويُثني عليه ويسبحه ويكبره ويوحده..

من قلب ينبض بحبّه وإجلاله ورجائه وخوفه والشوق إلى لقائه وسُكنى جنته..

هنيئًا له..

۞ لو اجتمع فصحاء وبلغاء وعلماء الناس كلهم لن يستطيعوا أن يصفوا أنس ولذة وسعادة المؤمن بربه أثناء ذكره وصلاته ومناجاته.

فمن يقدر أن يصف أنسه ولذته وسعادته في الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟

المؤمن كسب سعادتي الدنيا والآخرة، فيا لِسعادته وحظّه.

۞ قال الذهبي عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله: «لا لذَّة له في غير نَشْر العلم وتدْوِينه والعمل بمُقْتضاه». [المعجم المختص ٢٥/ ٢٧]

بهذه اللذة التي جاءت بعد جهد جهيد، وتعب وصبر، وصدق وإخلاص لله: بلغ ما بلغ.

إنها لذة تطغى على كل الآلام والمصائب.

اللهم ارْزقنا هذه اللذة يارب.

۞ من أعظم أسباب السعادة والراحة النفسية: القناعة، حيث ترضا في أمور دنياك بما يتيسر لك، ولا تكون على حال إلا رضيت بأقل منها.

إذا شئت أن تحيا غنيًّا فلا تكن   على حالةٍ إلا رضيتَ بدونها

۞ للراحة بعد الجُهد المُثمر لذة لو ذاقها البطّال الذي ترك الجدّ رغبةً في الراحة لندم على سرابٍ ظَنَّهُ حقيقة.

أهل الجدّ يشعرون بلذة في أعمالهم ولو كانت شاقَّة، ويستمتعون بالراحة بعد طول جهد وتعب، ثم يشتاقون بعد ذلك إلى العودة لذلك الجد والتعب.

فهم في لذة لا تنقضي.

فهنيئًا لأهل النشاط والجد.

۞ **من أعظم قواعد السعادة في هذه الحياة:** تنظيم الوقت، وشغله بما ينفع، وإعطاء كل ذي حق حقه، والبعد عن النظام الممل المتكرر.

۞ الشهرة كتمثال من الثلج سرعان ما ينهار ويسقط عند أدنى هزة أو ضربة.

فلا تتقصدها وتبحث عنها؛ لأنها ضرر في دينك ودنياك، وتكون هدفًا للحساد والمفسدين.

من أخمل النفس أحياها وروَّحها   ولم يبت طاويًا منها على ضجر

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها   فليس ترمي سوى العالي من الشجر

۞ **إذا منّ الله عليك بالإقبال عليه والرضا به فسيضمن لك:**

١ ـ اللذة والأنس به.

٢ ـ الزهد في تحرّي ثناء الناس وعدم الاكتراث من ذمهم.

٣ ـ الشعور بالأمن النفسي.

٤ ـ بغض المعاصي التي تحول بينك وبين رضا الرب العظيم.

۞ البيوت التي يكون همّ ساكنيها رضا الله وطاعته يكرمها الله بكرمات:

١ ـ تملؤها السكينة والرحمة والسعادة والبركة.

٢ ـ وتحفها الملائكة وتهرب منها الشياطين.

٣ ـ وتُصرف عنها الهموم والخلافات.

فيا لروعة تلك البيوت ويا لسعادة ساكنيها.

وسيأتي يوم يجتمعون في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١].

۞ **من أعظم مُتع الدنيا وأحلاها:**

١ ـ كتابٌ نافع تقرؤه.

٢ ـ صديق حميم تُجالسه.

٣ ـ مُستضعف أو مظلوم تُساعده.

٤ ـ زوجة صالحة تسكن إليها.

فيا سعادة من أكرمه الله بها، ونوى بها وجه الله!

۞ أتدري ما أعظم وألذّ فرح في الدنيا وأحبه إلى الله؟

هو فرحك بربك، فرحك بأنه الله الكبير العظيم له الصفات العلا والأسماء الحسنى.

فرحك به ربًّا وإلهًا خالقًا رازقًا سميعًا بصيرًا حكيمًا عليمًا.

فرحك به لأنه بيّن لك الحقّ وهداك إليه.

وجعلك عبدًا له، لا عبدًا لهواك أو للشيطان أو لفلان.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

حينها: إذا مررت بآية فيها تعظيم لله وثناء عليه تكاد جوارحك كلها تنطق وتقول بكلّ فخر وفرح: هذا ربي! الحمد الذي جعلني له عبدًا.

وهذا الفرح جنة الله المعجلة لأوليائه، ولا يُوفّق له إلا الصادق المخلص.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ومن أعظم مقامات الإيمان: الفرح بالله، والسرور به، فيفرح به إذ هو عبده ومُحِبُّه، ويفرح به سبحانه ربًّا وإلهًا، ومنعمًا ومربيًا، أشد من فرح العبد بسيده المخلوق المشفق عليه، القادر على ما يريده العبد ويطلبه منه، المتنوع في الإحسان إليه، والذب عنه.

[مدارج السالكين ٣/ ١٠٦]

وقال الحكيم الترمذي رَحِمَهُ اللهُ: «من فرح قلبه بالله عَزَّ وَجَلَّ، استغنى بالله، فلا تملك قلبَه بعد ذلك أفراحُ الدنيا؛ لأنه لا يستغني بالدنيا، إنما غناه بالله تعالى». [رياضة النفس ص٥٦]

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: كان كثير من العارفين يقول في

مناجاته لربه: كفى بي فخرًا أني لك عبدٌ، وكفى بي شرفًا أنك لي رب.

وكان بعضهم يقول: كلما ذكرت أنَّه ربي وأني عبده حصل لي من السرور ما يصلح به بدني.

شرف النفوس دخولها في رقهم والعبد يحوي الفخر بالمتملَّك

فمن انكسر قلبه لله تعالى واستكان وخشع وتواضع جبره الله ﷻ ورفعه. [الجامع المنتخب ٩٧]

۞ **إذا أردت ملاك السعادة مع الناس فعليك بهذه القواعد الثلاث:**

١ ـ لا تُظهر بغضك لأيّ أحد مهما كان السبب.

٢ ـ لا تنتظر ممّن أحسنت إليه جزاءً ولا شكورًا.

٣ ـ وطّن نفسك على أنّ أصدقاءك وأهلك وطلابك سيخطئون عليك أو على غيرك.

وإذا فعلت ذلك لم يكبر في نفسك خطؤهم، والتمستَ العذر لهم. وعاملهم حينها بالنصح، وجنِّب العتاب.

۞ **من أعظم أسباب السعادة واللذة:** أن تقوم من نومك وقد أنجزت عملك بالأمس على الوجه المطلوب، ثم تستقبل يومك بعزيمة على استكماله، وفق خطة واضحة.

۞ **من أراد أن يمتلك زمام السعادة والراحة ورغد العيش فعليه بأربع صفات:**

١ ـ التغافل، وهو تعمّد الغفلة عن زلات وأخطاء الناس.

٢ ـ القناعة، وهو أن ترضا من الدنيا بما عندك.

٣ ـ النفع، بأن تبذل من جاهك أو مالك أو علمِك ما تقدر عليه.

٤ ـ الهمّة العالية في طلب المراتب العالية النافعة.

ومن أخْلص لله في هذه الأمور حاز سعادة الدنيا والآخرة.

۞ من أراد أن يضمن حياة رغيدة في هذه الحياة، وسعادة سرمدية في الآخرة: فعليه بتحصيل خمسة أمور:

١ ـ علم يقوده إلى ما ينفعه.

٢ ـ ورع يحجزه عما يضره.

٣ ـ يقين يثبّته.

٤ ـ ذكر يؤنسه.

٥ ـ خلق يصونه.

وتحصيلها يحتاج إلى جهد كبير، ومن عرف قيمة السلعة وحاجته لها هان عليه الثمن.

۞ السعيد من تباعد عن المكروهات وخصص أوقاتًا للقيام بالنوافل.

وأسعد منه مَن حلّق بقلبه في سماء العبودية، وعاش بروحه مع الله قائمًا وقاعدًا، لا همّ له إلا رضا ربه، ولا غاية له إلا الظفر بمحبته، فهو في طاعة وعبادة في كل أوقاته، فنومه واستمتاعه وضحكه ولذته عبادة.

اللهم اجعلنا منهم يارب.

۞ من أراد السعادة وانشراح النفس والرفعة فليبن علاقته مع الناس على أربع قواعد:

١ ـ النصيحة لهم.

٢ ـ مداراتهم ومجاملتهم في غير معصية وخطأ بَيِّنٍ.

٣ ـ التغافل عن عيوبهم وتقصيرهم في حقه.

٤ ـ إحسان الظن بهم، وحمل أقوالهم وأفعالهم على أحسن محمل.

ومن فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فهو المحظوظ الموفق حقًّا.

۞ ما رأيت أسْعد ولا أشرح صدرًا ممّن يسعى في إسعاد غيره؛ بكلمة، أو شفاعة، أو رسالة، أو ثناء، أو تفريج كربة، أو صدقة، أو إصلاح بين خصمين أو زوجين.

ولا رأيت أشقى ولا أنكد ولا أضيق صدرًا ممن بخل في إسعاد غيره..

والجزاء من جنس العمل..

«أسعدوا الناس تُوهَب لكم السعادة».

۞ والله لو كان في هذا الدين كل ضنك ونكد وألم: لَمَا كان للعاقل خيارٌ سوى التمسك به؛ ليضمن رضا الله وجنته.

فكيف إذا كانت السعادة والراحة والصحة والعزة فيه؟

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

فاليُسر كله فيه، ولا سعادة إلا به.



تزكية النفس ومجاهدتها

۞ لتكن همتك أن تكون في الإيمان من الصدِّيقين، وأن يكون منزلك الفردوس الأعلى، وأن تكون من الزمرة الأُولى التي تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وممن يدخل الجنة بلا حِسَاب ولا عذَاب.

إياك أن يسبقك أحد إلى ربك، أو تزهد بأكمل الطاعات وأنت تقدر.

۞ متى رأت منك نفسُك الرغبة في شيء رغبت، ومتى رأت منك القناعة قنعت، فكن حازمًا مع نفسك وأقدم واثبت.

صبرت على اللذات حتى تولَّتِ   وألزمت نفسي هجرها فاستمرّت

وجرَّعْتُها المكروه حتى تجرَّدت   ولو حَمَلْته جملَة لاشمأزت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى   فإن أُطمعت تاقت وإلا تسلَّت

وكانت على الآمال نفسي عزيزة   فلما رأت عزمي على الترك ولّت

۞ **نصيحة مجرب في التعامل مع ما تسمعه من كلام جارح:** «الكلام مهما كان جارحًا فاعتبره كالهواء الملوث الذي يضايق ولا يضر، فاجعله يمضي، ولا تفكّر فيه فيتحول إلى جبل يجثم على صدرك فيُمرضك أو يَغمّك».

جاهد نفسك في بداية الأمر ثم ستعتاد على ذلك وتستريح من النكد والهم من كلام الناس الذي لا ينقضي أبدًا.

۞ لو علم الذين يسهرون وينامون أول النهار ما عليه الذين ينامون مبكرين، ويستيقظون قبل الفجر، ويعمرون أوقاتهم بالعبادة ومدارسة العلم، من النعيم واللذة والأنس والفائدة النفسية والدينية والعلمية والبدنية: لجالدوهم عليها بالسيوف، وغبطوهم أشد الغبطة.

احزم مع نفسك ولا تجامل أصدقاءك وأقاربك، ودع السهر والعَشاء بعد العِشاء، والنوم بعد صلاة الفجر.

۞ **لو قيل لك:** لازم هذا العمل الذي قد يشق عليك أو لا يشق عليك مدة خمس سنين ولك هذه الأراضي والعقارات: لَمَا ترددت، واستمتعت بعملك لضمان الربح الكبير.

هذا وهي حتمًا ستزول عنك أو تزول عنها.

وربك يعرض عليك جنة عرضها السماوات والأرض، ملكًا دائمًا لا همّ فيها ولا كدر، وفيها كل ما تشتهي.

فشمّر عن ساعد الجد.

۞ مثل الذي يعيش حياته على نمط واحد، ولا يجدد في إيمانه وأخلاقه وهمّته: مثل الطالب المخفق الذي لا ينتقل إلى الصف الذي يليه، فتجد همّته وأخلاقه وحياته لا تتغير.

فاكسر الركود والجمود الذي يعتري حياتك، وحاول أن تغيّرها نحو الأفضل، وسترى انشراحًا في صدرك، وهمّة ونشاطًا عظيمًا في حياتك.

۞ لن تكون حرًّا عزيزًا، تملك نفسك ولا يملكك غيرك ـ سوى خالقك ﷻ ـ حتى تتحرر من أسْرِ أمورٍ أربعة:

١ ـ الهوى.

٢ ـ التقليد الأعمى.

٣ ـ التحزب والتبعية لجماعة لها بيعة ونظام خاص بها.

٤ ـ محبة الشهرة والبروز.

فهذه تمنعك من الإبداع والانطلاق وقول الحق والعمل به.

۞ تريد قاعدةً ترفعك وتأخذ بيدك بمشيئة الله نحو القمة وتبلغ بها مرادك وأكثر؟

(استشر ثم خطّط ثم ابدأ ثم نظم ثم تدرج).

فاستشر أهل الخبرة.

ثم ارسم لك خطة تسير عليها.

ثم ابدأ بالعمل دون تأخر وتردد.

ثم نظم وقتك ورتب أعمالك.

ثم ابدأ بالقليل ثم زد مع مرور الأيام، ولا تبدأ بالصعب ولا بالكثير.

۞ اجتهد في أن تكون من عباد الله الذين يقول لهم يوم القيامة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾ [الزخرف: ٦٨]، يا له من نداء ما ألذه، ومن رب ما أبرّه.

لا تضيع حياتك الخالدة السعيدة باتباع شهواتك في هذه الحياة الفانية المليئة بالمكدرات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [فاطر: ٥].

۞ كن كالمتسابق ينطلق بسرعة نحو هدفه، وإذا اعترض طريقه شوك ابتعد عنه، وإذا مر على شجرة مثمرة قطف الثمرة ليتقوى بها على سباقه.

فامض في طريقك ولا تلتفت ولا تتردد.

وإذا واجهك انتقاد فلا تُلْق له بالًا إلا إذا كان صوابًا.

وإذا أكثرت الالتفات والتردد فلن تصل، ولو وصلت: وصلت متأخرًا ولم تربح السباق.

۞ نصيحة مجرب لمن عزم على النوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا:

١ ـ استعن الله وأكثر من الدعاء.

٢ ـ لا تأكل ولا تشرب قبل النوم بساعتين شيئًا، وقلل من النظر إلى الجوال وغيره خلالها.

٣ ـ نم في النهار ساعة فقط، ولا تنم بعد الفجر أبدًا.

٤ ـ امش في مكان خافت الإضاءة مدة ربع ساعة أو أكثر.

اعزم واصبر وستنقاد لك نفسك بإذن الله.

۞ نوم الإنسان مبكرًا واستيقاظه قبل الفجر بنصف ساعة على الأقل، وانشغاله فيه بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن: ينتفع به أيّما انتفاع في صحته وإيمانه ونشاطه، فيُصبح مسرور البال، طيّب النفس، يشعر بالنشاط والهمّة التي تقوده إلى معالي الأمور، وتُحفّزُه على تنظيم واستغلال وقته.

۞ **إذا دعوت الله فلم يُجبك:** فارجع إلى نفسك ولُمها وقل لها: إنما مُنعتُ من الإجابة بسببك ولو كان فيك خير لأُجبت.

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات؛ لأنه يدل على شدة افتقارك واعترافك بتقصيرك وكمال تنزيهك له، وما يمنّ ويفيض عليك حينها من الأنس به والقرب منه أعظم وأجل من إجابته لك.

۞ لو سمعت إحدى هذه العبارات اليوم (تأثرت بأخلاقك) (اهتديت بسبب كلامك) (تركت سوء الخلق بسبب تغريدتك) (تصالحنا بسبب خطبتك) (أصبحت طالب علم بسبب كتابك) (أصبحت مصليًّا بسبب مقالك) ما هو شعورك؟

فكيف لو سمعتها يوم القيامة وأنت واقف أمام ربك؟

احرص على نشر الخير ونفع الناس بكل ما تستطيع، وسترى يومًا ثمار أعمالك.

۞ حارب الكسل والخمول.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همًّا وغمًّا وحزنًا، ليس لهم فرحٌ ولا سرور بخلاف أرباب النشاط والجدّ في العمل.

۞ تغيير العادة تحتاج إلى عادة:

من اعتاد على قول أو عمل أو خُلق سيئ وأراد أن يغيّر عادته إلى أحسن منها فلا بد أن يداوم على ما هو أحسن حتى يعتاده.

فلا يُمكن هجر عادة إلا بعادة أخرى.

ومن استعانَ بالله سهَّلَ عليه ذلك وأعانه.

۞ إذا أراد الله بعبد خيرًا بصّره بعيوبه، فمن كانت له بصيرة لم تخف عليه عيوبه، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوبهم. **ابن قدامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ ما أعظمَ عقوبة الله على مَن لم يُبادر بالعمل بما عَلِم، وأجَّله وسوّف وتكاسل فيه قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

۞ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفتْ منك الجد جدت، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها».

هذه القاعدة هي المفتاح للدخول إلى عالم النفس، وتبين سرّ نشاط أصحاب الهمم والعزائم وعدم تعبهم فيما يسعون إليه، وغيرهم يُصابون بالكسل والخمول ولا ينجزون كما أنجز هؤلاء.

۞ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدًا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته.

۞ حاسب نفسك كثيرًا، وجدد نيتك وأصلح باعثها وانظر في تصرفاتك وأعمالك ودقق فيها، فستجد في كثير منها أو في بعضها شوائب منعت كمال العمل ونفعه.

وربما ظننت أنك تعمل العمل لله وإذا بك تعمله لموافقته هواك ولا حول ولا قوة إلا بالله. وهنا المصيبة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانةً أنها تفعله طاعةً لله. [تقريب الفتاوى ١٨/٤]

۞ **اثنان لا ثالث لهما:**

١ ـ نفسك إن لم تُشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

٢ ـ قلبك إن لم تسكنه محبةُ الله فينشرح: سكنته محبةُ الدنيا والناس فيضيق ويتشتت.

٣ ـ لسانك إن لم يتحرّك بالذكر والخير تحرّك باللغو والباطل.

فاختر لنفسك ما دمت في زمن الخيار، ولا وقت للتسويف فإنك لا تدري متى يُصيبك سهم الموت.

۞ الطريق إلى الله دونه أربع عقبات:

١ ـ النفس، فلا تنتقم لها ولا تركن إلى حبها للراحة.

قال أحد العلماء: دعوت نفسي إلى الله فأبت عليّ فتركتها ومضيت إليه.

٢ ـ الشيطان، ولن تتخلص منه إلا بالعلم بالله وبشرعه.

٣ ـ الدنيا، فلا تجعلها أكبر همّك ولا تكن في قلبك.

٤ ـ الخلق، فلا تُجاملهم في دينك ولا تبحث عن رضاهم.

۞ إذا لم تر زيادة واضحة في همتك وعملك وعلمك وإيمانك فاعلم أنه من ضعف مجاهدتك.

ومتى لم تتقدم في الإيمان والعمل الصالح تأخرت ولا بد؛ لأن الله وعد بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ أي: لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير كقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٤].

فجاهد نفسك في الله واصبر.

۞ أي شرف أعظم من أن تكون فردًا ممن قال الله تعالى فيهم: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)؟

فقد جمع الله ﷻ جميع أوصاف الكمال لهذه الأمة التي شرفك الله فجعلك منها.

ألا تثير في نفسك الهمة والعزم على أن تكون خير الناس خلقًا

ودينًا وأدبًا وأنت من أمة هي خير الناس كلهم منذ خلق الله آدم؟

۞ والله لو جمعت مواعظ الأولين والآخرين كلها ما كانت أعظم تأثيرًا من موعظة من مواعظ القرآن، كقوله: (فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى).

۞ وعدٌ صادق من الكريم الوهاب: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فمن جاهد نفسه لله في قيام الليل أو طلب العلم وبذله أو التخلق بالأخلاق الحسنة والتخلص من الطباع السيئة: هداه الله لذلك أحسن وأتم وأكمل هداية.

فما بينك وبين هداية الله لك لسُبله ونيلِ كراماته إلا مجاهدة نفسك في الله.

۞ استنباط لطيف جدًا:

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في قول النبيّ ﷺ: «**ليس الشديد بالصرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»: الذي يملك نفسه عند الغضب هو القوي لغلبته هواه.

فدل هذا أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأن النبي ﷺ جعل للذي يملك نفسه عند الغضب من القوة والشدة ما ليس للذي يغلب الناس ويصرعهم. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/٢٩٦]

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه دليل على أن مجاهدة النفس في

صرفها عن هواها أشدُّ محاولَة وأصعبُ مرامًا وأفضلُ من مجاهدة العدو». [الاستذكار ٨/ ٢٨٧]

۞ الغضب والشهوة والغيرة إذا لم تنضبط وزادت عن حدّها: حجبت عقلك عن عمله، وتصرَّفْتَ تصرف المجانين والسفهاء، فكن على حذر منها ومن مُسبّباتها.

ولو تأملت في كل المصائب لوجدت أن سببها لا يخرج عن هذه الثلاثة.

وليس المطلوب إزالتها بل ضبطها وتوجيهها التوجيه الصحيح؛ ليكون وجودها نافعًا لا ضارًّا.

۞ ما تتعلمه في الرخاء إما أن يتبخر عند الشدائد والمحن، وإما أن يكون درعًا حصينًا لك يحميك من الانهيار والحزن والهمّ والضعف.

وهذا راجع إلى نيتك وإخلاصك وصدقك مع الله فيما تعلّمت.

۞ **تعاهد قلبك كما تتعاهد بدنك.**

لو تركت بدنك فلم تتعاهده بالتنظيف وإزالة الوسخ عنه لفسد فسادًا كبيرًا.

وقلبك إن لم تتعاهده وتتفقده ولم تُزل الأوساخ التي تلوّثه، كالغفلة، والتعلق بالدنيا، والحقد، والحسد، والعُجب: لفسد وخرب ومرض.

اسأل نفسك: متى تفقدت قلبك؟ إن لم تتفقده كل يوم مرض وقسا.

۞ كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يفتشون عن قلوبهم، ويحاسبون أنفسهم.

وكلّ من فرّط في إصلاح قلبه وسلامته من الأمراض: فإنه سينشأ

ويكبر وهو متصف بمرض من الأمراض الخطيرة، والتي ستظهر على سلوكه وتعامله.

فاحرص ـ رعاك الله ـ على صلاح قلبك وتخليصه من الأمراض الكثيرة الخطيرة.

۞ كما أن لسانك إذا عودته شرب المر أو الحلو اعتاد عليه، فكذلك إذا عودته الطيب أو الرديء من الكلام اعتاد عليه.

فعود لسانك أطيب الكلام وأحسنه.

۞ قلبك مثل الكأس، إذا كان فيه شراب رديء وأضفت عليه شرابًا طيبًا فسيفسد طعمه.

فإذا أزلت الرديء تلذذت بالطيب.

وهكذا قلبك.

لن يشم لذة وبركة القرآن حتى تزيل ما لوثه، كسماع الغناء والحب الحرام، وإدمان سماع الشعر والأناشيد.

طهر قلبك لتشبع وتستمتع بالقرآن.

وحينها ستجد والله السعادة والراحة.

۞ يظن بعض الناس أنّ أعظم الابتلاء الذي يتعرض له العالم أو الداعي إلى الله أو المصلح: هو الابتلاء الظاهر بتسلط ظالم وأذية أعداء ونحو ذلك، وتالله لـَما يتعرض له من ابتلاء الباطن من حبّ للشهرة والأتباع، أو طلبٍ للمدح، أو عُجب أو حسد: لهو أعظم وأخطر.

ولا يُطيق الصبر عليه إلا الأولياء والأتقياء.



تأملات قرآنية

۞ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

الركونُ هو الميل اليسير.

أي: لا تميلوا بالمحبة أو الصحبة أو المداهنة إلى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر أو المعاصي، أو ظلموا غيرهم وتسلّطوا عليهم، فتمسّكم نار جهنم.

فإياك ومجالستهم ومدحهم ومتابعة حساباتهم.

وإذا كان هذا جزاء من ركن إلى الظالم فكيف يكون حال الظالم نفسه؟

۞ تأمل قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

إذا كانت هذه عقوبة الله لخليله ﷺ إذا تقوّل عليه بلا علم فكيف بغيره؟

۞ ما أعظمه من وعيد وتهديد: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: ٤٧].

أي: ظهر للظالمين والمتبرجات والزناة ولمن اكتسب المال بالحرام ولمن عق والديه ولمن قطع رحمه.. ظهر لهم يوم لقاء الله

الجبار القهار من سخطه وصنوف عذابه ما لم يكونوا يظنون أنّ كل هذا قد أُعدّ لهم.

عجّل بتوبة صادقة.

۞ ما جاء عن الله تعالى وعن نبيّه محمدٍ ﷺ هو النور الحقّ، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، وبقدر أخذك من هذا النور: سينوِّر الله قلبك بقبول الحق، ولسانك بالنطق بالخير، وأفعالك بعمل البر، وعقلك، حتى ترى به ما غاب عن بصرك، حتى تصبح كما قال بعضهم:

أرى بقلبيَ دنيايَ وآخرتي والقلب يُدرك ما لا يُدرك البصر

وسيدوم لك هذا النور في قبرك، وفي المحشر، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

۞ قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

استقامتك لا بد أن تكون كما أمرك الله، وهذا يُوجب عليك أن تُكثر من قراءةِ كتاب الله وتفهمه، وتتفقّه في سُنَّة رسول الله ﷺ، وتعمل بهما؛ لتعرف مراد الله، ولا تقدّم عليه هواك ولا ذوقك ولا شيخك ولا مذهبك.

فلا يُقال عن أحد بأنه مستقيم ـ ولو كان مظهره الصلاح ـ إلا إذا كان عالمًا بأمر الله عاملًا به.

فالجهال والمبتدعة والعصاة لم يستقيموا كما أمر الله.

۞ قال الله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ

فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الحج: ٦٧ ـ ٦٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾؛ أي: شرعًا، ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾؛ أي: عاملون به، ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: لا ينازعنّك أحدٌ منهم فيما يشرع لأمّتك، فقد كانت الشّرائع في كلّ عصرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ بالباطل فدافعهم بقولك: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ من الكفر والتّكذيب، فأمره الله تعالى بالإعراض عن مماراتهم صيانةً له عن الاشتغال بتعنّتهم، ولا جواب لصاحب العناد.

وفي هذه الآية أدبٌ حسنٌ علّمه الله عباده في الرّدّ على من جادل تعنّتًا ومراءً ألّا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الّذي علّمه الله لنبيّهِ ﷺ. اهـ[(١)]

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنّما أسند الفعل هنا ـ ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ لضمير المشركين مبالغةً في نهي النّبي ﷺ عن منازعته إيّاهم الّتي تفضي إلى منازعتهم إيّاه فيكون النّهي عن منازعته إيّاهم كإثبات الشّيء بدليله.

وحاصل معنى هذا الوجه أنّه أمرٌ للرّسول بالإعراض عن مجادلتهم بعدما سيق لهم من الحجج. اهـ[(٢)]

فالله تعالى نهى نبيه ﷺ عن مجادلة الكفار والمعاندين، ثم أمره أن ينشغل بالدعوة إليه، لا أن ينشغل بالدفاع عما بلّغه، والمجادلة عن

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٤٤).
(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٢٩).

شريعتِه، ثم طمأنه بأنه على صراط واضح مستقيم، ثم أخبره تعالى بما يقول لهم عندما يرى منهم العناد والجدال بغير الحق.

❁ الذي يظهر والعلم عند الله تعالى أنّ المقصود بهذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، وأمثالها كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤] أن الله تعالى لا يهدي الظالم والكافر والفاسق أثناء تلبسهم بهذه الصفات: الكفر والظلم والفسق، فتكون حائلًا بينهم وبين الهداية، وإذا أراد الله هدايتهم أخرج هذه الصفات من قلوبهم، فحينها يقبلون الهدى، ويستجيبون للحق، فتقع الهداية عليهم.

والغاية من تكرار الله تعالى مثل هذه الآيات: تحذير الناس من الاتصاف بهذه الصفات، التي تتنافى مع الهداية للحق.

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩]؛ أي: لا يقبلون منه هدايته لهم، وإذا لم يقبلوا منه لم يعطهم، وإذا لم يعطهم فهو لم يهدهم.

وأيضًا: فالظلم هاهنا مناف للهداية، فإنه جحود آلاء الله، والامتناع من قبولها والهداية تقتضي تحري العدالة.

فإذًا: الهداية والظلم كالمتضادين لا يجتمعان.اهـ[١]

❁ تأمل في خوف موسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ من فرعون بعد أن صدر الأمر الصريح من الله جَلَّ لهما بقوله: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: ٤٣]، فقالا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه:

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٥٤٠).

٤٥]، ولم يَلُمْهُما ربهما على هذا الخوف، مع أنّهما يعلمان أنّ الله لم يأمرهما بأمر وفيه مضرة لهما، ومع ذلك عذرهما الله على هذا الخوف، ولم يكلفهما فوق طاقتهما، فأعطاهما الأمان والضمان من بطش فرعون، قال تعالى لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦].

وأخبر تعالى عن إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠]، «فإذا كان الخليل وموسى الكليم عليهما السلام قد خافا ـ وحسبك بهما ـ فغيرهما أولى»[١]

وفي هذا رخصةٌ لأهل العلم والصالحين في عدم مواجهة الحاكم الظالم المتسلط، ولا يجوز أن يلومهم أحد على عدم الصدع بالحق الذي يغلب على الظن أنه سيلحقهم بسببه أذى في أنفسهم أو أموالهم.

❁ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

بعث الله محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله به، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به فهو من المفسدين في الأرض.

❁ قال الله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمٰن: ٣١]، «والله سبحانه لا يشغله شيء عن شيء، والفراغ في اللغة على وجهين: فراغ من الشغل، وفراغ بمعنى القصد.

وهو في هذا الموضع بالمعنى الثاني، وهو قصد لمجازاتهم بأعمالهم يوم الجزاءِ»[٢]

---

(١) تفسير القرطبي (٥/٣٨٦).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (ص٤٢٣).

ويا لها من آية ما أعظمها وأبلغها.

إن الله يهدد كل من عصاه وفرط في حقه أو ظلم أحدًا بأنه سيفرغ يومًا لمحاسبته وعقابه على إجرامه وظلمه.

ويبشّر من استقام على دينه وأحبه ورجاه بأنه سيفرغ يومًا لمجازاته على أعماله الصالحة، ويُبشّر كلّ من ظُلم بأن الله سيُنصفُه ممن ظلمه وآذاه بغير حق.

۞ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩].

نعم الله عليك نوعان:

١ ـ نعمة في الظاهر والباطن، وهي التي أحسنت استعمالها ولم تعص الله فيها.

٢ ـ نعمة في الظاهر وفتنة في الباطن، وهي التي لم تحسن استعمالها وعصيت الله فيها.

فكم من مفتون وهو يظن أنه مُنعّم محظوظ!

۞ قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

الحياة نوعان:

١ ـ حياة البدن بالطعام والشراب، وهي حياة ناقصة فانية.

٢ ـ حياة الروح بالاستجابة لله ورسوله ﷺ، وهي حياة كاملة باقية.

ففيها حياتك في الدنيا بالعز والسعادة والتوفيق وبقاء الذكر الجميل، وحياة الأبد في الجنة الخالدة.

۞ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

يا من أسرفت على نفسك وارتكبت من المعاصي أمثال الجبال:

بادر إلى توبة صادقة لا يمحو الله بها كل تلك السيئات فحسب، بل يبدلها إلى حسنات!

فما بينك وبين تبديل جبال من السيئات إلى جبال من الحسنات إلا توبة صادقة.

ما أكرمك يا رب!

۞ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

إذا أردت أن يُيسّرك الله لليُسرى فانفع عباده المؤمنين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل المبارك: مُيَسَّرٌ للنَّفع حيث حلَّ، فجزاءُ هذا أنْ يُيسِّرَه الله لليُسْرى، كما كانت نفسُه مُيَسَّرةً للعطاء.

[التبيان في أقسام القرآن ص٨٩]

۞ تأمل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩﴾ [الحشر: ١٩] وقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧].

فإذا رأيت نفسك ضعيفة السعي فيما فيه نفعها وكمالها من لوازم العبودية فإنما ذلك بسبب ضعف صلتك بالله وإعراضك عمّا يقويها.

۞ ما أعظم هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة، ولو اقترفوا ما اقترفوا من المعاصي والذنوب، فمآلهم الأمن والهداية.

وقد بيَّن النبي ﷺ أنّ المراد بالظلم في هذه الآية: الشّرك، ونفى أن يراد به ظلم النّفس بالمعاصي.

قال القرطبي رحمه الله: قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأرجى منها.

۞ من أعظم الآيات التي تجعل القلب يمتلئ تعظيمًا وإجلالًا لله تعالى: قوله تعالى: ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ [الكهف: ٢٦]، فللّه تعالى وحده علم غيب السماوات والأرض، وما خفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء.

ثم زاد في بيان ذلك وتأكيده بأبلغ عبارة فقال: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾؛ أي: أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه.

وتفيد هذه العبارة أن أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك السامعين والمبصرين، لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك أكبرها حجمًا وأكثفها جِرْمًا، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر.

والمؤمن لا يسعه عند سماعِه لهذه الآية، وفَهْمِه لها: إلا أنْ يستحضر اطلاع الله عليه في كل شؤونه، وأن يستحي منه في خلواته، وأنْ يصرف همّه لمرضاته، وأن يعتني بالتجمل له أعظم من عنايته بالتجمل للمخلوق الضعيف.

۞ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

لن يظلمك ولو مثقال ذرة، وسيضاعف حسناتك، وسيؤتيك أجرًا عظيمًا.

قال بعض السلف: إذا قال الله: ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ فمن الذي يَقْدِرُ قَدْره؟

فإياك أن تعلق قلبك بغيره.

اللهم ربنا آتنا من لدنك أجرًا عظيمًا.

۞ **يا من رزقه الله المال:** تأمل قول الله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧].

فأصل أموالك لله، وليس لك فيها إلا التصرف الذي يرضي الله فيثيبك على ذلك.

فهي ليست بمالك في الحقيقة، وما أنت فيها إلا بمنزلة النائب والوكيل، فاغتنم الفرصة فيها بالنفقة وبذل المعروف، قبل أن تتحول عنك إلى من بعدك.

۞ قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤].

﴿فَقَٰتِلۡ﴾: رد على من يكل تخليص المسلمين من المصائب إلى الله تعالى وهو لا يبذل أي عمل تجاه ذلك.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾: رد على المبالغ في الحزن عليهم؛ أي: لن تكلَّف بإجبار الآخرين على نصرة دين الله.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠].

أعمالك التي كتبَها الْمَلَكان بالأمس هل تسرّك وتُشرّفك لو فُتحت وقُرئت على أقربائك؟

وسيأتي يومٌ تُعرض على مَلِك الملوك!

۞ تأمل قول الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فقد جعل المغفرة والرحمة داخلةً في أسمائه التي وصَف بها نفسه، وأمَّا شدة العقاب وألم العذاب فإنما هو من عوارض مفْعُولاته، وليس في أسمائه الحسنى اسمٌ يتضمن صفة الغضب والعذاب، ولا في صفاته صفةً تقتضي ذلك.

۞ تأمل قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

لم يقل: سكن؛ لأن الغضب إذا اشتد كان كالسلطان القوي يأمر وينهى ويحثّ صاحبه على فعلٍ ويأمره به ويقول له: قل كذا وافعل كذا.

وإذا طَفئ الغضبُ ضعف سلطانُه، فلم يعُد قادرًا على الأمر والنهي، ورجع سلطان العقل فأصبح هو الآمر والناهي.

۞ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥].

القرآن ثقيل؛ أي: يثقل حمله، وضبطه، والعمل به، فيحتاج إلى مجاهدة ومداومة.

قال بعض السلف: هو والله ثقيل مبارك، كما ثَقُلَ في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا.

❁ **أجمل ما قرأت في تفسير سورة الإخلاص:** قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحها:

١ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ نفي للنظير والأمثال.

٢ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ إثبات صفات الكمال.

٣ ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ نفي للصاحبة والعيال.

٤ ـ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ نفي للشركاء لذي الجلال.

[تاريخ ابن غنام ١/٦٦٢]

❁ قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء لا يرضاه؟ قالوا لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عَزَّوَجَلَّ!.

❁ قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

عندما تلتجئ إلى الله في كُلّ أمور حياتك: توجَّه إليه بقلبك ولسانك ويديك، طالبًا منه ما يجول في خاطرك، وأنت على يقين بأنه لا يرُد عبدًا الْتجأ إليه

مَن غيرُه يُجيب دعاءك إذا ضاقت عليك الدنيا؟

من غيره يرفع عنك الظلم إذا ظُلمت؟

من غيره يغفر سيّئاتك وذنوبك؟

❁ كل صعود فهو في الحقيقة نزول وهبوط، إلا ما كان عملًا صالحًا خالصًا لله، قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

ومن كانت نهايته جهنم فصعوده الوهمي تجارةً كان أو شهادةً أو رئاسةً أو سلطةً إنما هو هبوط وانحدار.

وليس لك في هذه الحياة إلا فرصة واحدة فلا تضيّعها.

❁ الغنى بالله عن كل ما سواه أَعلى درجات الغنى، قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

فما عند ربي من عزة وقوة ولطف وكرامة وسعادة باقٍ.

فليكن ربك أعظم محبوب في قلبك، وأعظم عظيم في نفسك، وأرجى من ترجوه عند حاجتك، وأقوى ركن تأوي إليه عند خوفك، وغاية مقصودٍ في حياتك.

هذا والله الغني كل الغنى.

❁ انبساط النفس بما شرع الله مما يحبه الله:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

أي: فليفرحوا بهذا الدين والقرآن والهدى، فإنه أولى مما يفرحون به من حطام الدنيا.

قال السعدي رحمه الله: «إنما أمر الله بالفرح بفضله ورحمته لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها وشكرها لله»، تأمل وافرح واحمد الله أيها المؤمن الموحِّد.

۞ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

طالب الدنيا إذا انصرفَت عنه الدنيا: ضعف وذل وحزن، وربما مات كمدًا.

بخلاف طالب الآخرة، فإنه لايرفع للدنيا رأسًا بل يزداد قوة وعزة وأملًا ورضًا ورجاءً بربّه.

فمتى غرسْتَ شجرة الإيمان في قلبك فستُثمر أحسن الثمار ولو هبّت عليها رياحُ الدنيا العاتية.

۞ وعد الله من اهتدى بالزيادة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

فإذا لم يزدك هداية وإيمانًا وعملًا صالحًا: فاعلم أنك لم تهتد الهداية التي يرضاها.

ولا يزال الله يزيد المؤمن هدى حتى يجعله يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويرضا بما قدّره الله، ويفوض إليه كل أموره، ويوقن أنّ الله لن يختار له إلا ما هو أصلح له.

۞ حينما تقرأ قول الله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

لا تظنّ أنها لغيرك من أهل المعاصي، بل نحن جميعًا المخاطب بها.

فقد ذكر الله أن المجاهدين يقولون وهم يخوضون المعارك لنصرة دينهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

فإذا كان هؤلاء قد أسرفوا فكيف بي وبك؟.

۞ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ [السجدة: ٢٤].

كن إمامًا يُقتدى بك في صبرك على المصائب، وقد ذكر الله حكمتين من ابتلائه لأيوب ﷺ:

١ ـ ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥]؛ أي: ابتليناه ليعظم ثوابه في الآخرة.

٢ ـ ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤)﴾ [الأنبياء: ٨٤]؛ أي: جعلنا قدوة؛ لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسّوا به في الصبر على البلاء.

۞ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

نجاهم من عذابه لقيامهم بالدعوة إلى الله.

ولو لم تكسب من عملك ـ أخي الداعي إلى الله ـ إلا نجاتك من عذاب الله لكفى.

وعملك امتداد لعمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وشتّان بين مَن اشتغل لله وبين مَن اشتغل لنفسه.

۞ قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]

السابقون إلى الطاعات: هم المقربون عند رب الأرض والسماوات.

السابقون إلى نفع الناس ونشر العلم هم الذين نالوا أرفع الدرجات.

السابقون إلى تفريج الكربات هم الذين حازوا أفضل المكرمات.

دع الكسل وكن من السابقين، فما فاز بأعلى درجات الجنة إلا هم.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

۞ تأمل قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢١]؛ الله يدعوك إلى دار السلام: السالمة من المصائب والزوال.

وإبليس وأعوانه يدعونك إلى الركون إلى هذه الدار الزائلة عن قريب، المليئة بالمصائب.

فاختر أيّ الدارين شئت؟

وانظر في أي الداعيين أولى بالإجابة والطاعة: من يريد نجاتك، أو من يسعى لهلاكك؟

۞ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ذكر الله تعالى أنه أعدّ الجنة للمتقين، وأول صفتهم أنهم ينفقون حال يُسْرهم وعُسْرِهم وغناهم وفقرهَم، فمن لم يُنفق حال عسره فليس بمتق، فكيف يكون حال الأغنياء البخلاء؟

۞ قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ﴾ [فاطر: ١٠].

هنيئًا للمؤمن..

عادت بركة إيمانه على عمله فصعد إلى الله.

وعلى روحه بعد مماته فصعدت إليه.

والكافر عاد شؤم كفره على عمله فلم يصعد، وعلى روحه فأغلقت السماء أبوابها دونها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

۞ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]

الطريق إلى الله بدايته تعب ومجاهدة، ونهايته لذة وسعادة.

۞ تأمل قول الله لنبيّه ﷺ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦].

فيها أمر وخبر: الأمر: ادفع أذى الناس بأحسن الأقوال والأفعال.

الخبر: الله أعلم بذلك منك، وحسابهم عليه.

فيا أخي: اصفح عن إساءة الناس بما أمكنك من إحسان ولطف، وأوكِل أمرهم إلى الله العالم بحالك ونيتك ولن يخيبك.

۞ **مختصر الحياة:** ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤٢].

ليس لك إلا ما عملت، وسوف تراه وتحاسب على صوابه وإخلاصك فيه، ونهاية المطاف إلى الله، فلا تنشغل في حياتك بغيره، فيا حسرة من سيقول: ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الفرقان: ٢٨، ٢٩].

۞ لخّص الله حقيقة الدنيا والآخرة في قوله: ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

فليس في الآخرة إلا عذاب شديد لمن اتبع هواه، ومغفرة من الله ورضوان لمن أطاع الله.

وحقيقة الدنيا أنها متاع فانٍ يغتر بها الجاهل.

اللهم ثبتنا واغفر لنا وارض عنا.

۞ الحياة الدنيا كساعة بالنسبة للحياة الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فالعاقل يستغلّ هذه الساعة القصيرة، ولا يُضيعها فتضيع عليه آخرته الباقية التي لا نهاية لها.

۞ ما أخسر من كانت هذه الدنيا الفانية القصيرة أكبر همّه وشغله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال النبي ﷺ: **«من كانت الدنيا همه: فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»**.

۞ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

أعظم الفساد: فساد الدين والأخلاق، وإذا كان بعد الإصلاح كان أشد وأعظم فسادًا وخطرًا، قال ابن كثير رحمه الله: «نهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضرَّه بعد الإصلاح!

فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك: كان أضر ما يكون على العباد». [تفسير ابن كثير رحمه الله ٣/ ٤٢٩]

۞ من أعظم الخسارة أن تموت ويموت ذكرك وعملك، والموفق

من إذا مات وبقي ذكره الحسن الذي يجعل الناس يدعون له، وبقيت أعماله الصالحة شاهدة له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

وقال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

فأبق لنفسك أعمالًا صالحَة لا تموت بموتك.

۞ موعظة بليغة موجزة:

قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١، ٢]؛ أي: انشغلتم بجمع المال والأهل ومتع الدنيا عن طاعة الله، ولم تزالوا كذلك حتى فاجأكم الموت، ولم تستعدوا له، ودُفنتم في المقابر.

وهذا حال أكثر الناس، والعاقل من يكون على أهبة الاستعداد للآخرة، بدوام العمل الصالح.

۞ تأمل قول حملة العرش ومن حوله الذين هم مِن أعظمِ وأقربِ عباد الله إليه وأعلمهم به ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]؛ أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء.

فإذا رأيت كثرة المعاصي وتسلط الفجرة فلا تحزن؛ فربي يعلم عنهم وهو الذي قَدَّرَ ذلك لِحِكَم باهرةٍ لا تُحيط بها عقولُنا.

فإذا تساءلت: لِم لَم يعاقبهم وقد طغوا؟

فالجواب: لأنّ رحمته سبقت غضبه، فلذا لم يعجّل عقوبتهم في الدنيا، بل أمْهلهم إلى يوم القيامة.

وما أكرم المؤمن على الله الذي اجتهد في فعل الطاعات،

واجتناب المحرمات، حيث سخّر له حملة عرشه ومن حوله يستغفرون له!

۞ قال الله عن يوم القيامة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ٣]؛ أي: خفضت أقوامًا كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقوامًا كانوا في الدنيا مخفوضين.

فيا من ترفّعت بالظلم والكبر في هذه الدنيا الفانية، سيخفضك الله إن لم تتب في الدار الباقية.

ويامن تواضعت لله، وصبرت على الفقر أو الظلم أبشر بالرفعة في دار الخلود.

۞ قال ابن القيّم رحمه الله: شرّ ما في الإنسان لسان كذوب؛ ولهذا يجعل الله شعار الكاذب عليه وعلى رسوله ﷺ سواد وجوههم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

والكذب له تأثير عظيم في ظلمه الوجه.

والكاذب يرزقه الله إهانةً وبُغضًا، فمن رآه كرهه واحتقره.

والصادق يرزقه مهابةً وجلالةً، فمن رآه هابه وأحبّه.

۞ قال الله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] مما يرتاح له القلب وتطمئن به النفس: أنْ أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه «الرحمٰن» الذي وسعت رحمته كل شيء، وخلق هذا الآدمي الضعيف وكرّمه ليتغمّده برحمته، وقد حضروا بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم.

فما ظنك بما يعاملهم به؟ السعدي رحمه الله.

❁ إذا كان الله أمرنا بالذكر حتى في الحرب وتطاير الرّؤوس ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥] فمِن باب أولى أنْ نُكثر الذكر في حال الأمن.

❁ في هذه الآية ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤] دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لايزال متملّقًا لربه أن يثبته على الإيمان، ساعيًا في كل سبب موصل إلى ذلك. السعدي رحمه الله.

يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

❁ تأمل قول الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

أضاف الأموال إلى الجميع، ولم يقل: لا يأكل بعضكم مال بعض؛ للتنبيه على تكافل الأمة في حقوقها ومصالحها. [تفسير المنار ٥/٣٣]

❁ قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾.. ﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾.. ﴿مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

ذكر الله أفعال الأنبياء والأولياء لأنها محل المدح، ولم يذكر أعمارهم ولا أنسابهم ولا بلدانهم

إلا القليل منهم في سياق ذكر القصة، ولم يذكر أسماء كثير منهم

فالعظماء والنابغون يُعْرَفون بأفعالهم، لا بأعمارهم ولا أنسابهم ولا بلدانهم.

❁ قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [الإسراء: ٥٣].

آيتان من عمل بهما فقد كمل عقله وعلت همته، وكثر أحبابه، وقل خصومه، وتبوأ في الدنيا والآخرة أرفع الدرجات

فما أكمل عقولهم: ينتقون بحاسة السمع أحسن القول ليعملوا به، وينتقون بحاسة اللسان أحسن القول ليتكلموا به.

۞ قال الله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أخوفني أن أُساكن معصيَّة فتكون سببًا في سقوط عملي بعدما سمعت، وهذا يدل على أن في سوء الأدب على الشريعة ما يحبط الأعمال ولا يشعر العامل إلى أنه عصيانٌ ينتهي إلى رتبة الإحباط.

هذا يترك الفطن خائفًا وجلًا من الإقدام على المآثم.

۞ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٥].

تحليك بخلق اللين، والعفو، والحلم، والأناة، والتغافل، قصدًا وطلبًا للثواب، حتى يظن الجُهَّال أنك ضعيف الشخصية ذليل ضعيف مهين: هو كمال في العقل، ورسوخ في الإيمان، وهو خلق الأنبياء والأولياء والنبلاء.

اللهم اجعلنا منهم.

۞ قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ [الحديد: ١١].

التعبير عن الإنفاق بالإقراض الذي يشعر بحاجة المستقرض إلى المُقرض عادةً: جديرٌ بأن يملك قلب المؤمن، حتى يسهل عليه الخروج من كل ما يملك ابتغاء مرضاة الله.

فقلب لا يلين له ويندفع به إلى البذل: قلبٌ لم يمسه الإيمان.

وعندي أنّ هذه الآية أبلغ آية. (تفسير المنار).

۞ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

كل خير فسببه طاعة الله، وكل شرّ فسببه معصيته.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه: أن المعاصي سبب المصائب، وأن الطاعة سبب النعمة، فإحسان العمل سبب لإحسان الله».

۞ تأمل قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤].

إذا كانت هذه عقوبة الله لخليله ﷺ إذا تقوّل عليه بلا علم فكيف بغيره؟.



تأملات في قصص الأنبياء

۞ **من أراد أن يقتدي بالأنبياء** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: فلا يقتصر على ما ورَّثوا من العلم فقط، بل عليه أن يأخذ بما ورَّثوا من علم وعمل وتربية وأخلاق، وحرص على نصح الناس، ومخالطتهم في الخير؛ فالأنبياء لم يكونوا معلمين ومفتين فقط، بل كانوا مع ذلك مربين للناس بمخالطتهم ونصحهم وغشيان مجالسهم للدعوة والتذكير والنصح.

۞ أرادت امرأة العزيز بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكون عشيقًا لها، وأراد العزيز أن يكون لهما خادمًا أو ولدًا، والله أراد أن يمكن له في الأرض، فمهما أُريد بك فإرادة الله غالبة.

۞ فرق بين من يطلب من الله تعالى شيئًا لخاصته ومصلحته، وبين من يطلب شيئًا لمصلحة الدين والمسلمين، ولذلك حينما جادل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه في طلب تأخير العذاب عن قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ رحمةً بهم وحبًّا في هدايتهم لم يعاتبه الله تعالى، بل أثنى عليه ووصفه بأنه حليم أوّاه منيب.

وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم:

أما الحليم: فهو الذي لا يتعجل بمُعاقبةِ غيره، بل يتأنَّى فيه فيؤخر ويعفو، ومَن هذا حالُه فإنه يحب من غيره هذه الطريقة، وهذا كالدلالة على أنّ جداله كان في أمر متعلق بالحلم وتأخير العقاب.

ثم ضم إلى ذلك ما له تعلق بالحلم وهو قوله: ﴿أَوَّٰهٌ﴾ [هود: ٧٥]؛

لأن من يستعمل الحلم في غيره فإنه يتأوَّه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير، فلما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب ذلك، وأخذ يتأوه عليه(١)

ووصفه أيضًا بأنه منيب، لأنه رجع إلى الحق مباشرة بعدما تبين له، فلما استبانت له حجة الملائكة رضي ورجع وترك الجدال. والله أعلم.

وكان عليه السلام - والله أعلم - يرجو ويأمل أنْ تلحقهم رحمةُ الله بتأخير العذاب عنهم.

«وربما وقعت تلك المجادلات بسبب أنّ إبراهيم كان يقول: إنّ أمْر الله ورد بإيصال العذاب، ومطلق الأمر لا يوجب الفور، بل يقبل التراخي، فاصبروا مدةً أخرى، والملائكة كانوا يقولون: إنّ مطلق الأمر يقبل الفور، وقد حصلت هناك قرائن دالة على الفور»(٢)

ولكن حينما جادل نوح عليه السلام ربه في ابنه عاتبه الله عتابًا شديدًا وحذره أن يكون من الجاهلين، مع أنّ مع نوح شبهةً في جداله، وهو أنّ الله وعده أن ينجيه وأهله، فقال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]، فبين الله أنه ليس من أهله لأنه عملٌ غير صالح.

فلير الله تعالى منك الصدق والحرص على محبة ما يحبه، وبغض ما يبغضه، وعلى الرغبة الأكيدة في طلب رضاه، وخدمة دينِه، وألا يرى منك أي اعتراض بلسانك ولا بحالك على كل ما قضاه وقدره عليك أو على غيرك، حتى إن المصائب التي تحل بالمسلمين من القتل والسجن لا

---

(١) يُنظر: تفسير الرازي (١٨/ ٣٧٧).

(٢) تفسير الرازي (١٨/ ٣٧٧)، وقال: وهذا الوجه عندي هو المعتمد.

يجوز أن نحزن حزن تسخط مشوب باعتراض، بل نرضى بقضاء الله وقدره، وأنه لم يقدر ذلك إلا لحكمة، مع ضِيقنا الشديد لما يحل بهم، ولمن أوقع بهم ذلك، ونسعى لرفع الظلم عنهم ونصرتهم قدر طاقتنا.

۞ نبينا محمدٌ ﷺ رعا الغنم، وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام، وزكريا عليه السلام كان نجارًا، وداود عليه السلام يصنع الدروع، مع كونه نبيًّا وكان من كبار الملوك ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠] فهل يعي شبابنا أن مهنة العمل والبيع والحِرَف شريفةٌ، ما لم تشتمل على ما حرّم الله؟

۞ حينما ابتلى ربُّنا نبيَّه إبراهيم ﷺ بكلمات ـ وهي الدين ـ فأتمهن وقام بهن: كافأه الله فجعله إمامًا يقتدى به في دينه وأخلاقه.

فمتى أردت أن يبارك الله لك ويجعلك إمامًا يقتدي بك الناس ويكون لك مثل أجرهم فقم بما أمرك الله أتم القيام.

فيالها من منزلة لا ينالها إلا الصادق مع الله، المخالف لهواه.

۞ لقد امتلأ قلب يوسف ﷺ بمحبة الله وتعظيمه والأنس به، واللذة بذكره وبمناجاته ما أغناه عن محبة العاشقة المقبلة عليه بكامل زينتها وجمالها وسلطانِها، واستولى على قلبه حبُّ الله، فلا مكان لغير الله في قلبه.

فمن ذاق طعم ولذة محبة الله: لم يبق في قلبه محبّةٌ لغيره وتعلّق بغيرِه أبدًا.

۞ تأملت في سرّ رفعة الله للأنبياء والصالحين وتفضيله وإكرامه وحبّه لهم، فوجدت السبب في ذلك في أمرين:

١ ـ شدة افتقارهم والْتجائهم إليه.

٢ ـ أنهم جعلوه مرادهم الأول، فقدّموه على أهوائهم ورغباتهم،

وبذلوا قُصارى جهدهم لأجل العمل بما يرضيه، ودعوة أهليهم وأقوامهم إلى الحق، وصبروا لذلك.

۞ ما هي البركة التي وهبَها الله لعيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]؟

هي نفعُه لغيره بعلمه وعمله وأخلاقه وماله أينما كان.

كم هم المباركون الذين أينما حلّوا نفعوا!

تجد أخلاقهم وأموالهم وكتاباتهم وكلامهم ومجالسهم ومصاحبتهم: مباركة نافعة.

اللهم اجعلنا مباركين أينما كنّا.

۞ لا أظنك لاقيت مثل ما لاقى يوسف عليه السلام من إخوته من الظلم والأذى، ومع ذلك حينما اعترفوا بخطئهم بادر إلى مسامحتهم فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢]، ثم دعا لهم ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، ثم فتح لهم باب الأمل والرجاء ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

هذه هي أخلاق الأنبياء، فاقتد بهم، وسامح كل من ظلمك.

۞ هارون عليه السلام كان من أنبياء الله، ونبوته وعلمه وصلاحه لم تمنع أخاه موسى عليه السلام من نصيحته: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢].

فلا تتردد في نصيحة أي أحد مهما ظهر صلاحه برفق وأدب.

فكل الصالحين بحاجة إلى التناصح، وغيرهم أشد حاجة.

فلنحرص على نصح بعضنا، ولنتقبل نصح الناصحين.

۞ تأمل في قصة طالوت:

ـ الكثرة لم تثبت عند الفتنة حينما مُنعوا من الشرب من النهر.

ـ والقِلّة ثبتت على ضعف فلم تشرب.

ـ والقِلّة من القليلة ثبتت بقوة وثبّتت الباقين.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

فالثابتون قلّة.

وأقلّ منهم: المُثبّتون الناصحون الدّاعون إلى الله في زمن الفتن.

اللهم اجعلنا منهم.

۞ قال الله عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فلما أتمّ ما أُمر به من الكلمات جعله الله إمامًا للخلائق يأْتمُّون به. ابن القيم رحمه الله.

فمن تعلّم دين الله وعمل به وُضع له القبول في قلوب الناس وجعله الله إمامًا يأتمّ الناس ويقتدون به، ولو لم يكن أعلمَهم.

۞ حينما ذكر الله محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه ختمها بتأييده له وتزكيته، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣].

فلم تكن هدايته وقوة حججه وذكاؤه إلا محض هبة من الكريم الوهاب.

فذكاؤك وعلمك وجهدك وصلاحك وغناك ومنصبك ليس منك.

بل هذه هبة محضة من الله.

فإياك والاغترار والتفاخر بها والشعور بأن لك الفضل فيها.

۞ **تأمل:** إذا أردنا مدح عالم قلنا: قرأ ودرس وتعلّم، إلا رسول الله ﷺ فإننا إذا بالغنا في مدحه قلنا: أُمّي لم يقرأ ولم يدرس!

ومع ذلك خرَّج أعظم جيل!



القرآن وفضله

۞ القرآن أفضل وسيلة لتقوية العقل؛ إذ يحدد له المسار الصحيح في التفكير، بخلاف من لم يهتد بالقرآن فإنه يسلك بعقله كل مسلك ولو كان فيه تلفه.

ومثل العقل والقرآن مثل السيارة والعلامات الإرشادية، فمن قاد سيارته دون الرجوع إليها ضل، فمن أعمل عقله دون الرجوع للقرآن ـ الذي نزل لأجل صلاحه ـ ضل.

۞ **هنيئًا لك يا حافظ القرآن:**

إذا كان من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصمته من فتنة الدجال وهي أعظم فتنة..

وأنت قد حفظته كله، فلن تُفتن بما هو أقل وأهون منها إن شاء الله، إذا عملت بما حفظت، وابتغيت به وجه الله.

فاثبت عليه، ولازمه وصاحب أهله، فالفتن كثيرةٌ جدًّا، ومعك أعظم عاصم لك منها.

قال ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**».

۞ إذا قرأت القرآن بتدبر وفهْم: رقّ قلبُك وتلذّذْت به.

قال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبّر، لم يُدرك من لذّة القرآن شيئًا.

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: إني لأعجب ممن يقرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذّ بقراءته!

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: يا ابن آدم، كيف يرقّ قلبك وإنما همّتك في آخر السورة!

ولو علمت ما سينفتح عليك إذا انشغلت بالقرآن من السعادة، والبركة، والهمّة، والطمأنينة، واليقين، وصلاح البال، وحسن الأخلاق، وتيسير الأمور: لصرفت له جلّ وقتك وغاية طاقتك..

۞ ليكن همّك أنْ تتدبّر القرآن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا مرّ متدبر القرآن بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكّر وتفهّم خير من قراءة ختمة بغير تدبّر وتفهُّم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف».

۞ «لا يعلم حصر درجات الجنة ولا عددها إلا الله.. ألا ترى النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارْق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»؟

فهذا يدل على أن في الجنة درجات على عدد آيات القرآن، وهي أكثر من ستة آلاف آية». [المفهم للقرطبي ٣/ ٧١١]

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى.

۞ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أحب أن يعلم ما هو عند الله فليعرض نفسه على القرآن». [الزهد لابن المبارك ٣٤].

اعرض نفسك على كتاب الله:

فإذا كنت تحب تلاوته، وتتأثر بمواعظه، وتفعل ما يأمرك به، وتترك ما ينهاك عنه: فقدرك عند الله تعالى عظيم، ومنزلتك عنده رفيعة.

وإن لم تكن كذلك فأحسن الله عزاءك، وإياك أنْ تتأخّر في إصلاح حالك قبل فوات الأوان.

۞ في القرآن من البلاغة والبيان والفصاحة والإعجاز ما يجذب قلب من قرأه بتدبّر، ويستولي على عقله، ويهزّ وجدانه، ويهيّج مشاعره، ويجتثّ ما لوّث فكره وقلبه من شبهات وشهوات.

قال أمين نخلة الأديب النصراني[1]: «ما قرأتُ في القرآن قطُّ، وتلقّتْني تلك الفصاحة من كلّ جهة، وشهدتُ ذلك الإعجاز الذي يطبّق العقل، إلّا صحتُ بنفسي: «انجي ويحك، فإنني على دين النصرانية».

[الأعمال الكاملة ٢/ ٢٢٩]

وما أجمل قول أحد المعتنين بالقرآن وفقه الله: «قراءة واحدة صادِقة لكتابِ الله تصنع في العقل المُسلم ما لا تصنعه كُلُّ المُطوَّلات الفكريّة بلُغتِها الباذخة وخُيَلائها الاصطلاحي».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فسبحان من تعرَّف إلى خواصّ عباده بكلامه، وتجلَّى لهم فيه، فهم لا يطلبون أثرًا بعد عين، ولا يستبدلون الحق بالباطل.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلوم التي تضمَّنَها القرآن ليس في قوى البشر الإتيان بها، ولا سيّما من أميٍّ لا يقرأ كتابًا ولا يخطّه بيمينه، مع كونه في أعلى

---

(١) شاعر وأديب لبناني (١٩٠١ ـ ١٩٧٦)، له آثار شعرية غنية، وأعمال أدبية غزيرة في التاريخ، وفقه اللغة، وخاطرات الوجدان، وكان من الشخصيات الأدبية والسياسية اللامعة التي زهت بها الأوساط الأدبية في لبنان والبلاد العربية زمنًا.

أنواع الفصاحة، سليمًا من الاختلاف، بريًّا من التناقض، يستحيل من العقلاء كلّهم لو اجتمعوا في صعيد واحد أن يأتوا بمثله، ولو كانوا على عقل رجل واحد منهم. [التبيان في أقسام القرآن ص٩٨، ٣١٢]

۞ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

في كتاب الله:

١ ـ من الحجج والبراهين ما يكفي لدحض شُبَه الكافرين.

٢ ـ ومن المواعظ والعِبَر ما يكفي لهداية الضالين وزيادة إيمان المؤمنين.

٣ ـ ومن الشفاء ما يكفي لعلاج كل مريض.

٤ ـ ومن الأحكام ما يكفي لصلاح العباد والبلاد.

فاجعله كافِيك وسَترى العَجَب.

۞ إذا كان الماء يجري على الأرض فتصبح مخضرة مباركة حية، فما حال القلب الذي يجري عليه كلام الله صباح مساء!

بالقرآن سينبت الله الإيمان واليقين في قلبك، ويغرس الفهم والذكاء في دماغك، ويكسو بالفصاحة والبلاغة لسانك.

فأهل القرآن هم أعقل الناس، وأفصح الناس، وأتقى الناس، وأنفع الناس للناس.

۞ من أراد البركة في كل أمور حياته، والشفاء من السحر: فعليه بكثرة قراءة سورة البقرة، فقد قال النبي ﷺ: «**اقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة** ـ أي السحرة ـ» رواه مسلم.

وقد جاءني رجل يشكو من شدة الهموم والأوجاع فطلبت منه قراءتها عدة أيام، فأخبرني أنه ذهب عنه ما يجد.

۞ البروفيسور [جفري لانغ] ملحدٌ أعجمي، قرأ سورة الضحى فبكى كالطفل تأثرًا بها!

فكيف لا نتأثر بها ولا بغيرها ولا تحركنا ونحن عرب مسلمون موحّدون؟

۞ القرآن كلام الله الذي خلقك.

هل تصورت ذلك؟

فيه ما يحبه له ولك ويرضاه له ومنك، وما سيُهديه لك، وما يُصلح عقلك وقلبك وأهلك ومالك وجميع شؤونك.

والله لو أمضيت جلّ وقتك فيه ما كان كثيرًا عليه ولا ندمت على ذلك.

إياك أن تجعله لوقت فراغك، بل اجعل له أفضل وأغلى أوقاتك.

وإذا فعلت ذلك فتح الله لك كنوز ما فيه.

۞ **قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحذيره من الكلام في القرآن بلا علم:**

من قال في القرآن برأيه:

- فإن أصاب: فقد أخطأ.
- وإن أخطأ: فليتبوأ مقعده من النار.

۞ قيَّض الله للقرآن الكريم حَفَظَة، بحيث لو زِيْد فيه حرفٌ واحدٌ لأخرجه آلافٌ مِن الأطفال الأصاغر، فَضْلًا عن القُرَّاء الأَكابر!! الشّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ قال الشّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتاب الله هو أصل الأصول، والغاية التي تنتهي إليها أنظار النُّظَّار، ومدارك أهل الاجتهاد، وليس وراءه مرمى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

۞ **إذا حصل التّدبر:** لم يُوجد في القرآن اختلافٌ ألبتة.

والتدبر إنما يكون لمن الْتَفَتَ إلى مَقَاصِدِ القرآن.

[الموافقات للشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٤/ ٢٠٩]

۞ لا يُثَبِّتُ القرآن في الصدور ولا يُسَهِّلُ حِفظهُ وفَهْمَهُ إلا القيام به في جوف الليل، وقد كان الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يترك ورده من الليل صيفًا وشتاءً وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، فكان نبينا محمد ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. [أضواء البيان ٨/ ٣٥٩]

۞ **سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمّن يقرؤون القرآن ويُخطئون فيه؟**

فأجاب: إذا قدروا على تصحيحٍ صَححوا، وإن عجزوا عن ذلك فلا بأس بذلك حسب استطاعتهم.

۞ **انتبه يا حافظ القرآن لكلام شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه هِمّة حافظِه: لم يكن من أهل العلم والدين».

۞ للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فهمٌ في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بأمور من السُّنَّة وأحوال الرسول ﷺ لا يعرفها أكثر المتأخرين. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ يفتح الله للمكثر من قراءة القرآن فتوحات عجيبة لا تكاد النفس

تصف كنهها، ويعجز اللسان عن بيان معناها، ولا تُوجد إلا في قراءة القرآن وتدبره، فتبارك الله منزل القرآن.

ولذلك تجد أهل القرآن أسعد الناس قلبًا، وأرجحهم عقلًا، وأنضرهم وجهًا، وأُنسهم بالله عظيم، فأسعدُ أوقاتهم وقت خلوتهم لذكر الله وتلاوة كتابه، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

۞ القرآن لا يفارق صاحبه حيًّا ولا ميتًا..

زرت رجلًا عاش مع القرآن سنوات طويلة، فأصيب بمرض ذهب معه النطق، إلا بالقرآن!

فإذا قرأتُ آية أكملها، وإذا أراد حاجة من أولاده جاء بآية توضح مراده، ويقرأ آيات من القرآن كثيرًا، وأما سواه فلا يقدر.

فهذا بركته عليه في حياته، فكيف ببركته بعد مماته؟

۞ **قال ابن عاشور** رحمه الله: «ينبغي الوقف على نهاية كل آية.

ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشعر أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه، فإن ذلك إضاعة لجهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالنثر.

وإن إلقاء السجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك».

وهذا اختيار ابن تيمية رحمه الله

۞ **من إعجاز القرآن:**

لا تكاد تجد شاعرًا قديمًا ولا حديثًا إلا وفي شعره من الأبيات التي تُمجّ وتُذمّ، أو فيها تكلّفٌ في معانيها أو ألفاظها، ولا يهتدي لمعناها العام إلا المتخصص العارف باللغة والشعر، كقول امرئ القيس:

بَـرَهْـرَهَـةٌ رُودَةٌ رَخْـصَـةٌ كَـخَـرْعُـوبَـةِ الـبَـانَـةِ الـمُـنـفَـطِـرْ

وقوله:

وَعَـيْـنٌ لـهَـا حَـدْرَةٌ بَـدْرَةٌ وشُـقَّـتْ مـآقِـيـهِـمَـا مِـنْ أُخُـرْ

وقول أُمَية بن أَبي عائِذٍ الهُذَلي:

وأصـحـمَ حـامٍ جَـرامـيـزَهُ حَـزَابِـيَـةٍ حَـيَـدَى بـالـدِّحـالِ

وكقول علقمة بن عبدة في معلّقته:

بِمُجفَرةِ الجَنبَينِ حَرفٍ شِملَّةٍ كَهمِّكَ مِرقالٍ على الأينِ ذِعِلبِ

وقوله:

كـأنَّ بِـحـاذَيـهـا إذا مـا تَـشـذَّرت عَثاكيل عِذقٍ من سُمَيحة مُرطِبِ

وقوله:

بِـمُـنـجَـرِدٍ قَـيـدِ الأوابِـدِ لاحَـهُ طِرادُ الـهَـوادي كلَّ شأوٍ مُغرِّبِ

وكقول المتنبي:

كُفي أرَاني ويْكِ لَوْمَكِ ألـوَمـا هَـمٌّ أقـامَ عـلـى فُـؤادٍ أنْـجَـمـا

وقوله:

أهْـلًا بـدارٍ سَـبـاكَ أغْـيَـدهـا أبْـعـدَ مـا بـانَ عَـنْـك خُـرَّدُهـا
ظَلْـتَ بـهـا تـنـطَـوي عـلـى كـبِـدٍ نـضـيـجـةٍ فـوقَ خِـلـبِـهـا يـدُهـا

وقوله:

أُحَـــادٌ أم سُـــداسٌ فـــي أُحَـــادِ لُـيَـيْـلَـتُـنـا الـمـنـوطَـةُ بـالـتَّـنـاد

ومثل هذا كثير جدًّا في قصائد الشعراء.

وهكذا حال المعاصرين في الشعر النبطي وغيره، وأصحاب

الحكم، كالكلم النوابغ، لأبي القاسم الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، وأصحاب المقامات، كمقامات الزمخشري، والمقامات الزينية، لابن الصيقل الجزري (المتوفى: ٧٠١هـ)، ومقامات الحريري (المتوفى: ٥١٦هـ).

وإليك بعض الأمثلة:

١ ـ يا أبا القاسم نفسك إلى حالها الأولى نزّأة فاغزها بسريّةٍ من الصبر غزّأة!!. مقامات الزمخشري.

٢ ـ العرب نبع صلب المعاجم، والغرب مثلٌ للأعاجم، الغربان غربانٌ، والسودان سيدان!!. الكلم النّوابغ.

٣ ـ شدهت مدةً من الشهور، في حدثان الشبيبة المشهور، بقفول قحط، وشمول شحط، ومخالعة اتفاق، ومراجعة انفاق، تعجز عن كفاح حربه الأذمار، وتقصر لطول قدم حديثه الأسمار!!. المقامات الزينية.

٤ ـ ظعنت إلى دمياط، عام هياطٍ ومياطٍ، وأنا يومئذٍ مرموق الرّخاء، موموق الإخاء، أسحب مطارف الثّراء، وأجتلي معارف السّرّاء!!. مقامات الحريري.

وإنما يفعلون ذلك لأحد أمرين:

الأول: بقصد إظهار فصاحتهم وبلاغتهم.

الثاني: أنّ هذا هو الدارج عند خاصتهم.

وكلاهما نقص، أما الأول فظاهر، وأما الثاني، فالشّاعر القوي البليغ هو الذي يأتي بشعرٍ يفهمه كلّ أو جلّ من سمعه، وعدم قدرته على ذلك هو نقص فيه؛ لعجزه عن إيجاد الكلمات والعبارات والمعاني التي تُلائم الجميع.

بخلاف القرآن، فإنّ الله تعالى تحدى به فصحاء وبلغاء قريش، وهم أفصح العرب وأبلغهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤].

ثمّ أنزل تعجيزًا أبلغ من ذلك فقال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]. .

ثمّ أنزل تعجيزًا أبلغ من ذلك فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولو كانت أقصر سورة.

ولو أنّ أحد هؤلاء الشعراء أو الخطباء الفصحاء تحدوا غيرهم بقصيدة أو خطبة لجاؤوا بأغرب الأساليب والألفاظ والمعاني كي لا يخسروا التحدّي.

ومع ذلك فإنّ الله تعالى قد تكلم بكلام يفهمه الصغير والكبير، والعالم والجاهل، دون تكلّف، ولو أشكلت لفظة فإنّ القارئ يفهم المعنى من خلال سياق الآية.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]؛ يعني: أي: سهلّناه للحفظ والقراءة والفهم والاتعاظ، ومع سهولتِه إلا أنه أعجز البلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثل سورة من مثله، فأيّ إعجاز أعظم من هذا؟.

«ويظهر لك قصور البشر في أنّ الفصيح منهم يضع خطبةً أو قصيدةً يستفرغ فيها جهده، ثمّ لا يزال ينقّحها حولًا كاملًا، ثمّ تعطى لآخر بعده فيأخذها بقريحةٍ جامّةٍ فيبدّل فيها وينقّح، ثمّ لا تزال بعد ذلك فيها مواضيع للنّظر والبدل، وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظةٌ ثمّ أدير لسان

العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[١]

وإذا كان المراد بالقرآن الاعتبار والعظة، علمنا سرّ عدم عنايته بسرد الوقائع والقصص مرتّبةً بحسب أزمنة وقوعها.

جاء في تفسير المنار عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠]: قال الأستاذ[٢]: إنّ كثيرًا من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم التّرتيب في القصص، ويقولون هنا: إنّ الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التّيه وقبل الأمر بدخول تلك القرية، فذكر هنا بعد تلك الوقائع، والجواب عن هذه الشّبهة يفهم ممّا قلناه مرارًا في قصص الأنبياء والأمم الواردة في القرآن، وهو أنّه لم يقصد بها التّاريخ وسرد الوقائع مرتّبةً بحسب أزمنة وقوعها، وإنّما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النّعم متّصلةً بأسبابها لتطلب بها، وبيان النّقم بعللها لتتّقى من جهتها، ومتى كان هذا هو الغرض من السّياق، فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذّكر على الوجه الّذي يكون أبلغ في التّذكير وأدعى إلى التّأثير. اهـ[٣]

ضابط سيريحك:

كل المواضع في القرآن بلفظ ﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ سوى ثلاثة مواضع بلفظ ﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ وهي:

١ ـ في الأعراف ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم﴾.

٢ ـ في يونس ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾.

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(٢) أي: محمد عبده.

(٣) تفسير المنار (١/ ٣٢٢).

٣ - في الكهف ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾.

يجمعها قولك: أَيْك

وليس في هذه السور ﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

۞ **من إعجاز القرآن:** الوفاء بالوعد في كل ما وعد الله.

ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

فانظر إلى من يتقلب في المعاصي كيف يعيش في شقاوة ونكد مع أهله وأولاده ونفسه، وإن حصل خلاف ذلك فهو استدراج.

وانظر إلى من يتقلب في الطاعات كيف يعيش في سعادة وراحة بال، وإن حصل خلاف ذلك فهو ابتلاء.

۞ **شرف حامل القرآن:**

قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]؛ أي: في القرآن علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا أن يعلمه الله به.

وكان أبو عبد الرحمٰن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قرأ عليه أحد القرآن قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾. [تفسير ابن كثير ٢/ ٤٧٦]

۞ القرآن يربي فينا إرجاع الفضل في كل ما نقوم به إلى خالقنا، قال الله تعالى في صفة المؤمنين ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

﴿لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، فقد بذلوا أرواحهم في نصرة الدين، ثم قال بعد ذلك: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الحديد: ٢١].

إلى غيرها من الآيات التي تنزع من قلوبنا الغرور والعجب والكبر.

۞ كل هذه الكرامات لك أنت يا صاحب القرآن؟

١ ـ أفضل الناس وخيرهم. «**خيركم من تعلّم القرآن..**».

٢ ـ مع السفرة الكرام البررة.

٣ ـ من أهل الله وخاصّته.

٤ ـ يشفع لك يوم القيامة ويقال لك: اقرأ وارق..

٥ ـ تغرف من الحسنات غرفًا. «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها**».

هنيئًا والله لك، فاملأ وقتك بتلاوة القرآن.

۞ لا حياة للمسلم في دينه إلا بالقرآن.

ولا يوجد كتاب يغني عن تدبر كتاب الله في:

١ ـ إشعار القلوب عظمةَ الله وخشيته وحبّه.

٢ ـ ولا في تهذيب الأخلاق وتزكية الأنفس وتنزيهها عن الشرور والمفاسد.

٣ ـ وتشويقها إلى الخيرات والمصالح.

٤ ـ ورفعها عن سفاسف الأمور إلى معاليها. [تفسير المنار ٥/٢٥٤]

۞ أهل القرآن لا يشعرون بالفقر ولا يتعلّقون بالدنيا، ففي صدورهم أغلى وأنفس منها ومما فيها.

ولا تتراكم عليهم الأحزان والهموم والوساوس، ففي صدورهم الشفاءُ منها.

فمن أكل الهم والحزن قلبه لأجل الدنيا فالقرآن لم يدخل قلبه بعدُ.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «عزيزٌ عليّ أن تُذيب الدنيا أكباد رجال وعَتْ صدورُهم القرآن».

۞ تعاملتُ مع الناس فما رأيت أرحم ولا أعظم عطفًا وحنانًا ورقةً ومحبةً لأزواجهم وأولادهم، ولا أصدق مشاعرًا وأوفى ذمّة وأخلص مودّة من أهل القرآن علمًا وعملًا؛ لأن القرآن هذّب أخلاقهم ورقّق مشاعرهم وحسّن طباعهم وسلّ سخائم قلوبهم؛ صِدقًا لا تصنّعًا، وإخلاصًا لا نفاقًا.

فعليك بأهل القرآن واقترب منهم.

۞ «أعظم حِرمان نشأ عن الكفر: هو حرمان الانتفاع بأبلغ كلام وأصدقه وهو القرآن». ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ

وصدق الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

لا تحرم نفسك من الانتفاع بأبلغِ كلام وأصدقِه وأنفعِه بالانشغال بفضول العلم أو بتتبع الأخبار، والقيل والقال، والأحاديث التي لا هدف منها سوى تضييع الوقت وقتله، إنّما هي أيامٌ معدودةٌ قد لا تعيش بعدها.

۞ إذا كانت الفطرة مستقيمة مُنورة بنور القرآن: تجلت لها الأشياء على ما هي عليه، وانتفت عنها ظلمات الجهالات، فرأت الأمور عيانًا.

[مجموع فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٠/ ٤٤]

۞ السعادة كلّ السعادة في التمسّك بالقرآن تعلّمًا وتعليمًا.

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيره:** «نقلت أنواعًا من العلوم النقلية والعقلية فلم يحصل لي بسبب شيء منها من أنواع السعادة في الدين والدنيا مثل ما حصل بسبب خدمة القرآن».

۞ **يومًا سيُقال لحافظ القرآن أمام أحبابه وأقاربه والمؤمنين:** «اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

كم هي اللذة والسعادة التي ستغمر قلبه وهو يقرأ بترتيل وصوت جميل والناس والملائكة ينصتون له، والله يسمعه ويرقّيه درجة عند كل آية!

هنيئًا لحافظ القرآن.

۞ يا من تشتكي همًّا أو مشكلات زوجية أو ذنبًا: أكْثر من قراءة سورة البقرة التي قال عنها النبي ﷺ: «**وأخذها بركة**».

أعرف من فارقته زوجته قرابة عام وأبْغضته بلا سبب، فصبر عليها، ولما ضاق بها الهمّ: داوَمَتْ على قراءتها مدةَ أسبوعين، فقلب الله بغضه حبًّا، ورجعت إليه وهي له محبّة مطيعة.

۞ كتاب الله تعالى هو الصاحب الذي إذا أخلصت له في الصحبة، وقدمته وانشغلت به عن غيره: استمتعت بصحبته، وتلذذت بطول مجالسته، ونثر لك درره، وفتح لك كنوز أسراره، وكان صاحبك عند المحنة، وأنيسك في الخلوة، وعونك عند الكربة، وسلوتك عند المصيبة، وأغناك عن غيره.

فأعط القرآن الكثير من وقتك.

۞ في النفس ما لا يُحْصى من التناقضات والأهواء والأخطاء والصراعات والشطحات.

ولن يزيلها ويجتثها غير القرآن: قراءةً وتدبرًا وعملًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

أي: للتي أعدل وأكمل في العقائد والأعمال والأقوال والأخلاق والآراء والسياسة.

فأهل القرآن هم أكمل الناس دينًا وعقلًا وخلقًا.



رسول الله ﷺ

۞ قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلن تكون متبعًا للنبي ﷺ حتى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر على سنته وطريقته في اللطف والحكمة والموعظة الحسنة.

۞ يقوم مجموعة من الناس في وضع وصنع الأنظمة العالمية، وتتغيَّر مع مرور السنين، ومع ذلك وُجِدَ فيها من الأخطاء ما لا يُحصى.

وأتى النبي ﷺ وحده بنظام متكامل في كل شؤون الحياة، ومن حين ما وضعه لم يتغيّر إلا في حالات يسيرة جدًّا تقتضيها المصلحة، ولم يُوجد فيه خطأ واحد ولن يُوجد؛ لأنه حقّ، فهو وحي من خالق البشر، الذي يعلم ما يُصلحهم ويُفسدهم؟

فاستمسك بدينك الإسلاميّ الحنيف؛ لتسعد في الدنيا والآخرة.

۞ كان ابن تيمية رحمه الله لا يذكر النبي ﷺ إلا ويصلي ويسلم عليه.

ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا للنبي ﷺ ولا أحرص على اتباعه ونَصْرِ ما جاء به منه.

وإذا أورد شيئًا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم ينسخه شيء يعمل به ويقضي ويفتي بمقتضاه، ولا يلتفت إلى قول غيره كائنا من كان.

[الأعلام العلية للبزار: ٢٨]

۞ أتعلم من هو المتّبع الصادق للنبي ﷺ؟

هو الذي سلك سبيله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فمن دعا إلى الله ـ لا إلى حزبه أو جماعته أو مذهبه ـ، بعلم ودليل واضح: فهو المتّبع له ﷺ.

فلن تكون من أتباعه ما لم تسْلك سبيله، الذي هو أعظم وأشْرف وأعلى منصب في الوجود.

۞ ثبت في صحيح مسلم أنّ النبي ﷺ دعا ربه فقال: «**اللهمّ أمّتي أمّتي وبكى، فقال الله له: إنّا سنُرْضيك في أمّتك ولا نسُوؤك**».

انظر إلى شفقته ﷺ على أمته ورحمته بهم، التي جعلته يبكي ويُشفق عليهم، أفلا يستحق منا أن نصلي عليه دائمًا ﷺ ونُحبه ونطيعه؟

۞ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان ﷺ مع خاصة أصحابه كواحد منهم؛ إذ كان يباسطهم ويمازحهم، ولا يستأثر عليهم، ولا يترفع عليهم، ولذلك كانت الأمة من إماء أهل المدينة تأخذ بيده وتنطلق به حيث شاءت، ويجلس يحدثها حيث أرادت». [المفهم ٢/٣٧٢]

ما أجمل بطالب العلم، الذي شرّفه الله بحمل ميراث النبوة أنْ يتعامل مع الناس عامّة ومع طلابه خاصّة بهذا الخلق والأدب الرفيع.

۞ كان رسول الله ﷺ: يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويلعق أصابعه بعد الأكل، ويأكل على الأرض، ويقول: «**إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد**»، وتأخذ الأمة بيده فتنطلق به حيث شاءت، هذا وهو أطهر وأفضل وأكرم البشر، الشافع لهم يوم الكرب الأعظم، وأول من يدخل الجنة.

۞ كنت يومًا أنتظر رجلًا للقائه، فلاح لي وجه رسول الله ﷺ، فتخيّلت لو أنه هو الذي سأقابله!

فشعرت بلذة عجيبة!

فكيف سيكون لقاؤنا به في الآخرة؟

وقد قال ﷺ: «**ليتَ أنَّا نرى إخوانَنا**، قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانَك؟ قال: **أنتم أصحابي، وإخواني قومٌ آمنوا بي ولم يرَوني**».

اللهم آمنا به فاجمعنا به.

۞ قال النبي ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا، وسكِّنوا ولا تنفِّروا**». متفق عليه

التسكين ضد التحريك والاضطراب، والمراد إدخال الطمأنينة والهدوء في النفوس، بنشر الأخبار المفرحة المبشّرة، والبعد عن التشاؤم والتخويف.

فما أجمل أن يأخذ المسلم بمنهج التسكين، بأقواله وأفعاله، ومواعظه وتعامله.

۞ «الله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعة النبي ﷺ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته.

فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة والولاية، والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة».

[زاد المعاد لابن القيم ١/ ٣٩]

۞ قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان الله قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله ـ أي إلى كتاب الله ـ وإلى الرسول ـ أي إلى سنته ـ: علمنا قطعًا أن من ردّ إلى الكتاب والسُّنَّة ما تنازع الناس فيه وجد فيه ما يَفْصِلُ النزاع».

۞ السنّة عند الدخول والخروج أن يُبدأ بالكبير، وهذا رأي الشيخين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله، لا أن يُقدّم الأيمن مُطلقًا.

۞ سُنَّة مهجورة:

«من جملة الأوقات التي يستحب فيها ذكر الله تعالى: إذا دخل أحدنا منزله أو مسجده أن يقول كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول هذا».

[أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٢٣٣]

۞ في صحيح مسلم: أن النبي ﷺ اقترض من رجل.

وفي صحيح البخاري: أنه توفي ودرعه مرهونة بعشرين صاعًا من طعام أخذه لأهله.

في هذا الحديث فوائد منها:

١ ـ زهده وقلّة ولَعه بالدنيا مع قدرته عليها.

٢ ـ دليل على جواز سؤال الرجل غيرَه الدّين عند الحاجة إليه، ولا منَّة تلحق فيه، ولو كان فيه شيء من ذلك لما استسلف ﷺ، فإنه كان أنزه الناس.

۞ بال صبيّ على بطن النبي ﷺ فتركه حتى قضى بوله، ثم دعا بماء فصبه عليه. [حسنه ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري ١/ ٤٢٥]

تأمل: تركه ولم يُبعده حتى قضى بوله!

لماذا: مراعاةً لخاطره، ورفقًا به، وخوفًا عليه.

فينبغي أن نرفق بأطفالنا، ونراعي مشاعر أزواجنا، ونتلطّف مع أصدقائنا، ونتجاوز عن الزلات والعثرات.

۞ الإسلام أصّل قواعد الأخلاق والتعامل، بل إنّ فيه من محاسن الأخلاق ما لا يُوجد في غيرِه.

وفي أخلاق النبي ﷺ وحسن تعامله مع المسلم وغير المسلم، والصغير والكبير، والرجل والمرأة، ما لو تأمله الإنسان وعزم على الاقتداء به لكان أحسن الناس خُلقًا وأدبًا، وأكملهم تعاملًا.

۞ لو كُنتَ في زمن النبي ﷺ:

هل ستكون من السبّاقين إلى الاقتداء به ونصرته بمالك ونفسك ولسانك؟

هل ستُجاهد أعداءه وتُضحي بنفسك دفاعًا عنه وعن دينه؟

هل ستكون كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم في حبهم له ونصرتهم له؟

هل ستكونين أيتها المؤمنة كخديجة وعائشة رضي الله عنهما في حبهما له ووقوفهما معه وتمسكهما بسنته؟

أم ستكون منشغلًا بخاصة نفسك، متكاسلًا عن نصرته والدفاع عنه ونشر سنته والعمل بها؟

الأفعال تجيب لا الأقوال.

۞ حثّ النبي ﷺ على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد أوصى بصيامها أبا هريرة وأبا الدرداء وأبا ذر رضي الله عنهم.

وقال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه: **«صم من كل شهر ثلاثة أيام»**.

فانظر إلى كثرة ما أوصى ﷺ أصحابه بصيامها.

فلا ينبغي أن يُقصِّر في العمل بما أوصى به ﷺ من يطيق ذلك ولا يشق عليه.

۞ كان النبي ﷺ إذا حدثه أحدٌ صدّقه ولم يتحقق من قوله، ويقبل اعتذار المخطئ، حتى قال المنافقون: هو أُذن، نقول ما شئنا ثم نحلف له فيصدقنا.

فلنكن نحن كذلك.

۞ **العلاقة الحميمة بين النبي ﷺ وابنته:** كانت فاطمة رضي الله عنها إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فأخذ بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه. رواه الترمذي.

أغْدق ـ أيها الأب وأيتها الأم ـ على ابنتك الحنان والحب والاحترام، فإنك بهذا تزرع هذا الخُلُق في نفسها.

وستُغلق أبوابَ الشر والعلاقات المحرمة عنها.

۞ عاهد ﷺ المشركين في الحديبية على السلم والأمان عشر سنين، بشروط تساهل معهم فيها منتهى التساهل حُبًّا للسّلم ونشر دينه بالإقناع والحجة. (محمد رشيد رضا رحمه الله).

۞ **لمّا انهزم المسلمون في غزوة حنين:** توجَّه النبيّ ﷺ نحو الكفار، بل كان يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ نحوهم، ولمّا غَشِيَه القوم نزل عن البغلة، وثبت

لهم قائمًا، حتى تراجع الناس إليه حين علموا بثباتِه. ولم يُسْمع لأحدٍ من الشجعان مثل هذا. [المفهم للقرطبي ٣/ ٦٢١]

۞ طلب النبي ﷺ من أمته أن يدعوا له «**صلوا علي وسلوا لي الوسيلة**».

وليس ذلك من باب سؤالهم، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها. [مجموع فتاوى ابن تيمية رحمه الله ١/ ١٣٢]

۞ من أشد المواقف المؤثرة علي: ما رواه مسلم أنّ النبي ﷺ اعتزل نساءه، فأراد عمر رضي الله عنه أن يدخل عليه وكان على الباب حارس، فلم يأذن له، فقال للحارس: إني أظن أنه ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفع صوته، فأذن له.

انظر إلى هذا الحب الذي بلغ غايته للنبي ﷺ!

۞ روى البخاري في صحيحة أن النبي ﷺ كان إذا رأى سحابة أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت ذهب خوفه.

وقال: ما أدري لعله كما قال قوم ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ﴾ [الأحقاف: ٢٤]

إذا كان نبينا ﷺ ينتابه الخوف من رؤية السحاب الممطر، فكيف يليق بنا أنْ نأمن ونُبالغ في الفرح عند رؤية السحاب، وكأننا في أمْنٍ مِن عقوبة الله تعالى الذي أهلك وأغرق بالسحاب أممًا قديمًا وحديثًا!

۞ كان النبي ﷺ إذا غزا قال: «**اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل**».

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول هذا عند ذهابه لمجالس العلم.

۞ هذه العبارة لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ من أعظم العبارات التي تحفز على الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

«المصلي عليه ﷺ سأل الله أن يثني على خليله وحبيبه ويزيد في تشريفه وتكريمه، ولا ريب أن الله يحب ذلك ورسوله يحبه.

فالمصلي عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته إلى محاب الله ورسوله، وآثر ذلك على حوائجه ومحابِّه هو.

ومن آثر الله على غيره آثره الله على غيره».

والجزاء من جنس العمل، فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره». [جلاء الأفهام ص٤٥٤]

۞ **فائدة نفيسة:**

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: السلام عليه ﷺ في الصلاة أفضل من السلام عليه عند القبر..

فليس فعل شيء من حقوقه كالإيمان به والصلاة والسلام عليه وكل ما يحبه الله ويُتقرب إليه عند حجرته أفضل منه فيما بعُد عن الحجرة.

بل قد نهى ﷺ أن يُجعل بيته عيدًا، فنهى أن يُقصد بيته بتخصيص شيء من ذلك. [فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٧/ ٤١٦]

۞ كان النبيّ ﷺ مع بلاغته وشوقِ الصحابة لكلامه يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة عليهم، فليكن هذا منهجك في حديثك؛ لئلا تُمِلَّ القارئَ والسامع.

۞ **في صحيح مسلم:** أن رجلًا دعا النبي ﷺ للغداء فامتنع حتى تحضر معه زوجته، فأي مثال لتكريم المرأة أعظم من هذا؟ فيا عجبًا لمن يُعجب بالغرب وعنده أعظم مصدرٍ لأفضل المكارم والأخلاق!

۞ **درسٌ في حسن التعامل ورفع التكلّف والتحسّس:**

جاء في الصحيحين أنّ رجلًا استضاف النبي ﷺ فلمّا وَضع له الطعام تركه وذهب إلى عمله! فأكل ولم يقل: كيف يدعوني ثم يتركني؟ ما أجمل التخفف من الرسميات الثقيلة.

۞ قال الله تعالى عن الصحابة رضي الله عنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

أي: «يلتمسون بركوعهم وسجودهم، وشدّتهم على الكفار، ورحمة بعضهم بعضًا، فضلًا من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيُدخلهم جنته ﴿وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ يقول: وأن يرضى عنهم ربهم»(١)

فرضا الله غاية مراد الأولياء.

۞ إذا اتفق الصحابة رضي الله عنهم أو التابعون رحمهم الله على قول فلا يجوز مخالفتهم بزعم إعمال العقل وذم التقليد.

قال الإمام أحمد رحمه الله: من زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلّد دينه أحدًا فهو قولُ فاسقٍ عند الله ورسول ﷺ، إنما يريد بذلك إبطال الأثر وتعطيل العلم والسُّنَّة والتفرد بالرأي والكلام والخلاف. [طبقات الحنابلة ١/ ٣١]

۞ درس عظيم في التربية والعطف والرحمة: دخل النبي ﷺ المسجد حاملًا معه حفيدته وهي طفلة صغيرة، فصلى بالناس وهو يحتضنها، فإذا سجد وضعها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «استنبط منه بعضهم عِظَم قدر رحمة

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦١).

الولد؛ لأنه تعارض حينئذ المحافظةُ على المبالغة في الخشوع والمحافظةُ على مراعاة خاطر الولد، فقدَّم الثاني».

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من انتهتْ إليه سُنَّةُ رسول الله ﷺ وتركها لقول أحدٍ من الناس فسيرد يوم القيامة ويعلم!».

أي: من علم شيئًا من شرائع الإسلام الثابتة عن الرسول ﷺ ولكنه مال إلى قولٍ لأحد ممن يتعصب لهم من العلماء ونحوهم، فسيقدم على ربه يوم القيامة ويتضح له شناعة فعله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ **من السنن المهجورة:** النظر إلى السماء.

فقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء.

وكان إذا قام آخر الليل نظر إليها.

وكثرة نظرك إلى السماء يزيدك:

١ ـ إيمانًا وتعظيمًا برؤيتك عظيمَ خلقِ الله.

٢ ـ حبًّا لله لأنه سخّر لك الكون.

٣ ـ ذُلًّا له لصغر حجمك بالنسبة للكون العظيم.

٤ ـ أنسًا وطمأنينة وراحة عجيبة.

۞ **من السنن عند نزول المطر:**

١ ـ الثناء على الله: (اللهم صيّبًا نافعًا، مُطرنا بفضل الله ورحمته).

٢ ـ تسبيحه عند سماع الرعد: (سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته).

٣ ـ الدعاء.

٤ ـ كشف بعض البدن ليصيبه المطر، فقد حسر النبي ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر.

اعْمل بسنّة نبيك ﷺ وبلّغها كما أَمَرك.



أحوال السلف

❁ **فائدة نفيسة جدًا:**

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل، مثابرتَهم على الفرائض، ولم يكونوا يفرّقون بينهما في اغتنام ثوابهما، وإنما احتاج أئمة الفقهاء إلى ذكر الفرق بينهما لما يترتّب عليه من وجوب الإعادة وتركها، وخوف العقابِ على الترك.

[المفهم ١/١٦٦]

❁ سأتحدث عن ثلاثة أمور مهمة:

١ ـ معنى كلمة السلف.

٢ ـ خصائص ومزايا السلف الصالح عن غيرهم.

٣ ـ منهجهم واعتقادهم.

وذلك حرصًا على تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة وإرجاع الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح.

السلف: هم صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى في القرون الثلاثة المفضلة.

ويطلق هذا اللفظ على من اهتدى بهديهم ولو جاء بعدهم بقرون طويلة.

فيُقال له: سلفي، نسبة إليهم.

وهذا الاسم قد اسْتُعمل في القرون الثلاثة المُفضّلة، لكن لم يكن مشهورًا ومُتداولًا، خلافًا لمن نفى ذلك.

خصائص ومزايا السلف:

من أعظم مزايا وفضائل سلفنا الصالح عليهم رحمة الله التي انفردوا بها عن غيرهم:

١ ـ أنهم من القرون المفضّلة.

فهم خير الأمم على الإطلاق، بدلالة الكتاب والسُّنَّة والاتفاق.

والخيْريّة حاصلةٌ في أعمالهم وأخلاقهم، وإخلاصهم وعقيدتهم، ولا يُمكن لمن أتى بعدهم أن يبلغ مَبلغهم.

٢ ـ قربهم من العهد النبوي والوحي الربّاني.

فهم أعلم الناس بالنبي ﷺ وأشدهم تمسكًا بسنته.

ولا شك أن من كان منه أقرب فهو أقرب إلى السُّنَّة وأبعد من البدعة.

٣ ـ أنهم توارثوا العلم والدين عن قرب، فالصحابة أخذوه من النبي ﷺ مباشرة بلا واسطة.

فالتابعون أخذوا العلم والدين من الصحابة الكرام غضًّا طريًّا.

وتابِعو التابعين أخذوه من التابعين عذبًا نديًّا.

فما أعظم هؤلاء الأجيال، وما أبعدهم من البدع والفساد والسَّفال، لم تتكدر قلوبُهم بالبدع والمُحدَثات، ولم تتلوث معتقداتهم بالانحرافات والخزعبلات.

هذه الخصائص لهذا الجيل الفريد جعلت جيلهم أعظم وأفضلَ وأطهرَ مجتمع على وجه الأرض.

فلهذا كان لزامًا علينا أن نعرف قدرهم ونهتدي بهديهم ونسير على نهجهم.

والمبتدع كأنه يقول: هناك حقٌّ أو عملٌ صالحٌ غاب عن الصحابة والسلف الصالح، فنحن عرفناه وعلمناه فنعمل به ونسير عليه.

والعياذ بالله.

منهجهم واعتقادهم:

يتلخّص اعتقاد السلف الصالح ومنهجهم في عشر قواعد:

١ ـ مصدر العقيدة: كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ الصحيحة وإجماعُ الصحابة والسلف الصالح.

ولذلك انقادوا لله ولرسوله ﷺ بتسليمٍ وقبول ظاهرًا وباطنًا، فلا يُعارضون شيئًا من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا قول إمام ونحو ذلك.

٢ ـ كل ما صح من سُنَّة النبي ﷺ يجب قبوله والعمل به، وإن كان آحادًا في العقائد وغيرها.

٣ ـ المرجع في فهم الكتاب والسُّنَّة: النصوص المبيِّنة لها، وفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.

٤ ـ أصول الدين كلّها قد بينها النبي ﷺ، وليس لأحد أن يُحدث شيئًا زاعمًا أنه من الدين؛ لأن الله قد أكمله.

٥ ـ العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض قطعيان منهما أبدًا، وعند توهم التعارض يُقدمون النقل.

فلا يقدمون عقولهم على شريعة ربهم، وسُنَّةِ نبيهم ﷺ، لِيقينهم بأن الوحي لا يعتريه الخلل والنقصان، بخلاف العقل الذي يعتريه الخلل والضلال والنسيان.

٦ ـ العصمة ثابتة للنبي ﷺ.

والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، وأما آحادها فلا عصمة لأحد منهم.

وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجعه إلى الكتاب والسُّنَّة.

فما قام عليه الدليل قُبل مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة.

٧ ـ الرؤيا الصالحة حق بشرط موافقتها للشرع وليست مصدرًا للتشريع.

٨ ـ المجادلة بالحسنى، والبعد عن المراء في الدين.

٩ ـ كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

١٠ ـ اقتران العلم بالعمل، فإذا علموا خيًرا عملوا به، وإذا سمعوا حقًّا طبقوه، وإذا نطقوا بقولٍ نفَّذوه.

فيا أخي المسلم:

التزم منهج سلفك الصالح، ولا تخرج عنه ولا تزد عليه؛ لأنّ هذا هو الدين الذي لا يرضا الله غيره، والسبيل الذي لا تصل إليه إلا بسلوكه.

وكلٌّ يدّعي أنه يسير على منهجهم، ولكن العبرة ليست بالدعاوى بل بالحقائق، ولا بالأقوال بل بالأفعال.

❁ **تأمل:**

كانت أفعال سلفنا الصالح الظاهرة أكثر من أقوالهم، وما خفي من أفعالهم أكثر مما ظهر.

وبعض الناس أقواله أكثر من أفعاله الظاهرة، وما ظهر من أفعاله أكثر مما خفي.

فمن أراد الفلاح والرفعة والبركة فليتشبّه بحال سلفنا الصالح، ولتكن أفعاله الظاهرة أكثر من أقواله، وأفعاله الخفية أكثر وأعظم وأهمّ.

❁ قيل لبعض السلف: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعزّ الإسلام ورضا الرحمٰن، ونحن نتكلم لعز النفوس ورضا الخلْق. [حياة السلف ٨٦٧]

❁ **احذر الشّبهات**: قال الثوري رَحِمَهُ اللهُ: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: أكثر السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشُّبَه خَطَّافة.

❁ كان علماء السلف إذا لقي أحدهم من هو فوقه في العلم أخذ عنه، وإذا لقي من هو مثله دارَسَه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له!

بهذه الأخلاق رفعهم الله وبارك في أعمارهم وعلمهم وأعمالهم.

❁ نظر أحدُ السلف يومًا إلى رجلٍ وهو يقبِّل ولدًا له صغيرًا، فقال: أتحبه؟ قال: نعم!

قال: «هذا حبّك له إذ ولدْتَه، فكيف بحبّ الله له إذ خلَقه؟»

وقال أخر:

هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أَمِنتُك؟

ليس العَجبُ من حبّي لك وأنا عبدٌ فقير..

إنما العَجبُ من حُبّك لي وأنت مِلِكٌ قدير!

۞ **تعلم العربية:** فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائلة عنه. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ كان كثير من السلف الصالح يدعون في صلاتهم لكثير من أحبابهم بأسمائهم، فادع لأحبابك وأصدقائك في صلاتك.

وإنْ كتبتهم بورقةٍ لئلا تنْسى أحدهم فحسن.

۞ استثمر ما بقي من عمرك، وصم من النهار ولو يومًا في الأسبوع، وقم الليل ولو نصف ساعة.

وجاهد نفسك فالعمر قصير.

قال بعض السلف: إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا عن نشاط فإن نفسك مائلة إلى السآمة والفتور والملل، ولكن المؤمن هو المتحامل المتقوّي.

۞ كثيرًا ما يقول **الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند مدحه لرجل: «كان على طريقة السلف من طرح التكلف».

فما أجمل أن تعيش حياتك بلا تكلف في مشيك وكلامك وتعاملك وابتساماتك.

كن كما أنت.

وألق عصا التكلف من عاتقك.

بلا تثاقل ممقوت وتصنع ممجوج.

فإن الناس تكره مَن هذا طبعه، وتحب من كان سهلًا سمحًا في تعامله وأخلاقه وجميع شؤونه.

۞ اجعل شغلك الشاغل: صلاح دينك ثم دنياك، ولا تنشغل بالناس إلا بالنصح برفق.

ومن كلام السلف:

١ ـ من كان شغله في غيره فقد مُكر به.

٢ ـ من علامة الاستدراج العمَى عن عيوب النفس.

٣ ـ لا يتتبّع عثرات المسلمين إلا مفتون، ولا يهتك ستر ما اطلع عليه إلا مخذول.

٤ ـ ويلٌ لمن نسي عيبه وتفرَّغ لعيوب الناس.

۞ إحسانك إلى الناس إحسان لك قبل أن يكون إحسانًا إليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أحسن إلى الناس: فإلى نفسه، كما يُروى عن بعض السلف أنه قال: ما أحسنتُ إلى أحد وما أسأتُ إلى أحد، وإنما أحسنت إلى نفسي وأسأت إلى نفسي، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]».

۞ من المحزن أن يتأخر بعض الناس في الحضور للصلاة، ولا يكاد يتأخر عن عمله واجتماعاته!

وقد كان السلف الصالح يُسابقون المؤذن إلى المسجد.

۞ بعض السلف لم تفته التكبيرة الأولى قريبًا من سبعين سنة.

وآخر لم يؤذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وهو في المسجد.

وبعضهم إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.

۞ احذر مِن ازْدراء واحتقار العاصي والمفرّط، فقد قال السلف الصالح: رُبّ معصية أورثَت ذُلًا وانْكسارًا خيرٌ مِن طاعة أورثَتْ تَفاخُرًا واسْتكبارًا.

۞ أيّ قول لم يقل به أحدٌ من سلف الأمة فلا تأخذ به ولا تعتدّ به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة يميل إلى قولٍ فيها: لم أعلم بهذا قائلًا، ولا يمكن أن يقال إلا ما قاله السلف قبلنا؛ لأنهم علموا مراد الرسول ﷺ قطعًا.

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعًا وصاموا وحجوا أو قرءوا القرآن: يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين ولا لخصوصهم.

۞ كان السلف يكرهون فيما لم يرد فيه نصُّ تحريمٍ أن يقال: هو حرام، ويقولون: يُنهى عنه، ويكرهون أن يقولوا: هو فرض، ويقولون: يُؤمر به. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ العلم الشرعي أمانة في عنق كل مسلم، فالعالِم يجب عليه أن يعلّمه، والجاهل يجب عليه أن يتعلمه.

قال بعض السلف: لا يحل للعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

۞ هناك من سيندم يوم القيامة ويقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦]، قال بعض السلف: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها.

سيندم والله من فرط في صلاة الجماعة وسخر من أهلها، ومن فرطت في الحجاب وسخرت من المتحجبات.

فيامن فرطت في طاعة: إياك أن تستهزئ بأهلها.

۞ قال العلماء: معتقد السلف الصالح مبني على قاعدتين:

١ ـ السكوت عن (لم؟) في أفعال الله.

٢ ـ وعن (كيف؟) في صفاته.

فالسكوت عن (لم؟) يسد باب الخوض في باب القدر.

والسكوت عن (كيف؟) يسد باب الخوض في باب صفات الله تأويلًا وتحريفًا وتشبيهًا.

وهذان البابان ضل فيهما كثير من الناس.

فاحذر الخوض فيهما.

۞ إذا بدأك الشّيب فاستعد وشمّر للآخرة فقد دنا الرحيل.

رأى بعض السلف شيبة في لحيته فقال لقومه: قد كنت وهبتُ لكم شبيبتي فهبوا لي شيبتي، فهذا الموت قرب مني، ثم انشغل بالعبادة.

وما شنآن الشيب من أجل لونه ... ولكنه حادٍ إلى الموت مسرع
إذا ما بدت منه الطليعة آذنت ... بأنّ المنايا بعدها تتطلّع

۞ قال بعض السلف: «من عرف ما يَطلب هان عليه ما يَبذل».

فمن طلب الجنة التي عرضها السماوات والأرض بصدق هان عليه بذلُ نفسه لله تعالى، وقد كان الصادقون يبذلون في سبيلها أرواحهم وأموالهم، فهلا بذلت أنت نفسك ووهبتها لله بعدم الانتقام لها ومسامحة من آذاك؟

ونبينا ﷺ لم ينتقم لنفسه قط.

۞ من أجمل وأحسن ما قرأت عن **الحسن البصري** رحمه الله وكأنه يتحدث عن حالنا:

«من رأى مبتدعًا يدعو إلى بدعته، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصمه الله من ذلك، وجعل قلبه يحنّ إلى السلف الصالح، يسأل عن سبيلهم، ويقتص آثارهم، ويتبع سبيلهم، ليعوضنه الله أجرًا عظيمًا، فكذلك فكونوا».

۞ حكى الذهبي رحمه الله عن الصدفي رحمه الله أنه قال: ناظرت الشافعي رحمه الله يومًا في مسألة ثم افترقنا، فلقيني وأخذ بيدي وقال: «ألا يستقيم أنْ نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة؟».

۞ جاء رجل إلى أحد السلف فقال: رأيت في المنام كأنك تموت إلى سنة!

فقال: أعيش إلى سنة؟ إنه لأجل بعيد.

من عرف الله أحبه واشتاق إلى لقائه.

ولن يهدأ قلبه إلا بالوصول إليه.

وقد علم الله أنّ قلوب المحبين لا تهدأ إلا بلقائه فطمأنهم بقرب لقائه فقال: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥].



بر الوالدين وصلة الرحم

۞ بحثت طويلًا عن بارٍّ بوالديه لم يُكتَب له التوفيق والبركة والسعادة، وعن عاقٍّ منشرح الصدر مُوفّقا سعيدًا: فلم أجد.

أيها الولد:

إنّ طريق التوفيق والبركة والرزق والجنة يمرّ عبر طريقِ برّك بوالديك.

وما مِن نصيحة من أبٍّ أو أمٍّ عاقلَين إلا وهي صحيحة غالبًا، فاقْبل نصحهما.

إني لك من الناصحين.

۞ **مما أفادتني التجارب:** أن يكون لأهلي وأولادي النصيب الأكبر من الدعوة والبر والجلوس والنزهات والانبساط.

فقد رأيت من جعل دعوة الأباعد جلّ اهتمامه فغلب على أولاده الجهل والغفلة.

ورأيت من جعل جلّ نزهاته وجلوسه مع أصدقائه فضعفت علاقته مع أهله وأولاده حتى أصبح لا يأنس بهم ولا يأنسون به.

۞ ينبغي علينا أن نُذكِّر أهلنا ـ وخاصةً كبار السن كالوالدين ـ بأحكام الدين ولو كانت بَدَهِيَّة عندنا، كقراءة الفاتحة، وعدد ركعات الصلوات، والتوحيد ومعناه، والتحذير من الغيبة والنميمة ومعناها.

وأعرف امرأة كبيرة في السنّ تصلي الفجر أربع ركعات كالظهر، مع أن لها أولادًا متعلّمين!!

۞ لا تصاحب عاقًا، فهو شؤم وصحبته شؤم..

والعاقّ لوالديه لا يُرجى خيرُه لأهله وأصحابه؛ لأنّ من لم يكن به خيْرٌ لوالديه ـ وهما أقرب الناس إليه وأعظمهم حقًّا عليه ـ فلن يكون فيه ذرّةُ خير لغيرهما.

۞ الوالدان من أعظم أسباب دخولك الجنة، قال النبي ﷺ: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف**»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**». رواه مسلم.

فيا من فرّطت في البرّ والإحسان، تدارك نفسك ما دمت في زمن الإمكان.

۞ أيها الابن.. أيتها البنت..

إن الله قد غرس في قلب والديك العاقلين الرحمة والحب لك، فمتى رأيت فيهما قسوةً وغلظة تجاهك فاعلم أنك قد بلغت الغاية في العقوق والاستهتار وسوء الأدب، فَنَزعتَ الرحمة والرقة والحب من قلبيهما.

فبيدك أنت غرس الرحمة والحب أو انتزاعهما.

حاسب نفسك قبل يوم الحساب العسير:

۞ لِيُسَارع كلّ من له أب أو أم كَبِرا أو مرضا إلى برّهما ورحمتهما، والعطف والحنان عليهما.

وهنيئًا لمن يُسابق إخوته إلى برهما، والإحسان إليهما، وسيأتي يومٌ يتسابق أولادك إلى برك كما كنت تتسابق إلى بر والديك، فالجزاءُ من

جنس العمل، وهذا من الجزاء المعجل في الدنيا مع ما يدخر للعبد المؤمن من الأجر.

وللبرّ طعم لا شبيه له في هذه الحياة سوى طعم الإيمان.

۞ **في برّ الآباء صلاح الأبناء:** أعرف رجلًا ابتلاه الله بولد عاق، وعمل خلال خمسة أعوام كل شيء لصلاحه ودفع أذاه فما استطاع.

قال: فذكرت سببًا كنت قد غفلت عنه، وهو برّ أبي.

فسارعت إلى برّه وإسعاده وخدمته.

فعطف الله قلب ولدي بعد أن عطفتُ على والدي، وبرّني بعدما بررت بوالدي، فبروا بوالديكم تنالوا برّ أولادكم.

۞ ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة، والركون إلى الظَّلمة، ومع هذا يترك أمورًا واجبة عليه من صلة رحم وحق جار وصاحب! ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



الأخلاق والأدب

❁ **[الدين والخلق والعقل]:**

(هذه الثلاثة أعظم كرامة أكرم الله بها عبده، وأَجلّ عطية أعطاه إياها). ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فانظر مدى اتصافك بها، فقيمتك بحسبها.

❁ قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ليْس لِلْقلبِ أنْفعُ مِن مُعَاملةِ النَّاسِ باللُّطْف. [مدارج السالكين ٢/ ٤٧٨]

تلطّف مع أولادك وزوجتك وأصدقائك خاصة، ومع الناس عامّة، وتواضع وتودّد لهم، وأحسن إليهم، واصبر على أذاهم.

فاللطف والرفق واللين يُصلح ويُسعد ويشرح قلبك وقلوب من تُجالسهم وتتعامل معهم.

فلا تحرم نفسك وغيرك السعادة والانشراح وصلاح القلب.

❁ جدّد في كل يوم عفوك عن كل مسلم ظلمك أو أخذ مالك أو اغتابك، وأشدّ الناس عليك أذيّة هو أول من تبدأ بتحليله والاستغفار له وسؤال الله أن يهديه وألا يعذبه بسببك، وماذا تستفيد إذا عُذب أخوك المسلم بسببك؟

قل الآن: اللهم إني عفوت عن كل من ظلمني وآذاني، تغلّب على هواك، وانتظر عطايا مولاك.

۞ امتلك عدة مفاتيح:

الأذكياء من الرجال والنساء يستعملون عدة مفاتيح يفتحون بها قلوب الناس المغلقة؛ لأن طِباعهم مختلفة: فمنهم الغضوب والحليم، ومنهم الجاد والهازل، ومنهم العنيد والسّهْل، ومنهم المتسلط والورع، ومنهم الملول والصبور.

وليس من الحكمة أن تستعمل أسلوبًا واحدًا مع الجميع، بل استعمل لكل إنسان أسلوبًا يناسبه ومفتاحًا يفتح قلبه فتملكه، وتدخل عليه متى شئت.

۞ بعض الناس أخلاقه جميلة لكنها غير راسخة، فسرعان ما تفسد عند أدنى خلاف أو مكدّر.

ومثله كمثل زهرة جميلة سرعان ما يفسد جمالها عند أدنى ريح.

وبعض الناس أخلاقه الجميلة راسخة لا تفسد مهما اشتدّ الخلاف أو عظم المكدّر.

ومثله كمثل النخلة المثمرة، لا يفسد جمالها مهما اشتدت الرياح، بل تسقط منها الثمار الطيبة.

وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . .

۞ أشق ما تبذله: المال، وأشق ما تحبسه: الغيظ، فمن كان مؤمنًا بالله سخيًّا كريمًا بماله، حليمًا كاظمًا لغيظه: فقد نال خيري الدنيا والآخرة، ونال محبة الله ومحبة الناس.

۞ النصرة الصادقة للظالم أن تكفّه عن ظلمه:

اتصل عليّ رجل لا تربطني به علاقة، وقال: إنّي عَلِمْت أنّ

صديقي فلانًا ـ وهو من أعزِّ أصدقائه ـ قد ظلمك بالأمر الفلاني، وإني أقف بجانبك ضدّه، ولن أُقرّه على ظُلْمِه وتعدِّيه.

فانظر كيف وَقَف مع الحق ونصره ولو على حساب أعزِّ أصدقائه، فيالها من أخلاقٍ ما أعظمها، وليس هذا غريبًا على أخلاق المسلمين، الذين ربّاهم الإسلام على مثل هذه القِيَم والأخلاق النبيلة.

۞ الرفق مع الناس من أعظم صفات المسلم حتى مع الكفار.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ لملك النصارى: «نحن نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة».

۞ احذر أن تلعن مسلمًا، فقد ثبت في الصحيحين مرفوعًا: «لعن المؤمن كقتله» فقد جعل لعن المؤمن كقتله.

فكم نفسًا تقتلها بغير سكين، ستحمل إثمها غدًا!! إن تهاونت وتجرأت على لعن إخوانك المسلمين.

۞ طوبى لمن حفظ لسانه وكفّ شرّه.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: ما زال الأئمة يختلفون قديمًا وحديثًا، ولكن مِن ذميم أخلاقهم: وقيعةُ بعضهم في بعض، وسدُّ باب الاعتذار، نسأل الله العفوَ وتركَ الهوى. [معرفة القراء الكبار ٢/ ٨٣٢]

اللهم كما سلّمْت أيدينَا مِن أذى الناس فسلّم ألْسنتنا من أذيّتهم.

۞ شتان بين مَن إذا لقيته مِن بعض أقاربك أو محبيك رأيت منه حفاوة كبيرة واهتمامًا واضحًا بالسلام والسؤال والاطمئنان، حتى تشعر أنك على هرم اهتماماته، وبين من ترى عليه البرود والتثاقل بالكلام حتى تشعر بأنك من أثقل الناس عليه، وتستخرج الكلام منه استخراج الماء

من البئر الغائرة، حتى كأنه يقول لك: لقد أثقلتني ومللتني، ولا تعني لي شيئًا من قريب ولا بعيد.

۞ قال بعض الحكماء: «إظهار المودة للأعداء من مكايد العقلاء».

وهذا حق، وهو من الدهاء والحكمة، فالعدو يريد حينما يقوم باستفزازك أن تبادله العداوة ليزيد من عداوته وتسلطه، فأظهر له المودة ليكف شره ويستحي، أو يموت بغيظه.

۞ مِن علامة مروءة الإنسان وكرم طبعه ورجاحة عقله:

إجلالُه لأهل الفضل، واحترامهم، والْتماسُ الأعذار لزلاتهم.

ومن أحسن ما قرأت في هذا المعنى قول الشاعر:

وما عبَّر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

وإنَّ أخَسَّ النقص أنْ يتَّقي الفتى قذَى النقص عنه بانْتقاص الأفاضل

۞ مكانة الجار:

كان من أخلاق العرب حمايةُ الجار والدفاعُ عنه، حتى سمّوا من طلب النصر جارًا، ومنه قول الشيطان لكفار قريش وقد ظهر لهم بصورة سراقة الْمُدْلجيّ رضي الله عنه في معركة بدر ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

۞ لكل شيء دليل يدل عليه.

فدليل دين الإنسان: صلاته.

ودليل عقله: لسانه.

ودليل همته: ما يطلبه.

ودليل عفافه: غض بصره.

ودليل حزمه: حفظ وقته.

ودليل صبره: كظم غيظه.

ودليل أخلاقه: بشاشته.

تلقى الكريم فيسبقَنّك بِشرُه وترى العُبُوس على اللئيم دليلًا

ودليل نفاقه: كذبه.

ودليل رشده: حُسن إدارته للمال.

۞ ينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليِّنًا ووجهه منبسطًا طلقًا مع البرَّ والفاجر من غير مداهنةٍ، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يَظُن أنه يرضا مذهبه؛ لأن الله قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤].

فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما باللين معه. القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره.

۞ أربعة أمور لا ينبغي لك أن تترفّع عنها مهما ارْتفعت مكانتُك، وكبُر سنّك، وعَلا منصبُك:

١ ـ قيامك من مجلسك لوالِدَيك؛ ذلًّا وتوقيرًا.

٢ ـ خدمتك لضيفك؛ تواضعًا وتقديرًا.

٣ ـ خدمتك لعالمٍ تتعلم منه؛ احترامًا وأدبًا.

٤ ـ السؤال عمّا لا تعلم رغبةً في العمل ورفع الجهل عنك.

والترفع عن أحدها دلالة على الكبر.

۞ قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢١٦﴾ [الشعراء: ٢١٦].

أمره عند مخالفة أصحابه له أن يتبرأ من فعلهم لا منهم، فهكذا يجب أن ننتقد ونبرأ من أخطاء الناس لا من ذواتهم.

۞ من أفضل طرق اكتساب حسن الخلق: سوء أخلاق الناس.

فإذا رأيت سريع الغضب بغّضك في الغضب.

وإذا رأيت البخيل نفّرك من البخل.

وإذا قسا عليك أحد كرهت العنف وأحببت الرفق.

وهكذا.

ولقد استفدت من سيّئ الأخلاق أكثر من استفادتي من حَسَن الأخلاق، وكانت تصرّفاته معي أو مع غيري أكبر منفّر لي عنها.

۞ **من قلة مروءة بعض الناس وضعف عقله ودينه:**

أنه ينسى معروف صاحبه، وجمال أفعاله، وطول عشرته، بسبب ذنب وقع منه، أو زلّة بدَرَت منه.

أيذهب يومٌ واحدٌ إنْ أسأتُه   بصالحِ أيامي وحسنِ بلائيا؟

ونفسك لا تخلو من عيوب وأخطاء، فكذلك الناس كلهم.

۞ درسٌ في ترك عيب وذمّ الآخرين: قيل للربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ: ما نراك تذمّ أحدًا! فقال: ما أنا عن نفسي براضٍ فأتحوّل عن ذمّي إلى ذمّ الناس!

۞ **قل بصدق لمن آذاك:** اللهم لك الحمد أنْ عافيتني مما ابتليته به، رب سامحه وعافه من سوء خلقه، ولا تجعل في قلبي شيئًا عليه، ثم انظر مدى الراحة التي تجدها!

۞ ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «إني لأرى لردّ جواب الكتاب عليّ حقًّا كما أرى ردّ جواب السلام».

وبعض الناس للأسف يتهاون في ذلك، وخاصة في الرسائل

الهاتفيّة، حيث تَرِدُه رسائلُ استفسار، أو طلب، أو سلام، أو اطمئنان من أقاربه ومحبيه، ويقرؤها ولا يردّ عليهم بلا عذر.

❁ **في المتكبر صفات سيئة كثيرة منها:**

الأولى: شعورُه بالذلّة والنقص في نفسِه؛ فلذلك يسعى إلى تكميله بشتى الطرق، حتى يذهب عنه ألم هذا الشعور، ولو كلفه ذلك الغالي والنفيس، ولو أدى به ذلك إلى كره الناس له، أو بذلِ ماله ووقته.

قال بعض السلف: ما رأيت أحدًا يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلّة يجدها.

الثانية: ذلّته وانكسارُه لمن فوقه.

ولله درّ الجاحظ حين قال: لم أر ذا كبر قطّ على مَن دونه إلا وهو يذلّ لمن فوقه بمقدارِ ذلك ووزنِه. [الحيوان: ٦/ ٣٥٣]

❁ كان رجل من أهل العلم، وأجازه بالفتيا الحافظ ابن كثير رحمه الله وغيره، ثم تغيرَ في آخر عمره تغيرًا كثيرًا، ونسي حتى القرآن، وكان يقال: إن ذلك بوقِيعَتِه في الناس. [طبقات الفقهاء الشافعية ٢/ ٢٤٦]

الوقيعة في الناس وتتبع عثراتهم: من أعظم أسباب محق البركة، وزوال النعمة، وخاتمة السوء، نعوذ بالله من ذلك.

❁ **(خلق التغافل)**: من أبرز سمات العقلاء، وأخص صفات النبلاء، ومن أعظم أخلاق الأنبياء، وأوضح دلالة على حسن الخلق.

وهو البوابة الواسعة لراحة البال، وكسب مودة الناس.

وهو القفل للمشكلات والنكد والخلافات.

۞ التودّد إلى الناس والتلطفُ معهم ومُداراتهم: دليلٌ على كمال الأدب، ورجاحةِ العقل، قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: التودد إلى الناس نصف العقل.

۞ من أعظم النكد: مُقابلة الْمُقطّب العابس، ويعظم النكد: إن كان ظاهره الصلاح، والأدهى: إن كان من أهل العلم!، نعوذ بالله أنْ يحلّ بنا هذا النّكد.

۞ إذا كان الله تعالى عاتَب نبيَّه وخلِيله ﷺ بِعبُوسِه بوجه أعمى لا يشعر بِعبُوسه، فكيف بمن عَبَس وكَلَح في وجه مَن يُبْصر ويُؤلِمُه ذاك العُبوس!

۞ لا يوجد عاقل يضع صورته في مواقع التواصل أو غيرها وهو عابس أو مقطب، لأنه يراها منفرة وكريهة! فالبشاشة جمال وسعادة وصحة.

فهل يفرط فيها عاقل؟

۞ **من أعظم أخلاق الكرام:** العفو قبل العَتَب، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، فقل أنت لمن تعتب عليه: عفا الله عنك وسامحك لم فعلت كذا؟ بأُسلوبٍ لطيف.

۞ أقل ما يجنيه صاحب الأخلاق الحسنة والابتسامة الصادقة إجماع القلوب على محبته والثناء عليه والدعاء له والدفاع عنه إذا نيل منه.

فكن ذا خلق حسن.

۞ هناك أمور كثيرة يراها الناس من أعظم الفضائل، وأحسن المكاسب، كالمال، والمنصب، والجاه، وأحسنها وأكملها عند العقلاء: مكارم الأخلاق.

وصدق القائل:

لـو أنَّـنـي خُـيِّـرت كـلَّ فـضـيـلـة ما اخترت غير مكارم الأخلاق

و«**إن خيـاركـم أحـاسـنـكـم أخلاقًا**» هـكـذا قـال نـبـيـنـا ﷺ كـمـا فـي الصحيحين.

۞ من علامة تواضع الإنسان ورجاحة عقله وحسن أدبه ونبل أخلاقه: حسن استماعه للواعظ والناصح ولو كان أصغر منه سنًّا، وأقل علمًا.

والمتكبر والجاهل ينظر إلى القائل لا إلى القول، فإذا تحدث من هو أصغر منه لم يُطق الاستماع إليه، وربما تشاغل بشيء، أو قام وتركه. نعوذ بالله من سوء الأخلاق.

۞ نوع جديد من الاحتقار والازدراء لم يُوجد إلا في هذا الزمن، وهو احتقار الشخص لقلّة مُتابعيه في مواقع التواصل! فإذا رأى قلتهم تجاهله؟ ولم يلتفت إلى نفاسة ما يقول وما يكتب!

۞ **من أخلاق المؤمن:** أنه كثير الترحيب والحفاوة بمن يلقاه من إخوانه، ويدخل السرور على قلوبهم، ويفتح لهم أبواب الأمل والرجاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤]؛ أي: وإذا جاءك المؤمنون فحيّهم ورحب بهم ولقهم منك تحية وسلامًا، وبشرهم السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ بعض الناس يداري الآخرين مداراة السابح للماء الجاري، ويتغافل عن أخطائهم، ويعتذر لزلاتهم، ويُكْبِر ما يصله منهم ولو كان صغيرًا، فتجد الناس يقبلون عليه، وقلوبهم ممتلئة بمحبته، ونفوسهم متشوقة لمجالسته.

يـزدحـم الـنـاسُ عـلـى بـابـه والـمنهـلُ العذبُ كثير الزِّحام

اللهم حسّن أخلاقنا.

۞ بعض الناس يرى أنَّ سلام الناس عليه من حقه عليهم، وأنهم إنما سلموا عليه يبتغون شرف السلام عليه، وهو وإن لم يقل ذلك بلسان مقاله، فلسان حاله يشهد بذلك، حيث إنه يردّ السلام ببرود، ولا يظهر البشر والفرح بسلام الناس عليه، وهذا من الكبر والترفع وسوء الخلق أعاذنا الله من ذلك.

۞ إذا حَلّت إحدى هذه الآفات في مجتمع أو عمل أو بيت فمآله الفشل، وإذا حَلّت كلها فهو الفساد الكبير:

١ ـ سوء الظن والحكم على البواطن لا الظواهر.

٢ ـ إقصاء الآخرين لأجل المصالح الشخصية وليس للمصالح الشرعية أو العامة.

٣ ـ عدم التماس أعذارِ من قلَّت أخطاؤه وحسن قصده.

٤ ـ عدم مكافأة المحسن.

۞ كما أن لك أخلاقًا ظاهرة فلك أخلاق باطنة، كالإخلاص لله في تعاملك، والحياء، والتواضع، وسلامة قلبك من الحقد، وحب الشهرة، والرئاسة، والمدح.

وأخلاقك الباطنة هي الأصل والأساس لأخلاقك الظاهرة، فإذا أهملتَ أخلاقك الباطنة لن تنفعك أخلاقك الظاهرة، وسرعان ما تفسد وتضطرب عند المصائب والمواقف الصعبة.

۞ الوجع، والفقر، والخوف، والهمّ، والذلّ: لا يحس بألمها إلا من كان فيها، لا من كان خارجًا عنها.

ومن رحمة الله ولطفه بك أن تذوقها لتعرف قدر معافاتك منها.

وفساد الرأي والنذالة وسوء الأخلاق: لا يحس بعظيم قبحها إلا من سلمه الله منها، وأما من خُذِلَ وتلبس فيها فلا يشعر بعظيم قبحها.

ومن رحمة الله ولطفه بك سلامتك منها لتُحس وتُشعر بقبحها.

۞ باعدْ عن جليس السوء، وصاحب الطباع الفاسدة، والأخلاق القبيحة، فإنه سيُعديك ويسري إليك شيء من طباعه وأخلاقه شعرت أم لم تشعر!

واحذرْ معاشرة الدّنيء فإنها   تُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ

۞ من أفضل ما قرأت في مدح حَسَنِ الخُلُق وذمِّ سيِّئ الخلق: قول بعض الحكماء:

الحسن الخلق: ذو قرابة عند الأجانب.

والسيئ الخلق: أجنبي عند أهله.

وصدق القائل:

وما اكتسب المحامدَ طالِبوها   بمثل البِشْر والوجه الطَّليق

۞ **أخلاق العظماء**: في ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥١٢): أن أخا ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ دعا الله على من ظلمهم فمنعه وقال: قل: اللهم هب لهم نورًا يهتدون به إلى الحق.

۞ من سعى في اكتساب مكارم الأخلاق وهجر سيئها من مصادرها الصحيحة وصبر على ذلك: فإنه سيتحقق له ما أراد بمشيئة الله.

أعرف من كان من أسوأ الناس خلقًا، فسعى جاهدًا في تحسين أخلاقه وطباعه فتغير تغيرًا كبيرًا.

فإنما الصبر بالتصبر والحلم بالتحلّم.

فلم أجد الأخلاق إلا تخلقًا. ولم أجد الأفضال إلا تفضّلًا.

۞ إنما يعتني بالأخلاق من علت همته وكرمت عليه نفسُه.

ويستفيد الناس من أصحاب الأخلاق الكريمة والنصح برفق أكثر مما يستفيدون من أهل العلم الذين لم يتحلّوا بهذه القيم النبيلة الشريفة.

وهل الدين إلا إيمان وخلق وقيم وتعامل حسن؟

وحاجة الناس إلى كرماء الأخلاق أكثر من حاجتهم إلى كرماء المال.

۞ درسٌ في الْتماس الأعذار وإحسان الظن: توفي ابنٌ لأحد السلف فقيل له: إنَّ ابن عون لم يأتك. فقال: إنا إذا وثقنا بمودةِ أخٍ لا يضرنا ألا يأتينا!

۞ لنْ تقول كلمةً حال الرضا أو الغضب أو الردّ أو الجدال إلا وهناك أحسن وألْطف وأجمل منها، فاخترها ودع غيرها؛ لتصفو النفوس، وتجتمع الكلمة، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، لم يقل: يقولوا الحسن، بل قال: يقولوا التي هي أحسن، فكيف بمن يقول التي هي أسْوأ؟

۞ احفظ لسانك:

اتفق ملوك أربعة على كلمة:

١ ـ كسرى: إذا قلتُ ندمت وإذا لم أقل لم أندم.

٢ ـ قيصر: أنا على رد ما لم أقل أقْدر مني على رد ما قلت.

٣ ـ ملك الهند: عجبت لمن تكلم بكلمة إن هي رُفعت تلك الكلمة ضرته، وإن هي لم ترفع لم تنفعه.

٤ ـ ملك الصين: إن تكلمتُ بكلمة ملكتني وإن لم أتكلم بها ملكتها.

۞ إذا كان قتل النفوس جريمة: فقتل الْهِمم والإبداع بكبت المبدعين، وإسكات الناصحين، وعدم شكرهم وتقدير أعمالهم قدرها: ظلم وتجفيف لمنابع الإبداع في الأمة الإسلامية.

۞ المشاعر كلما حُبست وأُسِرَت جفت ونضبت، وأورثت جفاء التعامل، وغِلَظَ الطبع، وكلما كانت حرة ـ وفق الضوابط الشرعية ـ تفجرت وسالت، فأسقت الأوراق كتابة وتصنيفًا، والمنابر خطابةً وبيانًا، والناسَ محبة وحنانًا، فطربت لحديث أصحابها الأسماع، وتطاولت لرؤيتها الأعناق، وكسبت حمدًا ومجدًا، مع ما يُدّخَرُ لها من عظيم الأجر إن قُرنت بنية صالحة.

فلنطلق لمشاعرنا العنان لتدب فينا الحياة والإبداع.

ولم أر من كرُمَت مشاعره إلا نبلت أخلاقه وشرفت نفسه وكثر أحبابه وقل أعداؤه.

۞ ما ارتُضي الغضبان، ولا استُعطف السلطان، ولا سُلَّت السخائم، ولا دُفعت المغارم، ولا تُوُقِّي المحذور، ولا استُميل المهجور، ولا زادت مودّة الصديق، ولا قوية صلة القريب، بمثل الهدية والبر، فتهادوا أيها الإخوة لتحابّوا، وانشروا البر والخير من التواضع والبشاشة والكرم والإحسان.

۞ هنيئًا لمن أُوذي فعفا وغفر.

هنيئًا لمن سمع من غيره كلامًا جارحًا فكتم غيظه وصبر.

هنيئًا لمن اختار المسامحة على المقاطعة.

والحلم على الجهل، والرفق على العنف، والبشاشة على العُبوس، وقدّم التآلف على التدابر، ومصلحة الجماعةِ على مصلحة نفسِه.

هنيئًا له فضائل لا ينالها بكثرة صيام ولا قيام.

۞ الابتسامة والبشاشة: ضياء في وجهك، وسعادة في صدرك، وصحّة في بدنك، بها تكسب أصحابك،

وتأْمن أعداءك، وتُضاعِف حسناتك، وتُخلّد ذكرك، ويا ليت سيئ الخلق والعابس يستحضر ما يُسببه من الضيق والهم والغم في نفوس الناس ومَن يُقابلهم!

فما أعظم ذنبه، وأكثر أعداءه، وأقلَّ أحبابه، وأضيق صدره، وأقلّ بركته.

۞ ما وجدت أحسن ولا أفضل ولا أنفع لأسر قلوب الناس وخاصة الأقارب والأصدقاء والأهل والأولاد، وكسب حبهم، والأمن من شر الأعداء وحسدهم ومكرهم، مثل:

١ ـ احترامهم.

٢ ـ البشاشة في وجوههم.

٣ ـ ترك مجادلتهم..

اللهم حسن أخلاقنا، وألف بين قلوبنا، واكفنا شر أعدائنا.

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأدب هو الدين كله».

دينُنا مبنيٌّ على الأدب مع الخالق بتوحيده، ومع الناس باحترامهم، فخلَلُ الأدب ناتجٌ عن نقصِ أخذِه من الدين.

۞ (الأدب قبل الطلب):

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا نأتي العالِمَ فما نتعلم من أدبه أحبُّ إلينا مِن علمه، وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تَعلّمِ الأدب قبل أن تتعلم العلم.

وقال القَرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن قليلَ الأدب[1] خيرٌ من كثير من العمل؛ ولذلك هلك إبليس وضاع أكثر عمله بقلة أدبه». [الفروق: ٤/ ٢٧٢]

۞ من علامة المروءة والأدب وسلامة الصدر من الكبر والحسد:

أن تعترف بالفضل لأهله.

وتقرّ بفضائل الآخرين.

وتنسب الفائدة التي استفدتها من أحدٍ له.

وتشكره وتُثني عليه أمام الملأ.

إذا أفادك إنسانٌ بفائدة من العلوم فأَدْمِن شكره أبدا
وقل فلانٌ جزاه اللَّه جنَّته أفادنيها وألق الكبر والحسدا

۞ دخل رجل إلى مجلس أبي جعفر الطحاوي، وعنده القاضي أبو عثمان بن حماد ـ رحمهما الله ـ، فسأله عن مسألة، فقال له أبو جعفر: مذهب القاضي أيده الله كذا وكذا، فقال له: إنما جئت إليك، فقال أبو عثمان: أفته أيدك الله.

مع أن الطحاوي أكبر منه بأكثر من خمسٍ وثلاثين سنة.

التواضع والأدب دليل على التوفيق والصدق وسلامة الصدر.

---

(١) أي: القليل من الأدب.

۞ أكْثر من القراءة والسماع لأحوال وأخلاق النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

فخصّص وقتًا لسماع وقراءة سيرهم وأخلاقهم.

ومن العجب أن البعض يتبحّر في القراءة في كثير من العلوم، ولا يقرأ ما يهذّب به نفسه وما يُصلح به أخلاقه!

۞ **فائدة نفيسة:**

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في [المفهم ١/ ٥٠٩]: لم يُرْوَ عنه ﷺ أنه تسوّك في المسجد، ولا في محفلٍ مِن الناس؛ لأنه من باب إزالة القذر والوسخ، ولا يليق بالمساجد ولا محاضر الناس، ولا يليق بذوي المروءات فعْل ذلك في الملأ من الناس.

۞ **قاعدة ثمينة جدًا:** الإنسان يحمد على حسن نيته، لكن لا يحمد على سوء فعله، إلا أنه إذا عُلم منه أنه معروف بالنصح والإرشاد فإنه يُعذر بسوء تصرفه ويُلتمس له العذر.

ولا يجوز أن يُتَّخذ من فعله هذا قدحٌ في هذا المتصرّف، وأن يحمّل ما لا يتحمله، ولكن يعذر ويُبيّن له وينصح ويرشد. ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ النبلاء لا يغضبون ممن ينتقدهم انتقادًا بناءً، وتتسع صدروهم لتقبل النصح والرد والاعتراض عليهم بأدب؛ لأنهم تخلّصوا من حظوظ النفس التي هي أساس كل شر ورأس كل بلاء، وهي السم القاتل الذي يفتك بكثير من خصال الخير والبر، والمخدر الذي قد يطول مفعوله للعقل، والقفل الذي يمنع دخول الحكمة للقلب.

۞ قال النبي ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**».

قال ابن تيمية: فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق.

وقال: درجة الحلم والصبر على الأذى والعفو عن الظلم أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام.

وقال ابن رجب رحمه الله: حسن الخلق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة.

۞ كم هم الذين تَبدر منهم زلّة أو تقصير فلا يسارعون في الاعتذار وتطييب الخواطر.

عود نفسك أن تقول: آسف.. أعتذر عن خطئي.. أقر بأني مخطئ..؛ فإن الاعتذار يزيل ما في القلب من ضغينة، وهو بلسم لما ألمّ به من ألم، ويذهب الهموم، ويجلي الأحزان، ويدفع الحقد، ويذهب الصدأ، وينفي العُجْب عن النفس.

۞ **إن عدم اعتذارك عن خطئك أو تقصيرك يكون لأحد ثلاثة أسباب:**

١ ـ الكبر.

٢ ـ ظن الكمال.

٣ ـ عدم المبالاة، واعتقادك أن الأمر لا يستحق الاعتذار.

والسبب الأخير أخفها، وهو قبيح.

۞ **التماس العذر:** قال بعض السلف: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جُهدك، فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه!!

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن أعظم التقصير نسبة الغلط إلى متكلم مع إمكان تصحيح كلامه وجريانه على أحسن أساليب كلام الناس.

۞ صعد النبي ﷺ إلى السماء السابعة، وكلم الله، ونزل عليه جبريل، وقابل الأنبياء وهم صفوة الناس، ونال أعظم وسام (رسول الله، سيد ولد آدم)، ثم تراه بشوشًا متواضعًا، وبعض الناس يصعد كرسيًّا، ويتولى منصبًا ما ثم تراه عبوسًا متكبرًا، العظماء إذا ارتفعت منازلهم، تواضعت نفوسهم وكرمت أخلاقهم.

۞ يا صاحب الأخلاق العالية، والبشاشة الجميلة، والآداب الرفيعة، والصبر الجميل، والحلم والتواضع والكرم والإحسان: أتدري ما يَنقصك؟

أن تبتغي بأخلاقك وجه الله، إنه والله من الحسرة أن ترى يوم القيامة ثواب أخلاقك تزن الجبال، فتذهب هباء؛ لأنها كانت عادةً لك، أو أردت بها كسب مودّة الناس.

۞ عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنت أسمع الحديث من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلو أذن لي لقبّلت رأسه!

فابن عباس على جلالته لا يرضا أن يُقبل تلميذُه رأسه.

فليتنا نقتدي بتواضعهم.

۞ سُئل عالم عن مسألة فأخطأ فقيل له: أخطأت، فإنّ الحكم فيها كذا، فقال: إذن أرجع وأنا صاغر، لَأن أكون ذَنَبًا في الحق أحبّ إليّ من أن أكون رأسًا في الباطل.

۞ **درس في التواضع:** كان ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ يمشي مع رجل

فانتهيا إلى باب فقال: مكانك حتى نحسب أيّنا أكبر فيَتقدّم، قال الرجل: فكنت أكبر منه بقليل فتقدمت.

❁ تجنب ما فيه تفخيم لنفسك، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الواعظ ينبغي له حال وعظه ألا يأتي بكلام فيه تفخيم لنفسه، بل يبالغ في التواضع لأنه أقرب إلى انتفاع من يسمع.

❁ **التواضع**: ألا ترى في نفسك ما يستحق أن تتواضع عليه.

فسلامك على الفقير أو الصغير أو الخادم وابتسامتك لهم: لا لأنك متواضع، بل لأنهم مثلك أو أفضل.

❁ «كان يدخل على الحافظ أبي إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجبابرة والأمراء، فما كان يبالي بهم، ويرى بعض أصحاب الحديث من الغرباء فيكرمه إكرامًا يعجب منه الخاصُ والعام رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

[ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ١٣٥]

وقد عكس هذه الصفة بعض الناس، فأصبح يُكرم الوزراء والأغنياء ويجفو الفقراء والضعفاء!

❁ التظاهر بالتواضع قد يكون من الكبر، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد يذم الإنسان نفسه بين الناس يريد بذلك أن يري أنه متواضع عند نفسه، وهذا من دقائق أبواب الرياء.

❁ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول موسى للخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦]: فيه التذلل والتواضع للعالم، واستئذانُه في سؤاله، والمبالغةُ في احترامه وإعظامِه، ومن لم يفعل هكذا فليس على سُنَّة الأنبياء ولا على هديهم. [المفهم ٦/ ٢٠١]

❁ لما تواضع آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وخضع قُرِّب وَعَّز، ولما تكبر إبليس

واستعلى طُرِدَ وذلَّ، وهذه سُنَّة الله في خلقه، يرفع من تواضع، ويضع من تكبر.

وصدق القائل:

وإذا تذلَّلَتِ الرقاب تواضعًا ... منا إليك فعُّزها في ذُلِّها

۞ إياك والتكبر والعجب بنفسك ومالك وعلمك ومنصبك، فالكبر داء خطير، ومرض عضال.

ولا تمشِ فوق الأرض إلاّ تواضعًا ... فكم تحتها قومٌ همُ منك أرفع
فإن كنتَ في عزٍّ وحرزٍ ومَنْعة ... فكم مات من قوم همُ منك أمنعُ

قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**».

فيكف بمثاقيل الذر؟

۞ **قال ابن القيّم** رَحِمَهُ الله: «ليس للقلبِ أنفعُ من مُعاملة النّاسِ بالُّلطْف». [مدارج السالكين ٢/ ٤٧٨]

تلطّف مع الناس وخاصة والديك، وأولادك، وزوجتك، وتواضع وتودّد لهم وأحسن إليهم واصبر على أذاهم: تؤجر وتُصلح وتُسْعِد وتَشرح قلبك وقلوبهم.

فلا تحرم نفسك وغيرك السعادة والانشراح وصلاح القلب، مع ما يدّخره الله لك من عظيم الأجر.

۞ **خمس لا يَكْمُلْن إلا بخمس:**

- العلم مع العقل.
- والمعروفُ مع نسيانِه.
- والدّيانة مع الظَّرافة.
- والحزم مع الرفق.

- والإمارة مع المشاورة.

۞ التواضع حقًّا لا تصنّعًا هو:

١ ـ ألا ترى في نفسك ما يُميّزها عن غيرك لتنزل إليهم، شعورك بأنك لست أرفع من أيّ مسلم.

٢ ـ وأنْ يكون تواضعك مع الجميع، لا تفرّق بين كبير وصغير، وغنيّ وفقير.

٣ ـ وألا ترى أنّ لك حقوقًا على الآخرين.

۞ **[أنت من الملوك]:**

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ لرجل: ألك امْرأة تأوي إليها؟ قال: نعم.

قال: ألك مسكنٌ تسكُنه؟ قال: نعم.

قال: فأنت من الأغنياء!

قال: فإنّ لي خادمًا.

قال: فأنت من الملوك!

۞ **سنة مهجورة، وأدب مغفول عنه:**

قال النبي ﷺ: إذا صنع لأحدكم خادمه طعامًا ثم جاءه به وقد ولي حره ودخانه فليقعده معه ليأكل، فإن كان الطعام قليلًا فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين. أي: لقمة أو لقمتين. [مسلم]

الأكل مع الخادم من التواضع وترك التكبر، وذلك من آداب المؤمنين وأخلاق المُرسَلين.



الصبر والحكمة

❁ جربت كل شيء من الأعمال والأخلاق والطرق لضبط نفسي، وتحسين أخلاقي، وإنجاز أموري، فما وجدت أفضل وأنفع ـ بعد توفيق الله ـ من الصبر.

وصدق النبي ﷺ: «**ما أُعطي أحد عطًاء خيرًا وأوسع من الصبر**».

والصبر: هو أن تمنع نفسك من شهواتها لمصلحتها.

وهو مُرٌّ وصعبٌ في البداية، وحلوٌ وسهل في النهاية.

لا يدفع المرءُ ما يأتي به القدر ... وفي الخطوب إذا فكرت معتبر

فليس ينجي من الأقدار إنْ نزلت ... رأيٌ وحزمٌ ولا خوفٌ ولا حذر

فاستعمل الصبر في كلّ الأمور ولا ... تجزع لشيء فعُقبى صبرك الظفر

❁ لا تحكم على الشدائد أنها شرّ محض، فرب شدة تحمل في طياتها خيرات عظيمة عليك، وقد قصّ الله تعالى علينا قصة نبيّ الله تعالى لوط عليه السلام، حينما جاءته الملائكة في صور بشر، فخاف من قومه أن يريدوا بهم شرًّا، فقال تعالى في بيان حاله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: ٧٧].

فانظر إلى الأسى الذي بلغ به، وقد ظنّ أنّ هذه الشدة شرّ محض، وإذا بها تكون فرجًا له، فقالوا له: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

وانظر إلى أمنية مريم عليها السلام حينما جاءها المخاض: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ [مريم: ٢٣]، وإذا بهذه المصيبة الظاهرة تكون منحنة وفرجًا لها ولقومها.

فغالب الشدائد والمصائب تحمل معها الفرج والخير واليُسر، فإياك أن تظن بها شرًّا محضًا.

«وإذا تأمّلت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلّ الغايات، وأكمل النهايات، الّتي لم يكونوا يعبرون إليها إلّا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الّذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنّة إلّا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنح في حقهم والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرّحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة، ومنّةٍ عظيمة، تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان!»[١]

۞ كما أن الصبر عند الصدمة الأولى فمن لم يصبر عند أول هول المصيبة فلا يعدّ صابرًا، فكذلك الحلم عند الصدمة الأولى، فمن لم يكظم غيظه عند أول الأمر الذي يُثير غضبه فلا يُعدّ حليمًا.

فجاهد نفسك على الصبر والحلم عند أول الصدمات مهما عظمت.

ومما يُعينك على الحلم: التماسك العذر للذي أغضبك.

۞ عند اشتداد المحنة، وشدة البليّة، وانغلاق الأسباب الحسيّة في زوالها: ييأسُ المؤمن من كلّ شيء سوى الله، ويعظم التجاؤه إليه،

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٩٩).

ويزداد فقرًا وذلًّا له، ويدعوه بتضرع وإلحاح كدعاء الغريق أو أشد.

وهذه حالة شريفة ومنزلة رفيعة لا يصل إليها إلا الأصفياء من الأنبياء والأولياء.

ولا ينالها غيرهم إلا عند اشتداد المحن.

فلو لم يكن من منافع المحن إلا هذه لكفى، فكيف ومنافعها وفوائدها لا يُحصيها إلا الله، ولا يقف عليها إلا أهل العقل والإيمان، الذين يعلمون أنّ لله الحكمة البالغة في كلّ ما يُقدّره ويقضيه من خير وشر.

فالْجأ ـ أخي المسلم وأختي المسلمة ـ إلى الله عند اشتداد محنتك وبليّتك، ولا تُعلّق رجاءك إلا بالله، وامْلأ قلبك بحبّه ورجائه والتوكّل عليه، ولن يخيّبك ـ والله ـ وأنت على هذا الحال.

وإنما يريد الله تعالى منك عندما ابتلاك أنْ يقطع رجاءه بالمخلوق، وأن يُخرج من قلبك أيّ ذرة من التعلّق بالأسباب الحسيّة.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد.

۞ قال ابن القيم رحمه الله: إذا أراد الله أن يُعِزّ عبده ويجبره وينصره: كسره أولًا، ويكون جبْرُه له ونصرُه على مِقدار ذُلِّه وانكساره.

[زاد المعاد ٣/ ١٩٨]

فيا من ابتلاك ربّك بالمرض، أو فقْد الولد، أو الظلم، أو الفقر، وأنت صابر راضٍ بقضاء الله، قد كسرك الابتلاء واستخرج من قلبك الكبر والعُجب: أبشر بحسن العاقبة وحلاوة الفرج.

۞ من المصلحة في كثير من الأحيان ألا تستعجل في الإصلاح

بين المُتخاصمَيْن؛ لأن النفوس مشحونة، والقلوب نافرة، فربما تزدادُ النفرة والعداوةُ حينئذ. .

فإذا مرَّت الأيام، وهدأت النفوس: فحينها يغلبُ العقل على العاطفة، ويتغلّب الرُّشد على الطيش، فبادر حينها إلى الإصلاح بحكمة.

۞ تأمل قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] فما أصابتك من مصيبة في بدنك، أو ولدك، أو مالك إلا بعلم ربك الرحيم وإرادته، فهو يراك حينما قضى عليك بالمرض أو الهم أو الفقر، فإياك أن يراك ساخطًا متضجرًا، فما ابتلاك إلا ليرى صدقك، ويسمع دعاءك، ويمتحن صبرك.

ثم قال تعالى مبيِّنًا ثمرة مَن صبَر عند المصيبة وآمن وثبَت: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]؛ أي: ومن يصدق ويعلم أنه لا تُصيبه مصيبة إلا بإذن الله يهدِ قلبه للصبر والرضا، ويهديه لألطافه وجميل عطائه.

۞ حينما يبلغك أمرٌ تكرهه أو تخاف منه فقل كما قال نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [يوسف: ١٨]؛ أي: سأصبر صبرًا جميلًا سالمًا من السخط والتَّشكِّي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوتي.

ومن استعان بالله تعالى بقوله وقلبه عند المصائب: جاءه الفرج من كل حدب وصوب، وأنزل الله تعالى عليه سكينة وانشراحًا ينسى معها آلام الفاجعة، ومرارة المصيبة.

۞ من صبر على الكفّ عن المعاصي وعلى طاعة الله وعبادته الباطنة والظاهرة: أعانه الله على الصبر عند الفتن، والمصائب، والقتال،

والشهوات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]. قال البقاعي رحمه الله: فإن القتال في الجهاد إنما هو بالأعمال، فمن كان أصبر في أعمال الطاعة كان أجلد على قتال الكفار، ولم يكن توليهم عن ضعف في نفس الأمر. اهـ[١]

ولو لم يكن من فضائل الصبر على طاعة الله إلا تثبيته عند الفتن والمصائب والقتال والشهوات لكفى، فكيف بما يعطيه الله مكافأة له على صبره في الجنة من النعيم والسرور واللذة والكرامة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، منعَّمًا فيها أبد الآبدين، ليس له شغل إلا التفكّه والأنس واللذة، يتقلب في أنهار الجنة، ويطير من غصن إلى غصن؟

❁ عجبي من ابتلاء الله تعالى لأنبيائه ورسله، فهذا نوح عليه السلام يمكث ألف سنة إلا خمسين عامًا في الدعوة التي واجه خلالها الكثير من المنغصات والاستهزاء والتهديد، ثم يُبتلى بكفر أقرب الناس إليه: زوجته وولده، وانظر إلى المرارة والألم الذي لاقاه حينما جعلت السماء تمطر والأرض تغرق بالماء، وجعل ينادي بحسرة: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: ٤٢]، واسمع لندائه لربه وهو يرى ابنه وفلذة كبده يغرق أمامه مع الكافرين: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: ٤٥]، ثم انظر إلى ردّ ربه الشديد: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ١٠١).

وهذا إبراهيم عليه السلام يتحسر على كفر أبيه، ويعزم على الاستغفار له حتى نُهي بعدما تبين له أنه عدوّ لله، ثم بعد ذلك لم تستقر قدمه في مكان، بل جعل يتنقل من الشام إلى مكة وغيرها.

وهذا نبيّ الله موسى عليه السلام يبتليه بمواجهة طغيان فرعون، فلما هلك مكث يربي قومه على الدين والإيمان، فلما ذهب لميقات ربه فرحًا مسرورًا مستعجلًا، طالبًا مرضاة في الله ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤]، فربما كان ينتظر بشارة ومكافأة على نيّته وعمله، لكن الله أخبره خبرًا نزل عليه كالصاعقة ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: ٨٥]، فالله تعالى هو الذي قدّر وقضا وشاء أنْ يفتن قومه بعبادة العجل وتصديق السامريّ، فلم يعترض ولم يسأل مجرد سؤال عن السبب والحكمة، بل رضي بقضاء ربه الحكيم العليم، فرجع مُسْرعًا إلى قومه ليصلح ما أفسده السامريّ.

ثم ابتلاه بطغيان قارون، ثم ابتلاه بتمرّد قومه، وهو الذي قضى سنوات من عمره في إصلاحهم واستقامتهم، حيث طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدّسة ويجاهدوا معه عدوه وعدوهم، فردوا عليه بأقبح ردّ ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

وهكذا حال بقية الأنبياء إلا ما شاء الله.

فمن سُنَّة الله تعالى في هذه الحياة الدنيا ألا يُمَكِّن أحدًا حتى يبتليه بالسراء أو الضراء، والفتن الظاهرة أو الباطنة، ولا يجعله في دعة وراحة، بل يرفعه بقدر نصبه وتعبه لله.

وهكذا ينبغي أن يكون أتباعهم، يبذلون أوقاتهم وأموالهم في

سبيل الله، وليتركوا الدعة وطلب الراحة، فلا وصول إلى القمم إلا بارتفاع الهمم إلى الدرجات العالية في الدنيا والآخرة، وذلك بالصدق مع الله والبذل والتضحية.

فلا تحزن حينما ترى الفتن تتابع وتنهمرُ من كل حدب وصوب، فهي بعلم الله وتقديره، لحكمٍ عظيمة وغايات حميدة، لا تصل إليها بذكائك وعلمك، فَكِل أمرها لبارئها ومقدّرها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «كثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغيّر كثير من أحوال أهل الإسلام جزع وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات». [مجموع الفتاوى ١٧/ ١٩٥]

فاجعل شغلك الشاغل: العبادة والدّعوة إلى الله والإصلاح ما استطعت.

❁ أتدري ما هو خير وأوسع ما أَعْطاه الله وَوَهَبَه لك؟

قال النبي ﷺ: **«ما أُعطي أحدُ عطًاء خيرًا وأوسع من الصبر»**.

حتى قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «لو علم العبد الكنز الذي تحت هذه الأحرف الثلاثة (الصبر) لما تخلّف عنه.

فالصبر سبب في حصول كل كمال، فأكمل الخلق أصبرهم، ولم يتخلف عن أحد كمالُه الممكن إلا من ضعف صبره».

❁ العاقل الحكيم لا يُعرف إلا عند حلول المصائب التي تطيش منها عقول الجهال والحمقى.

فكن عند المصائب والخلافات في غاية الحلم والأناة والصبر، واحذر من الطيش والعجلة؛ فإنها تؤدي إلى المفاسد والأضرار الفظيعة.

وأقرب طريق للتحلي بالحلم:

١ ـ الْتماس الأعذار.

٢ ـ تهوين المصيبة والمشكلة مهما عظمت.

❁ يا من تشكو ضعف الهمة وفتور العزيمة: اجمع قواك على العزيمة فيما تصبو إليه، واثبت على هذه القوة والإصرار مُدَّة يسيرة من الزمن قد لا تتجاوز أيامًا: وسوف ترى العجب العجاب في تغير همتك وإرادتك نحو الأفضل، وستلاحظ في نفسك نشاطًا لم تعهده.

واعلم أن ملاك ذلك كلّه الصبر، وإنما النصر مع الصبر.

❁ في الصحيحين قال النبي ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» وهذا يشمل الصبر على إحسان الظن بالله وعدم الحزن واليأس عند سماع ما يؤلم من مصاب الأمة.

❁ عندما يستفزّك أحدٌ فتذكر وصية الله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم: ٦٠]؛ أي: لا يحملنك أعداؤُك على الخفّة والقلق وترك الصبر.

والخفيف يهتزّ ويضطرب عند أدنى تأثير ومكدّر، وخاصةً إذا رأى العاقل عنادَ من يرشده إلى الصلاح، وذلك مما يستفزّ غضب الحليم، فيكون خفيف العقل قليل الصبر.

❁ من أفضل طرق اكتساب خلق الحلم والصبر: تحمل سوء تعامل الناس، وعدم هجرهم لأجل ذلك.

فإذا كان لك جار أو زميل في العمل فيه حدة أو عبوس، فقابله بالترحيب والبشاشة، ولو لم يقابلك إلا بالعبوس والبرود، فمن السهل أن تجتنب لقاءه، أو تعامله بمثل ما يعاملك، ولكن انظر للأمر من

زاوية إيجابيه، فقد تظفر بجانب كبير من الصبر والحلم بسببه.

۞ لن تكون إمامًا في الدين يُقتدى بك حتى تمتلك الصبر واليقين. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

والصبر: هو الإرادة الراسخة في القلب، التي تغلب بها هواك وحظوظ نفسك.

واليقين: هو اعتقاد راسخ بصدقِ ما وعد به الله تعالى وأخبر به على لسان رسوله ﷺ.

۞ **تأمل أيها المبتلى:**

إذَا أَبْقت الدُّنْيا علَى الْمرْءِ دينَهُ ... فَما فاتهُ مِنْها فلَيْسَ بِضائِر

فَلم يرْضَ بالدُّنْيا ثَوابًا لِمُؤْمِنٍ ... ولَم يرْضَ بالدُّنيا عقابًا لِكافرِ

۞ **تأمل طويلًا:**

أُدخل الإمام أحمد رحمه الله على الخليفة فأُجلس بين يديه، فقال لأبي عبد الرحمٰن صاحب الشافعي ـ بكل طمأنينة ورباطة جأش ـ: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟

فقال ابن أبي دؤاد المعتزلي: هو ذا يقدم لضرب عنقه يناظر في الفقه!

المؤمن يزداد ثباتًا وعزّة عند الابتلاء.

اللهم زدنا ثباتًا ويقينًا.

۞ من لطف الله الحكيم الخبير أنه يبتلينا بالأمراض؛ لنرجع إليه، ولينتزع من قلوبنا الكبر والغرور.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**من يُرِد الله بِه خيرًا يُصب منه**»، وقد كان السلف الصالح لا يجزعون من المصائب والأمراض؛ لأنهم يعلمون أنها بتقدير الله تعالى، وأنها كفارة لسيئاتهم، ورفعة في درجاتهم.

۞ **إلى كل مبتلى:** المصيبة ما جاءت لتهلكك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، فيتبين حينئذ هل تصلح لأن تكون من أولياء الله أم لا؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه بشكره وشغل لسانه بقوله: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

۞ النعم والمصائب أضياف كرام، ومن واجبك تجاه أضيافك أن تُحسن ضيافتهم.

فضيافة النعم الشكر.

وضيافة المصائب الصبر.

ولن يرحلوا عنك إلا وقد كافؤوك مكافأةً معجّلة:

- الزيادة في النعم.
- الرضا بالله، والأنس به والطمأنينة والسكينة.

ومؤجّلة:

- الجنان العالية في الدار الآخرة.

فكن صابرًا شاكرًا.

۞ **كما أنّ الشجاعة صبرُ ساعة، فكذلك الحلمُ صبرُ ساعة.**

وذلك بمنع نفسك من الانتقام والردّ العنيف أثناء الغضب.

ومع التوكل على الله ثم التدرب يسهل عليك ذلك.

۞ والله لو علمت ما خبّأه الله لك من الألطاف والخيرات والأجور، فيما يقدِّره عليك من المحن والمصائب التي ضاق صدرك منها، وحزنت لأجلها: لانقلب حزنك فرحًا، وخوفك أمنًا، ولأيْقنت أن الله:

١ ـ لطيفٌ بعباده.

٢ ـ حكيمٌ في أفعاله.

٣ ـ برٌّ رؤوفٌ رحيم بأوليائه.

۞ العافية تستر في الناس:

البر والفاجر.

والمؤمن والمنافق.

والحكيم والأحمق.

والصديق المخلص والمزيّف.

فإذا نزل البلاء تبيَّن عنده الرجال الأفذاذ، وفاح عبير الصادقين والمخلصين، وظهرت آثارهم الحميدة، وبان زيف المنافقين والمزيفين.

فما أحكم الله الذي يبتلينا بالشدائد ليتميّز هؤلاء ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

۞ من الحكمة أنْ تسكت عن إبداء رأيك أحيانًا، فالنبي ﷺ أمسك عن أمورٍ صائبة كإعادةِ بناءِ الكعبة وقتلِ المنافقين، فما بالك برأيٍ يقبل الأخذ والردّ؟

۞ حِكَم نافعة، احفظها واعمل بها:

١ ـ لا تجادل حكيمًا ولا سفيهًا؛ فإن الحكيم يغلبك والسفيه يؤذيك.

٢ ـ من جادل العقلاء قلّت كرامته.

٣ ـ عندما تلوح لك لذّة عاجلة فدع العقل يتلمَّح عواقبها.

٤ ـ قيمة كل إنسان ما يطلب.

٥ ـ استشر ثم خطط ثم ابدأ ثم نظم ثم تدرج.

٦ ـ من آثر الله على غيره آثَره الله على غيره.

۞ غالب كلام الناس وتصرفاتهم لا تستحق أن تَغضب لها وتقف عندها، وجلّها ردود أفعال وقتية تنتهي بانتهاء الموقف، فلا تُطل أمدها ولا تُكبّر حجمها.

ولو أعرضت عنها في وقتها لطارت كل هذه الأقوال والأفعال السيئة والمؤذية في الهواء كما يطير ورق الشجر اليابس عند هبوب الريح القوية حتى يختفي.

۞ لا يلزم أن يكون لك موقف أو رأي أو كلمة فيما يُذاع ويُنشر، أو فيما يكون بين أقاربك أو أصدقائك.

وإذا كان لك رأي فلا تتعجل في طرحه، إلا بعد يقينك بصواب رأيك والوقت المناسب لطرحه.

وما ندمت يومًا على تأخري في إبداء رأيي وإعلان موقفي، ولكني ندمت على استعجالي مرارًا.

۞ زنِ الأمور بميزان الشرع والعقل تُفلح.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الإنسان يجب أن ينظر إلى الأمور بمقياس

الشرع والعقل، لا بمقياس العاطفة العمياء؛ لأنه ما ضرَّ المسلمين حتى في عهد الصحابة رضي الله عنهم إلا العاطفة العمياء.

ما الذي أوجب للخوارج أن يخرجوا إلا العاطفة العمياء؟

[الشرح الممتع ١٠/ ٦٠]

❁ قال الإمام مالك رحمه الله ـ قبل أكثر من ألف ومائتي سنة! ـ: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف! [جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٣١]

فماذا نقول في هذا الزمان!

❁ محاسن الأخلاق أفضل ما وهبه الله لك بعد الإيمان، فاحرص على اكتسابها.

وقد تأملت في الحكمة من كونها أثقل ما يُوضع في الميزان، فإذا هي لأجل ثقلها على النفس في الدنيا، والجزاء من جنس العمل.

ولعظم أثرها عليك وعلى غيرك.

فبالأخلاق تصفو النفوس، وتجتمع الكلمة، وتقوى الأمة، وترتقي في قيمها.

❁ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: لو جُمعت عقول جميع العقلاء لم يُدركوا غاية حكمة الله. [جامع المسائل ٧/ ٣٩٢]

فسلّم يا أخي أمْرَكَ لله، وثِق بشرع الله وتمسك به، ولو لم تدرك الحكمة في بعض ما جاء فيه، وكن على يقين أن هناك حِكمًا مبهرةً غابت عنك، ولا يصح إيمانك إلا بالتسليم للرب العظيم، ولو لم تعلم الحكمة قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

۞ من الحكمة والعقل والدين: اختيارُ أحسن العبارات، وملاطفة الناس بأرقّ وألين الكلام.

قال الله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقد أحسن القائل:

تقول هذا مُجاج النحل تمدحه ... وإن ذممْت فقلْ قَيء الزنانير
ذمٌّ ومدحٌ وما جاوزت حدّهما ... حُسنُ الكلام يرُي الظلماءَ كالنور

المجاج: الريق.

۞ **الحكمة لها خمسة أركان:**

١ ـ معرفة الحق.

٢ ـ اعتقاده.

٣ ـ قوله.

٤ ـ فعله.

٥ ـ اختيار الوقت المناسب لقول الحق وفعله.

فليس الجاهل حكيمًا.

ولا من عرف الحق ولم يعتقده كالمنافق.

ولا من اعتقده ولم يجهر به ويدعو إليه.

ولا من دعا إليه ولم يفعله.

ولا من قاله وفعله في وقت غير مناسب.

فكل من قال الحق أو فعله وترتب عليه مضرّة فليس قوله ولا فعله من الحكمة في شيء، ويُذمّ ولا يُمدح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر مستلزمًا من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعًا. [الاستقامة: ٢٤١]

اللهم ارزقنا الحكمة، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقد قال الله تعالى مبيّنًا مكانة وفضل الحكمة: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٩، ٤٠].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه المناظرة بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتّى بالحكمة والعلم ما لا يتأتّى بالقوة. [التحرير والتنوير ١٩/ ٢٧١]

❁ مِن الحكمة ألا تُجادل صاحب الباطل، بل تذكر الحق بدليله، فإنْ جادلك فاسْكت؛ لأنّ غرضَه الإثارةُ والثّرثرةُ وتضييعُ الوقت.

قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أكون في المجلس ليس فيه مَنْ يعرف السّنّة غيري، فيتكلم مبتدع فيه، أردّ عليه؟ فقال: «لا تَنْصب نفسك لهذا، أخبره بالسّنّة ولا تخاصم».

❁ تَحكَّمْ في ردّك مهما كان عِظَم الموقف أو اسْتفزازِ الْمُستفزّ، ومتى هَدَأَ الموقف: فكّر بالرَّد المناسب.

فردودُ الأفعال والأقوال دليلُ عقول الرجال.



الثناء والمدح

۞ من أعظم نعم الله عليك: أن تكون محبوبًا عند الناس.

قال النبي ﷺ في الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**».

قال النووي رحمه الله: هذه البشرى المعجّلة دليل على رضا الله عنه ومحبته له فيحبّبه إلى الخلق.

وقال الجاحظ رحمه الله: ما أعلم نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحًا.

۞ كم هي المواهب والطَّاقاتُ التي يمتلكُها شبابُنا وأبناؤُنا، ونحن نمتلك إحياءها وإخراجها بتشجيعنا لهم، فلا تبخل بالثناء عليهم وتشجيعهم.

۞ أيها المربي والمعلم اشكر طلابك وأبناءك إذا رأيت منهم أخلاقًا حسنة وأعمالًا صالحة.

وعندما ترى صاحبَ همّة وإبداع فبادر إلى تحفيزه وشكره والثناء عليه، فإنه في أمس الحاجة إلى ذلك، وستكون عونًا له على مزيدٍ من الجدّ والإبداع، وإذا كبر سيسمع ذلك من غيرك.

وربما رأى سكوتك حينها وعدم اهتمامك به نوعَ خذلان أو حسد له.

۞ لا أعلم لماذا لا يتفاعل ذاك المعلم أو ذاك الشيخ مع تلميذه الذي أصبح نجيبًا، ولا يُسمعه عبارات الثناء والتحفيز.

ولو علم عنه عملًا عظيمًا قام به فإنه لا يحفل به.

وإذا قابله لا يُبدي له فرحه بما سمعه عنه.

إني لم أستطع فهم سبب ذلك: إن أحسنتُ الظنَّ قلتُ: عدمَ مبالاة، وإنْ أسأتُ الظنَّ قلتُ: حسدًا، عافانا الله من ذلك.

۞ فرق كبير بين نقد الناصح وبين نقد الجارح.

انتقاد الناصح: هو الذي يرى الجوانب المشرقة فيك، ويحب أن يزيدك إشراقًا بتنبيهك على عيبٍ فيك أو في قولك أو عملك، ويكون خفية لا علانية.

وأما نقد الجارح: فهو الذي لا يرى فيك جانبًا مشرقًا، فيقذف بحمم الانتقاد اللاذع ليجرحك ويثبطك، أو ينتقدك علانية.

۞ إنّ إشاعة خلق الثناء والشكر على المعروف في المجتمع:

يرفع مجد الأمم، ويُغذي الشيم، ويكسب الثقة، ويكافئ الرجال، ويصنع القادة والأبطال، ويزرع الحب والمودة بين الناس، وينزع من الصدور الغل والحقد والكراهية.

إن الثناء ليُحيي عزم صاحبه   كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لِيكن الثناء والتحفيز خُلُقًا لك.

۞ **قال الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لابأس أن يحب الرجل أن يُثنى عليه صالحًا ويُرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله».

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة».

وقد قال النبي ﷺ فيمن عمل خيرًا فأثنى الناس عليه: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**».

۞ ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن من هدي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «ترك الإطراء والمدح وإن كان حقًّا؛ محاسبة منهم لأنفسهم على ألفاظهم، واكتفاء بما يُعلم من فضائل الرجل عن المدح الذي يخُاف منه الفتنة على المادح والممدوح»

ليتنا نسير على هديهم بترك تفخيم الناس، وتفخيمهم من أعظم أسباب تكبرهم وغرورهم.



الصداقة والصحبة الصالحة

۞ بركة الصحبة الصالحة في الآخرة:

تأمل في تأكيد الله للنبي ﷺ بمجالسة الصالحين في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فقد أمره بالصبر على مجالستهم، ونهاه أن تعدو عيناه عنهم؛ أي: لا يُجاوزهم إلى غيرهم، ولا يطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة، وأخبره أنْ تركهم يدلّ على أنه يريد زينة الحياة الدنيا، ونهاه عن ضدّ هذه الصحبة، وهم كلّ من كان غافلًا عن الدين باشتغاله بالدنيا، واتّبع هواه، وكانت أعماله وأفعاله سفهًا وتفريطًا وضياعًا.

ولا تقتصر بركة صحبة الصالحين في الدنيا فقط، بل تعمّ بركتُهم حتى في الآخرة، فقد ثبت في صحيح مسلم[١] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق** ـ أي: في استيفاء حقه من خصمه والمتعدي عليه ـ **مِن المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم**».

---

(١) (١٨٣).

ومن أعظم ثمار القرب من الصحبة الصالحة الناصحة: أنهم عون على الطاعات والقربات والذكر وصلاح القلب، وقد علّل موسى ﷺ طلبه من الله في أن يبعث أخاه هارون معه نبيًّا، ويجعله وزيرًا معه بقوله: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه: ٣٣، ٣٤]، فهذا دليل على أنّ الصديق والأخ الصالح العالم الناصح من أعوان المسلم على الخير، وعلى زيادةِ نشاطه، ورفع همّتِه، وطرد الكسل والسآمة عنه.

۞ أركان الصداقة:

١ ـ التضحية لأجل الصّديق فيما لا ضرر فيه ولا محذور فيه شرعًا وعرفًا.

٢ ـ وتلمّس حاجاته وما يحبّ.

٣ ـ وتقديم رغبته في صحبتك له في السفر والنزهة على رغبتك في الدّعة أو القيام بالأشغال اليسيرة غير الضرورية التي يمكن تأجيلها:

هذه الثلاثة هي من أعظم أركان الصداقة.

ومن لم يحققها كلّها فلا يتبجح بأنه صديق.

۞ ما أجمل أن يُعامل الصديق صديقه كما كان يُعامل الشيخ العابد إبراهيم بن عبد الواحد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصدقاءه، فقد كان مَنْ صاحَبه لا يرى منه شيئًا يكرهه قط.

وكلما طالت صحبته ازداد بِشْره، ورأى منه ما يسره، وهذا شيء عظيم. [ذيل طبقات الحنابلة ٣/ ٢٠٣]

فكن بشوشًا مع صديقك، خادمًا له، باحثًا عمَّا يرضيه ويؤنسه.

۞ من أنفس وأندر المكاسب، ولو حزت الدنيا كلها بدونه كانت ناقصة: الصديق المخلص الوفي.

الذي يبحث عن رضاك، ويسارع إلى لقاك، ويُقربك إلى مولاك، ويستر عيبك، ويلتمس عذرك، ويتحاشى سخطك، ومع هذا فهو رهن إشارتك.

والصداقة مراتب، وهذه أعلاها.

ما في زمانك من يعزّ وجوده إن رمته إلا صديقٌ مخلص

۞ يربطك بالصديق الذي أحببته في الله رابطان:

١ ـ الحب في الله، وهو محبتك له لأجل ما يظهر لك من صلاحه وتقواه.

٢ ـ الصداقة، وهي توثيق العلاقة لتوافق الأرواح وتقارب الأمزجة.

ومتى انحل رابط الصداقة فلا يجوز أن ينحل رابط المحبة لأنها لله.

والصداقة قد يعتريها الفتور بخلاف الحب في الله.

وفتورك في لقائك وجلوسك معه يجب أن لا يؤثر على حبك له في الله.

۞ ما أجمل أن ترفع السماعة على مَن بخاطرك شيء عليه، فتسمع وجهة نظره، ويتّضح اللّبس، حينها تزول الوحشة من قلبك، وتتلاشى الظنون السيّئة من فؤادك، وتجاوز حبائل إبليس.

۞ ما أبغض وأشنع المتقلب: صالحٌ إنْ صاحب الصالحين، وطالحٌ إنْ صاحب الطالحين:

أخو الجدّ إنْ جدّ الرّجال وشمّروا وذو باطلٍ إنْ كان في القوم باطلُ

۞ شرّف الله تعالى أصحاب الكهف فذكرهم في كتابه، وحينما

صحبهم كلب دخل معهم في هذا الذكر ﴿وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: ١٨].

فإذا كان قد نال شرف الذكر بصحبته ومخالطته الصالحين فما ظنك بالمؤمنين المحبين لهم؟

جالس الصالحين وتزوج امرأةً صالحةً، وتزوجي ـ أختي المسلمة ـ رجلًا صالحًا؛ لنيلِ وتحصيلِ بركتهم في الدنيا والآخرة.

۞ مِن أعدى أعدائك: الذي يُجاملك ويُخفي عُيوبك مُراعاةً لمشاعرك!

وقد رمى بك في تيهاء مهلكةٍ مَن بات يكتمك العيبَ الذي فيكا

۞ لا تحكم على أحد أنه صديق، ولا تُخلصْ له وُدّك وحُبّك حتى تُجرّبه في أربعة أمور أو بعضها: في السفر، والخصومة، والضيق، وكثرة العشرة والمخالطة.

۞ استطاع الإنسان أن يَجعل الأسد الشرس صديقًا لطيفًا، أما تستطيع أن تكسب ولدك أو زوجك أو زميلك العنيد وتجعله حبيبًا قريبًا؟

۞ اصبر على صديقك وزوجتك وجارك ما دامت عيوبه مغمورة في بحار فضائله.

جاء رجل إلى عالم يشاوره في الانتقال من مكان إلى آخر لتأذيه بجاره، فقال: العرب تقول: صبرك على أذى من تعرفه خير لك من اسْتحداث من لا تعرفه.

وكان ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول هذا المعنى أيضًا. [الآداب الشرعية ١٤/٢]

۞ أصدقاؤك الذين تجاملهم وتُفرحهم على حساب دينك وبرّ والديك سينقلبون أعداء لك ويتبرؤون منك ويلعنونك.

اسمع إلى قول ربك: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

۞ ما أضرَّ على المؤمن من كثرة خلطته للأصدقاء، ومجادلته للمخالفين له، وما أجمل ما قيل: لا تذهب بكم الأزمان في:

١ ـ مصاولة الأقران؛ أي: مجادلة المخالفين لك في الرأي، والانشغال بالردود عليهم، ومنافستِهم، مما يقسي القلب، ويضيع الوقت.

٢ ـ ومواصلة الإخوان؛ أي: كثرة مجالسة الأصدقاء، والانشغال بهم عما هو أولى وأنفع.

فلا تضيع عمرك فيما لا منفعة لك فيه، ولا تنشغل عما خُلقت لأجله.

۞ تجاوز عن زلّات صديقك:

ومن لا يغمّض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبُ
ومن يتَتَبَّعْ جاهدًا كلّ عثرةٍ ... يَجِدْها ولم يسلم له الدهر صاحبُ



وصايا للنساء والأزواج

۞ قرر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وجوب طاعة الزوجة لزوجها وقال: كل طاعة كانت للوالدين انتقلت إلى الزوج ولم يبق للأبوين عليها طاعة.

تلك وجبت بالأرحام وهذه بالعهود.

۞ أختي المسلمة الكريمة: لقد رأيت النساء اللاتي بالَغْن في التجمل وإبراز المفاتن هنّ من أكثر الناس إصابةً بالعين والحسد والمسّ، حفظك الله من ذلك، فليس والله من الحكمة ولا من العقل ولا من الدّين لبسك هذه الألبسة المحرمة الفاتنة الفاضحة، حتى ولو رأيتِ تساهل بعض النساء في ذلك.

وقد حضرت قارئًا يقرأ على امرأة فيها مسّ، فصرخ الجني وقال: «سحرني جمالها، وقد فتَنَتْني»، فالجن يعشقون، والعاقلة لا تُبالغ في إظهار زينتها وجمالها.

ولا يجوز للمرأة أن تلبس الضيق الذي يبيِّن ويوضِّح الأعضاء ويبرز مفاتن الجسم، أو الشفاف الذي يشف ويصف ما تحته مما لا يجوز كشفه، أو القصير، سواء كان ذلك أمام محارمها من الرجال ـ سوى زوجها ـ أو أمام النساء؛ لأنّ النبي ﷺ ذكر صنفين من أهل النار، وذكر منهما: «**نساء كاسيات عاريات، مُمِيلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها**». رواه مسلم.

وهذا ـ والله أعلم ـ عام في حق كل من تتساهل وتلبس هذا

اللباس، وتظهر به أمام محارمها، وأما أمام غير محارمها فالأمر أشد وأشنع، أو أمام عامة النساء.

أسأل الله تعالى أن يجمعكِ في جنة النعيم مع أهلك وأحبابك، ومع: خديجة وعائشة وفاطمة ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم ـ رضي الله عنهن ـ، ومع جميع النساء المؤمنات الصالحات التقيات العفيفات.

۞ يعيب بعض الجهلاء على الرجل الذي يسعى في إرضاء زوجته!

وما علم أنّ هذا دليلٌ على كريم طبعه وجميل خُلقه ولين جانبه ورجاحة عقله.

فهذا رسول الله ﷺ كان يبتغي مرضاة أزواجه.

فيا أيها الرجل: ابحث عما يُرضي زوجتك ويطيّب خاطرها.

وتنازل عن رأيك لرأيها، ما لم يكن في ذلك ضرر في دينك أو دنياك.

۞ الإنسان كلما كثر أولاده وكثرت أشغاله احتاج لكمية أكثر من الثناء والكلام الطيب، وخاصة من قِبل الزوجة، وحينما غفلت بعض الزوجات عن ذلك لجأ الأزواج للتعدد؛ ليظفروا بامرأة تعوضهم النقص العاطفي الذي حُرموه من زوجاتهم.

۞ نصيحة لكل امرأة يلتهب صدرها بجحيم الغيرة من ضرتها، ولكل من احترق قلبه بنار الحسد أو الكراهة لمن آذاه: أكثروا من الدعاء لمن تُبغضون وتكرهون ذكرهم كلما ذكرتموهم.

فوالله إن صدقتم في الدعاء ليملأن الله قلوبكم انشراحًا وسعادة، وليُذهبنّ عنكم ما تجدون من العداوة والألم.

۞ نصيحة للزوجة الثانية: إياك أن تفكري في أن ينصرف إليك زوجك ويترك الأولى، أو يميل إليك على حسابها، فإنّ هذا من المكر السيئ الذي سيعود عليك أثره يومًا ما.

وما أسرع ما يُجازيك الله على فعلك الشنيع في الدنيا قبل الآخرة.

ومتى ما رأيتِ من زوجك ظلمًا فانصحيه وكوني عونًا له على نفسه.

۞ أربعة أمور لا تحتملها الزوجة من زوجها ولا تصبر عليها:

١ ـ إهانتها وخاصة أمام الآخرين.

٢ ـ البخل عليها وعلى أولادها.

٣ ـ عدم الثقة بها، والشك في شرفها وعفتها، وحرمانها من الذهاب لحاجاتها من أجل ذلك.

٤ ـ كثرة تنقّصها، وتفضيل غيرها عليها وخاصّة ضرّتها.

فاحذرها أيها الزوج واتق الله في زوجتك.

۞ أيتها الزوجة:

تواترت نصوص الشريعة بتقديم حق الزوج على ما سواه من الحقوق والواجبات بما في ذلك حقوق الوالدين.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس للمرأة أن تخرج من منزله إلا بإذنه، سواء أمرها أبوها أو أمها باتفاق الأئمة».

والزوجة التقية لا تقصر في حق زوجها ولا تكدّر خاطره، ما لم يكن ظالمًا متسلطًا.

۞ قال النبي ﷺ: «**الحمو الموت**»؛ أي: الخوف من الحمو ـ أي قريب الزوج كأخيه وعمه ـ أكثر من غيره، والشر يتوقع منه؛ لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه.

ومن انتهك أعراض الناس فالغالب أن الله يبتليه بمن ينتهك عرضه.

۞ ثلاثة أمور لا يحتملها الزوج من زوجته ولا يصبر عليها فاحذريها:

١ ـ رفع الصوت عليه.

٢ ـ التكبر ورؤية النفس؛ كالردّ عليه إذا غضب، والْمُكابرة وعدم الاعتذار.

٣ ـ فقدانه للحب والمودة، وشعوره بعدم المبالاة به.

حينها يبدأ بتدبير أمورِه وبذلِ الأسباب للبحث عن زوجةٍ أخرى مناسبة.

۞ قاعدة مهمة للزوجين:

لو بذل الزوج كثيرًا من الجهد والوقت في تغيير طباع وأخلاق زوجته، وكذلك الزوجة مع زوجها: فلن يحصدا إلا القدر اليسير من النتائج الإيجابيّة.

ولكن من أراد الطريق المختصر فعليه أن يغير طباعه السيّئة، فسيرى أن شريكه سيتغير تغيُّرًا تلقائيًا.

فلن تتغيّر حياتُك الزوجيّة إلى الأحسن والأفضل حتى تبدأ بنفسك فتغيّرها وتهذّبها.

۞ إنّ المرأة حينما يكثر أولادها وتكثر أشغالها تحتاج إلى كمية أكثر من العطف والكلام اللين.

وحينما يغفل الزوج عن ذلك: تجفّ عاطفة زوجته، ويظن أن العيب منها، والواقع أن العيب منه.

فكن كريما وأشبع زوجتك حنانًا وكلامًا رقيقًا.

۞ **أيها المعدد:** ربما تواجه تعنّتا من زوجتك الأولى، وتغيُّرًا للأسوأ في تعاملها وأخلاقها، وكثرةً في العتاب واللوم، فإياك أن تردّ عليها بعنف أو تغضب منها، بل كن حليمًا واعذرها في هذه الحالة التي اشتدت فيها غيرتها وغاب عنها عقلها وعزب عنها رشدها.

فإن لم تعذرها في هذه الحالة فمتى تعذرها؟

۞ **أختي الفتاة:**

إذا تقدّم لك من ترضين خُلقه ودينه فاقْبليه.

فقد لا يتقدّم لك مثله وقد لا يتقدم لك أحد..

فقطار الزواج كثيرًا ما يفوت.

ولا تجعلي وظيفته وشكله مقدّمًا على دينه وخلقه.

فلا يُحصى من عاشت بضيق ونكد مع زوج غنيّ جميل.

ولا أعلم من عاشت كذلك مع زوج فقير لكنه صالح في دينه وخُلقه.

۞ نصيحة لفتاة تجاوزت سنّ الثلاثين أو ابتُليت بمرض أو انعدام الجمال:

لا ترددي ولا تتأخري بقبول من ترضين خُلقه ودينه ولو كان معدّدًا.

فليس من عيوب الرجل كونه معدّدًا.

وزواجك منه خير ـ والله ـ من أن تظلي طول حياتك عزباء وحيدة.

فحياة الوحدة عذاب.

وما أكثر من عاشت أحسن حياتها مع زوج معدّد.



الفقه والأحكام

۞ وقوف الناس انتظارًا لصلاة الجنازة والإمام يصلي الفرض خطأ، لقول النبيّ ﷺ: «**صل الصلاة لوقتها، ثم اذهب لحاجتك، فإن أقيمت الصلاة وأنت في المسجد فصل**». رواه مسلم.

۞ أفتى العلماء ـ وحُكي إجماعًا ـ بتحريم أخذ الأجرة على الكفالة والضمان، مثاله: لو طلب منك أحد أن تكفله، فاشترطْتَ عليه مبلغًا من المال مقابل كفالتك.

۞ كثرة المنع والتحريم احتياطًا لا قيمة له ولا فخر لمن أفتى به.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: العلم عندنا الرُّخَص عن الثقات، أما التشديد فكل إنسان يُحسنه.

۞ لا يوجد مسألة يتفق الإجماع عليها إلا وفيها نصّ.. وأما مسألة مجردة اتفقوا على أنه لا يُستدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذا ما لا أعرفه. ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ إذا أعطى الإنسان زكاته إلى مستحقها فإن كان يرفض الزكاة فيجب أن يخبره أنها زكاة، وإن كان من عادته أن يأخذها فينبغي ألا يخبره. ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ **الغناء**: يورث القلب نفاقًا، ويدعو إلى الزنى، ويصد القلب عن ما أُمر به، فيدعو إلى السيئات، وينهى عن الحسنات، مع أنه لا فائدة فيه. ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ تكلم الفقهاء فيمن صلى بالوضوء الأول هل يستحب له التجديد؟ والقول باستحباب هذا يحتاج إلى دليل.

وأما من لم يصل به فتجديد الوضوء بدعة. [مجموع فتوى ابن تيمية رحمه الله]

۞ لا يقدر أحد قط أن ينقل عن النبي ﷺ أنه كان يأمر أصحابه بالوضوء من مس النساء، ولا من مس النجاسات الخارجة؛ لعموم البلوى بذلك. [مجموع فتوى ابن تيمية رحمه الله ٢٠/ ٥٢٥]

۞ **من فضائل الوضوء:**

١ ـ (غفر له ما تقدم من ذنبه).

٢ ـ (خرجت خطاياه من جسده حتى يخرج نقيًّا من الذنوب).

٣ ـ فإن صلى بعده ركعتين بخشوع: (خرج من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه). رواها كلها مسلم.

٤ ـ محبة الله له (ويحب المتطهرين).

فاحرص على استشعار هذه الفضائل عند وضوئك، ولا تشغل فكرك في غير ذلك.

۞ الصبي الأمرد المليح بمنزلة المرأة الأجنبية في كثير من الأمور، ولا يجوز النظر إليه على وجه اللذة باتفاق، وإنما ينظر إليه لحاجة بلا ريبة. ابن تيمية رحمه الله.

۞ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: كثرة الطواف مستحب مأمور به لا سيما للقادمين، فإنّ جمهور العلماء على أن طوافهم بالبيت أفضلُ لهم من الصلاة بالمسجد الحرام.

۞ من تيسير الله أنه لم يُوجب في غسل الجنابة نقض الشعر، بل

«يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات» كما في صحيح مسلم.

أي: ثلاث غرفات بيديها فقط وهو يسير.

۞ التطرف مصطلح قديم، وليس خاصًّا بالمعتقد والفكر، بل يشمل التطرف الفقهي.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكثيرًا ما قد يغلط بعض المتطرّفين من الفقهاء. [مجموع الفتاوى ٣١/ ١١٤]

۞ أفتى ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله وغيرهما بجواز الاسْتحمام بالأطعمة كالعسل للحاجة، ولا يكون لها حينها صفة النعمة، حيث لا يُنتفع بها ولا يُستفاد منها بعد الاستحمام مثلًا.

۞ **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته، ولذلك استحب الأئمة أن يدع الإمام ما هو أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين.

۞ **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سرّ الشريعة: أن الفعل إذا اشتمل على مفسدة: مُنع منه، إلا إذا عارضها مصلحةٌ راجحة، كما في إباحة الميتة للمضطر. [مجموع الفتاوى ٩/ ٤٨٣]



المساجد وأئمتها

۞ **أخي إمام المسجد:** إنك في وظيفة عظيمة تقوم من خلالها بوظيفة الأنبياء عليهم السلام وهي: الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالاته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبر قراءة كتاب بعد صلاة العصر أو العشاء في أقل من خمس دقائق فقط.

وأنت مُطالبٌ بهذا شرعًا، ونظامًا، فبادر لتسلم وتغنم، ولا تفرط فتندم.

۞ ينبغي على الأئمة في التراويح أن يُعطوا المأمومين فرصة لقراءة دعاء الاستفتاح والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير، وأن يتمهّلوا في بقية الأركان.

۞ ينبغي للإمام أن تكون صلاتُه متقاربةً مُعتدلة، فإذا أطال القراءة فلْيطل بقية الأركان، ولا فرق في ذلك بين أول الليل أو آخره.

۞ هدي النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح قصر خطب الجمعة والأعياد، ولا خير إلا في التمسك بهديهم.

۞ القنوت في صلاة الجمعة لا يُستحب عند أكثر العلماء؛ اكتفاءً بالدعاء في الخطبة، ولأنه لم يرد عنه ﷺ أنه قنت فيه، وهو قول المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

۞ يا خطيب الجمعة: اقرأ هذا الكلام:

أبلغ الخطب ليس الذي يحشد فيه الخطيب أبلغ الجمَل ويسوق فيه أروع الشواهد.

أبلغ الخطب ما قلتَ فيه الحقيقة التي تدخل قلب السامع فيؤمن بها ويصدقها ويقول لك صدقت.

على أن توقد تحتها نار العاطفة، لا أن تعرضها باردة تخاطب العقل ولكن لاتحرك القلب.

الأديب الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ تنبيه مهم من خطيب وكاتب خبير مؤثر:

(إن دروس مدرسي الدين، وخطب خطباء المساجد، ومواعظ الوعاظ، لا تبلغ من نفوس الناس غالبًا مبلغها المرجو منها، لأنها تأتي بعيدة عن الحياة، منفصلة عنها، فكأنها الآثار تقتنى للإعجاب بها، ولكنها لا تستعمل للاستفادة منها). الأديب الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ **أيها المؤذن:** طبّق السُّنَّة عند هطول المطر، أو وجود الوحل وقل: ألا صلوا في رحالِكم، بدلًا من الحيعلَتَيْن، فإنْ حضَر الناس فاجمع بهم أيها الإمام.

۞ في إجابة المؤذن خمس سنن:

أثناء الأذان قل:

١ ـ مثل ما يقول.

وبعد الأذان قل:

٢ ـ اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته.

٣ ـ رضيت بالله ربا وبمحمدٍ رسولًا وبالإسلام دينًا.

٤ ـ ثم صلّ على النبي ﷺ.

٥ ـ ثم ادع الله.

فهذه خمسة وعشرون سُنَّةً في اليوم والليلة لا يحافظ عليها إلا السَّابقون الموفَّقون.

۞ أخي المؤذن:

اختارك الله من بين الناس لترفع صوتك عاليًا بتكبير الله وتوحيده، ودَعْوَتهم إلى الصلاة خمس مرات كل يوم.

ويصل صوتك إلى الصغير والكبير، والرجل والمرأة، فيرددون معك نداءك.

فاستشعر عملك هذا العظيم، وتأمل في معاني الأذان وأنت تؤذن فهي عظيمة، وأخلص لله في أذانك.

أعرف من أذن يومًا فبكى؛ لأنه استشعر عظمة معاني الأذان.

۞ فرحتك وسعادتك وأنت تسابق خطاك إلى المسجد لها قدرها عند الله تعالى.

ولن ينسى ربك فرحك وسرورك وأنت متوجه لبيت من بيوته، في زمن فرح فيه كثير من الناس بدنياهم وشهواتهم.

هذه الفرحة التي خرجت من أعماق قلبك وأنت مقبل على المسجد يحبها الله، وقد يدخلك بسببها في رحمته، ويُحلّ عليك رضوانه.

۞ من الأخطاء الشائعة:

حينما يقنت الإمام ويختمه بالصلاة على النبي ﷺ يُنزل الإمام أو المأموم يديه!

وهذا خطأ لا يليق بمقام نبيّنا ﷺ.

بل ينبغي أن تُبقي يديك مرفوعة وتُؤَمّن أو تصلي عليه ﷺ.

اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك، وعلى آله وأزواجه وذريته.

اللهم أوْرِدنا حوضه وأقرّ أعيننا برؤيته.

۞ من أخطاء بعضِ المأمومين عند مجيئهم وقت الإقامة: وقوفهم وعدم المبادرة في أداء النافلة، بل يتوجهون بأنظارهم إلى المؤذن، ولسان حالهم: أقم الصلاة، وفي هذا تفويت لأجر النافلة، وإحراج للمؤذن، بل ينبغي أن يُصلوا النافلة، فإنْ أُقيمت الصلاة قطعوها ولهم أجر ما صلوا.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يبْتدرُون السّواري فيصلون إليها، لا يَرقبون هل جاء الإمامُ أم لا! هل قرُب موعد الإقامة أم لا! وذلك لِحرصهم على تحية المسجد.

۞ من الأخطاء المنتشرة: رفع بعض المأمومين صوته في قراءته ودعائه وتكبيرات الانتقال، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة في الصلاة**»، وفي ذلك تشويش وإرباك لمن هم بجواره.

۞ قال ابن عثيمين رحمه الله: بلغني أن بعض الأئمة يستفتحون في الركعتين الأوليين فقط ـ في صلاة التراويح ـ من أجل السرعة، سبحان الله! كيف لا تدعهم يستفتحون ويطمئنون في الصلاة؟!

۞ قول بعض الخطباء: «صلوا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبينا محمد»: غير صحيح، وقد حملهم عليه السجع، وليس النبي ﷺ هو ذات الرحمة. ابن عثيمين رحمه الله.

رمضان ومواسم الطاعات

۞ إن تجار الدنيا يترقبون المواسم التي فيها نماء أموالهم وزيادة دخلهم، وكذلك تجار الآخرة يترقبون المواسم التي فيها نماء أجورهم وزيادة ثواب أعمالهم.

وتجدهم يستبشرون بقدوم المواسم العظيمة المباركة؛ كعشر ذي الحجة، ورمضان، وليلة القدر وغيرها،

ويخططون لاستثمارها، فمنهم من يخطط لصيام ما تيسر من أيام عشر ذي الحجة، ومنهم من يخطط لختم القرآن، وقيام الليل ونحوها من العبادات فهنيئًا لهم.

۞ أخي الصائم: إنّ الله لم يختر لإنزاله كتابه إلا شهر رمضان..

ولم يدارس جبريل النبي ﷺ إلا في شهر رمضان..

فلا تنشغل بغير القرآن.

۞ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦]..

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]..

طلاب الآخرة يتنافسون في الأيام الليالي الفاضلة على قيام الليل، وقراءة القرآن، والاعتكاف، وصنوف العبادات، فسابق، وسارع، ونافس، واعمل، فأيامك معدودة، وعمرك قصير، والفرص لا تعوض.

۞ أقترح عليك ـ أختي المسلمة ـ لاستغلال ليالي رمضان:

١ ـ صلي مع بناتك في مكان واحد هادئ، فإنّ لهذا أثرًا عظيمًا في محبتهن للصلاة وأنسهنّ بها.

أعرف من صلى ببناته ـ وكان معذورًا في صلاته في بيته ـ فلم تترك إحدى بناته قيام الليل بعد ذلك.

٢ ـ ألقي عليهنّ درسًا قصيرًا في تدبّر القرآن أو تفسيره.

٣ ـ لا تنشغلي بغير الله، ولا يكن همّكِ إلا إدراك ليلة القدر.

۞ حري بكل من اجتهد في العبادة وتواطأت فيها جوارحه مع قلبه أن يجد حلاوة الإيمان، وحلاوة الإيمان توجد في عموم العبادات ومنها:

١ ـ تدبر القرآن.

٢ ـ الخشوع في الصلاة.

٣ ـ الدعاء ومناجاة الرب المجيب الرحيم.

فجدير بكل مسلم أن يتدارك مواسم الخيرات، فالأيام متعاقبة، والأعمار قصيرة.

۞ في رمضان ينشغل الناس في أيامه بالصيام والقيام، وتطمئن قلوبهم بسماع آيات القرآن، وبعضهم ينشغل بالغناء، فشتان والله بين الحالين.

حبّ الكتاب وحب ألحان الغنا   في قلب عبد ليس يجتمعان
يا لذة الفساق لستِ كلذة الـ   أبرار في عقل ولا قرآن

اللهم اجعلنا من أهل القرآن.

۞ **أخي المسلم:** أيام عشر ذي الحجة هي أعظم وأفضل أيام الدنيا، قال عنها النبي ﷺ: «**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه**»، رواه البخاري.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «عشر ذي الحجة أفضل من عشر رمضان، لياليه وأيامه، وكل عمل في عشر ذي الحجة فإنه أفضل من العمل في غيره».

فاملأ أوقاتك بتلاوة القرآن والصيام والصلاة والذكر.

۞ ليلة القدر أفضل ليالي العام على الإطلاق، والموفق من عرف قدرها وعظَّم شأنها، فأحياها بتلاوة كتاب الله والذكر والاستغفار والدعاء، يشكو إلى الله همّه وحزنه وفقره وحاجته.

وحريّ بمن هذا حاله أن يجيب الله دعاءه، ويغفر ذنوبه، ويرزقه حلاوةً وأنسًا في قلبه أفضلُ عنده من الدنيا وما عليها.

• كان نبينا ﷺ إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله بالطاعة، وأيقظ أهله بالقيام، إنها أيام الجد والعمل، وترك الخمول والكسل، إنها أيام فاضلة وليالٍ مباركة، كيف لا، وفيها أعظم وأفضل ليلة، وهي ليلة القدر، فلنجتهد فيها غاية الإجتهاد، فهي خاتمة شهر رمضان.

۞ شهر رمضان يجتمع فيه شرف الزمان وعبادة الصيام، وعلى المسلم الاجتهاد فيه بالدعاء، فسيبلّغك الله به آمالًا كنت تظنها أحلامًا.

كرر هذه الأدعية ولا تتركها ما حييت:

رب آتني في الدنيا حسنه وفي الآخرة حسنه وقني عذاب النار.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري.

اللهم اهدني وسددني وارزقني واغفر لي وبارك لي.

رب لا تزغ قلبي بعد أن هديتني.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي.

۞ **يوم العيد**: يوم المحبة والألفة، ونبذ الخلاف والخصومة، والصلة بين الأقارب، فيا أيها المتقاطعون، ذقتم مرارة الفراق فذوقوا حلاوة الوفاق، ذقتم جحيم الأحقاد فذوقوا نعيم العفو، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢]؟

تسامح وأبشر بما لا يخطر على بالك، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

۞ اعرف ليوم عرفة قدره ومكانته، فإنه لِشَرَفِه وفَضْلِه يكفر صيامُه السُّنَّة التي قبله والسُّنَّة التي بعده، وما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ﷻ ثم يباهي بأهل الموقف الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟

فصم هذا اليوم إذا لم تكن حاجًّا، وأكثِر فيه من قراءة القرآن والذكر والصلاة والعلم النافع.

۞ والله لو أن الأعمال الصالحة لها جِرم لرأيت ما يزن مثقالًا كالجبل في الأيام الفاضلة كعشر ذي الحجة، وليس ذلك بكثير على الكريم الجواد البرّ ذي الفضل العظيم.

ولقد أقسم الله بعشر ذي الحجة، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾، وأخبر نبينا ﷺ أن العمل الصالح فيها أفضل من غيرها ولو كان في رمضان، فاجتهد فيها بالصوم والذكر والقرآن والبر والإحسان.



الطاعة والعبادة

۞ **الشتاء:** الغنيمة الباردة للصالحين، وذلك لطول ليله، فيرسلون سهام الليل ـ أي الدعوات ـ لربهم التي حتمًا ستصيب، فيجدر بكل موفق أن لا يُفوت هذه الغنيمة والسعادة العظيمة!

۞ من يصلي في اليوم خمس مرات كيف يحزن؟

ومن يقرأ كلام الله كيف يسأم؟

ومن يؤمن بيوم الحساب كيف يَظْلم؟

ومن ربه شديد العقاب كيف يأمن؟

ومن ربه غفور رحيم كيف يقنط؟

ومن خُلق للعبادة كيف يغفل؟

ومن ربه قريب قادر كيف يشكو همّه إلى عاجز لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا

اللهم بصّرنا بعيوبنا يا ربّ.

۞ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: من كان له ورد ـ من قيام وقرآن وأذكار ـ فقطعه: خفت عليه أن يسلب حلاوة العبادة. [العقيدة للخلال: ١٢٦]

۞ الله تعالى إنما خلقك لعبادته وتوحيده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وخلق ما في الأرض لأجلك، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

فلا تنشغل بما خلقه لك عما خلقك من أجله.

۞ مرتبة العبودية مرتبة عظيمة، وصفةٌ شريفة، لا يبلغها إلا الأنبياء، والخلّص من الأولياء، والعابد هو: المتذلل الخاضع، المنقاد إلى الله تعالى انقيادًا كاملًا، بقلبه وفعله وقوله.

بقلبه: بأن يمتلئ بالخشوع لله، والخوف والإنابة والرجاء والحب والتوكل، والتواضع، وعدم الانتقام للنفس، وقد خلا قلبه من الغرور، والعجب، والكبر، والرياء.

وفعله: بأن يستعمل أركانه فيما يُرضي الله، بالصلاة والصيام وقراءة القرآن، وصلة الأرحام.

وقوله: بأن يكون نطقه وسكوته يبتغي به وجه الله، فلا يتكلم إلا لله وبما يرضي الله، ولا يسكت إلا إذا كان السكوت أحب إلى الله من نطقه فيما يترجّح لديه.

وقد تجد من هو عابد لله بقلبه وفعله، ولكنه فاحش بلسانه، يقع في أعراض المسلمين، ويغتابهم، ويسبهم، وربما تأول ذلك، فهذا لم يبلغ مرتبة العبودية التامة.

ومن أَكْثر من العبادة الظاهرة مع تقصيرٍ في التذلل والخضوع القلبي، فقد نقص في عبادته، ونزل عن مرتبة العبودية التامة.

وكلما ازددت فقرًا وذلًا لله: رفعك وأحبّك وقرّبك، قال رسول الله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، قال ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن (٤/ ٤٢٥): «وإنما كان ذلك لأنها نهاية العبودية والذلة، ولله غاية العزة، وله العزة التي لا مقدار لها، فكلما بعدت من صفته ـ أي صفة العزة ـ قربت من جنته، ودنوت من جواره في داره».

ومقام العبودية درجات، وأعلاه: أن تكون جميع أقوالك وأفعالك وأحوالك مبتغيًا بها وجه الله، مُتَّبِعًا بها شرع الله..

كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام: ١٦٢]..

بعدها تجد طعم الإيمان، وراحة الصلاة، والأنس بالله، والشوق إلى لقائه.

❁ أنفع وأفضل وأقوى دواء لمن يشتكي من التعلق بشهوة محرمة: قيامه بما أمر الله..

«وبحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وفي القراءة الأخرى (يدفع)، فكمال الدفع والمدافعة بحسب قوة الإيمان وضعفه».

[طريق الهجرتين لابن القيم رحمه الله ص١٣٢]

❁ إذا كان الذي قد يَهجر السيئات: يجعل الله له من النور والعلم والقوة والعزة ومحبة الله ورسوله، فما ظنك بالذي لم يَحُم حول السيئات؟ ابن تيمية رحمه الله.

❁ المؤمن مهما عمل واجتهد فهو في خوف من عدم القبول، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، قال السعدي رحمه الله: «إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، بل يرجو رحمة ربه وقبول أعماله ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه».

❁ قال السخاوي رحمه الله: مما ابتدع الناس في قراءة القرآن:

التحزين، وهو أن يترك طباعه في التلاوة، فيأتي بها على وجه آخر، كأنه حزين يكاد يبكي، مع خشوع وخضوع.

❁ **أصول الطاعات**: راجعة إلى اعتبار المقاصد الأصلية، وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

وكبائر الذنوب إذا اعتُبِرتْ وُجدَتْ في مخالفتها. الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



الصلاة والصيام

۞ هنيئًا لمن مدّ الله في عمره فصلى وصام.

آخى النبي ﷺ بين رجلين، وكان أحدهما أشدّ اجتهادًا من صاحبه، فغزا المجتهد منهما فاستُشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي فصلوا عليه، فقالوا في دعائهم له: اللهم ألحقه بصاحبه، فقال النبي ﷺ: «**فأين صلاته، وأين صيامه؟**». لَما بينهما أبعد ما بين السماء والأرض. رواه الإمام أحمد في مسنده وصحَّحَهُ محققوه.

۞ هناك من يجد في الصلاة ـ خاصة الفريضة ـ طعمًا وراحة وأنسًا عجيبًا، وإذا أُقيمت الصلاة قام إليها فرحًا مسرورًا مستبشرًا، وإذا قام بين يدي ربّه انتقل من عالَم الحياة الفانية إلى عالَم الغيب بروحه وقلبه، وجعل يُخاطبه ويدعوه ويُناجيه ويُناديه، بكلّ أدبٍ وحضورِ قلبٍ ويقينٍ بأنه يسمعه ويراه.

اللهم أرحنا بالصلاة.

۞ بعض الناس يصلي ركعتين خفيفتين ثم ينشغل بقراءة القرآن أو الدعاء أو الذكر، والأفضل أن يأتي بها في صلاته فيُطيلها، وقد سئل النبي ﷺ: أيّ الصّلاة أفضل؟ فقال: «**طول القنوت**». متفق عليه

وقال: «**إنّ طول صلاة الرّجل وقصر خطبته مئنّةٌ من فقهه، فأطيلوا الصّلاة واقصروا الخطبة**». مسلم

ومن ذاق حلاوة الصلاة أطال وتمهّل فيها.

ومما يعينك على الإطالة:

١ ـ ترك القراءة من قصار المفصل في الصلوات العادية والسنن الراتبة وغيرها، واحرص على القراءة من السور الطويلة، وابدأ بقراءة ربع وجه في الركعة، ومع مرور الأيام ستقرأ نصف وجه أو أكثر.

٢ ـ التفكر فيما تقول من الآيات والأذكار والأدعية.

٣ ـ الإتيان بصيغ الأذكار والأدعية المتنوعة.

وانظر لحالك بعد ذلك.

۞ قال من ذاق طعم الصلاة:

لم أتخيل يومًا أن أعيش بدون صلاة، ولم أتصور أن يطيب لي عيش وأهنأ بحياة ويمر عليّ يوم لم أقف لله في صلاتي داعيًا راجيًا متضرعًا تاليًا آياته..

وإذا تذكرت أن الجنة ليس فيها صلاة صرفت الفكرة لأني لا أتخيل أني سأنفك عن الصلاة.

فيا خسارة من حرم أعظم لذة وأطيب عيش.

۞ أما يستحي من يؤثر مناجاة الخلق أول الليل على مناجاة خالقه وحبيبه ﷻ آخر الليل؟

أما كان الأجدر به أن ينام مبكرًا ليستعد لمناجاته في ظلمة الليل؟

۞ كان النبي ﷺ إذا قام الليل ينظر إلى السماء ويقرأ أواخر الآيات من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

فإذا قمت الليل فاقرأها بقلب حاضر وبصرك إلى السماء، وستجد

شعورًا لا نظير له: من الأنس والطمأنينة، والتعلق بالله، والنشاط والهمة، والزهد بالدنيا، والتعلق بالآخرة، والشوق إلى الجنة.

۞ خمس صلوات في اليوم والليلة على الأقل، على مدى سنوات طويلة، تتلو فيها كلام الله، وتقف بين يديه، وتكرر فيها أنواعًا كثيرة من المحامد والثناء عليه، وتسبيحه، وتمجيده، وطلب المغفرة منه..

ومع ذلك لم تؤثّر في أخلاقك، وإيمانك، ويقينك، وحبك له، وقوة تعلّقك به؟

هذا والله أمرٌ يندى له الجبين، ويُحتّمُ عليك مراجعةَ شأن الصلاة.

فحاسب نفسك اليوم قبل أن تُحاسَب أمام الله.

۞ **قال أحد طلاب العلم:** إني ولله الحمد أجد تعلقًا وحبًّا عظيمًا للصلاة وأجد راحة ومتعة في الدعاء فيها والتضرع لله، فيا خسارة من حرم أعظم لذة وقرة عين المؤمن في الدنيا.

ومن كان يصلي صلاة لا خشوع فيها لم يذق عشر معشار السعادة.

۞ كان كثير من السلف الصالح يبكي عند الموت فيقال لهم: ما يبكيكم؟

فيقولون: ما نبكي جزعًا من الموت ولكن نبكي على ظمأ الهواجر(١) وقيام ليالي الشتاء.

وكان الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكثر من الصوم فقيل له في ذلك فقال: إني أُعده ليوم شرّه طويل ثم تلا: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان: ١١].

---

(١) أي: على صيام أيام الصيف الطويلة.

۞ هل في الوجود شيء أجل وأشرف وأكمل من خالق الأشياء كلها، ومُكمّلها ومزيّنها، ومبدئها ومعيدها؟

فتجمّل لله تعالى في صلاتك، وتطيّب قبل لقاء ربك، استعمل أحسن وأفضل طيب عندك لصلاتك، وانظر إلى السعادة واللذة التي يقذفها ربك في قلبك، قال ابن عمر رضي الله عنه لغلامه نافع لمّا رآه يصلي حاسرًا عن رأسه: أرأيت لو خرجتَ إلى الناس كنتَ تخرج هكذا؟ قال: لا، قال: «فالله أحقّ مَن يُتَجَمل له»، ولو تجملنا لله تعالى وتأدبنا معه في صلاتنا كما نتجمل ونتأدب مع الناس لأفلحنا وأحبنا وأكرمنا، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

۞ شرود الذهن في الصلاة: يخالف الخشوع.

وأعظم أسبابه: الشيطان، الذي لا هَمَّ له إلا إشغالك عن ربك في صلاتك.

وخذ نصيحةً تعينك على حضور قلبك، وتمحو خطيئة شرود ذهنك.

اعزم على التوبة والاستغفار في سجودك كلما شرد ذهنك.

ستجد والله لذلك ثمرات عظيمة عاجلًا وآجلًا.

وسيكف الشيطان وسوسته خوفًا من توبتك واستغفارك.

۞ حقيقة المصلي أنه يُخاطب الله تعالى بتلاوة كلامه، وتسبيحه وتكبيره وحمده ودعائه، فينبغي له أنْ يوقن أنّه يُخاطب ربه الذي يراه ويسمعه، فلا يأتي بها ساردًا لها بلا روح ولا اسْتشعار ولا نشاط.

وقد كان بعض السلف إذا صلى كأنه يخاطب رجلًا؛ مِن شدّة إقبالِه على صلاته. [مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٢٠٥]

۞ من أعظم أسباب التثاقل عن الطاعات والتأخر عنها: التأخر عن الصف الأوّل في الصلاة.

قال النبي ﷺ: «**لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**». رواه مسلم

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني أو الثالث ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل صالح».

[شرح رياض الصالحين ٥/ ١١١]

ولو دُعيتَ ـ مثلًا ـ إلى لقاء عظيمٍ من عظماء الدنيا لبكّرت وحرصت على أن تكون في الصف الأول، فلا يكنْ أحدٌ أعظم في قلبك من الله، الذي ابتداؤك منه، ومرجعك إليه.

۞ من أراد أن يخشع في صلاته ويذوق اللذة والراحة فيها: فلْيستحضر أنه يُناجي ربه في كل ما يقول، قال النبي ﷺ: «**إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه**». متفق عليه.

وأنه تعالى يراه ويسمع قوله، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢٢٠].

فإذا نطقت فليكن ذلك من أعماق قلبك.

۞ تفكرت في حال من يستعجل في صلاته ويأتي إليها متأخرًا ويخرج مبكرًا، ومن يخشع فيها، ويُقبل عليها بقلبه، فوجدت أقرب شبه لهما: من يجلس مع حبيب، ومن يجلس مع ثقيل.

فالأول: يطلب الأنس والراحة في حديثه وجلوسه مع حبيبه.

والثاني: يطلب الخلاص منه، ويحدّثه على عجل.

وهكذا حال المصلي في صلاتِه.

۞ نصيحة لمن أراد أن يجد الخشوع في صلاته: اجعل في بيتك مكانًا للصلاة منعزلًا عن ضجيج الأطفال.

وكان هذا من عادة السلف الصالح، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عادة السلف أن يتخذوا في بيوتهم أماكن معدة للصلاة». [فتح الباري ٣/ ١٦٩]

ووالله إنّ لذلك أُنسًا ولذة لا توصف، ولا يجد لذتها إلا من عمل بها وصبر عليها.

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للإنسان أن يحسن فرضه ونفله حتى يكون له نفلٌ يجده زائدًا على فرضه يقربه من ربه.

ومن لا يحسن أن يصلي الفرض فأحرى وأولى ألا يحسن التنفل.

ولعمر الله لقد يُشاهَد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم تنفله كذلك، بل فرضه؛ إذ ينقره نقر الديك، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون!

۞ لَأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك به خيرٌ له مِن أن يُؤَخر صلاة النهار إلى الليل وصلاة الليل إلى النهار عمدًا بلا عذر. ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **قال بكرٌ المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن مثلُك يا ابن آدم! خُلِّي بينَك وبين المحراب والماء، كلّما شئت دخلت على الله عَزَّوَجَلَّ، ليس بينكَ وبينه ترجُمان!».

۞ كان النبي ﷺ يؤكد الوصية بالصلاة إلى حين موته، فآخر وصاياه: «**الصلاة الصلاة**»، حتى فاضتْ روحُه وهو يُكررها، فهل بعد هذه العناية وهذا التأكيد من تأكيد؟

۞ يا من تتهاون في الصلاة تأمل قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤]. فإذا توعدهم الله بالويل وهم يُصلّون ولكنهم يفرطون فيها أحيانًا، فكيف بمن لا يصلي نهائيًّا نسأل الله العافية!

۞ مبدأ وكمال صلاح المؤمن من الصلاة، فمتى اعتنى بها استقامت حاله.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات.

۞ **أيها المصلي:** جمّل صلاتك وزيّنها بحضور قلبك وحُسن أدائها؛ فإنّ الملائكة تصعد بصلاتك فتعرضها على الله تعالى، بمنزلة الهدايا التي يتقرب بها الناسُ إلى ملوكهم وكبرائهم، وأسفاه من انشغلنا في صلاتنا بغير صِلتنا بربِّنا!

۞ **إنّ الصلاة إنما شرعها الله:** ليفكّ ارتباطك وصلتك بكل ما يتصل بحياتك الدنيوية الفانية وعلاقتك مع البشر؛ لتصبح صلتك به وحده وبحياتك الأخروية الباقية التي عن قريب سترحل إليها، وتلقى ما عملت في حياتك الدنيوية الفانية القصيرة.

فمن لم يُحقق ذلك في صلواته فقد فرط في روح الصلاة وفاته أثرها عليه.

۞ بعض المصلين يحرص على الدعاء بعد الانتهاء من الصلاة أكثر من حرصه على الدعاء وهو فيها، وهذا خلاف السُّنَّة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عامّة أدعية النبي ﷺ إنما كانت في الصلاة لا بعدها. لا سيما والمصلي مناج ربه، مقبل عليه، فدعاؤه ربّه في هذا

الموضع أفضل من دعائه له بعد انصرافه من صلاته وفراغه منها».

۞ التدقيق في تحري عين الكعبة في الصلاة من التشدد والتنطع؛ لأن جهة الكعبة كلها قبلة والحمد لله؛ لقول النبي ﷺ: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**».

حتى إن بعضهم إذا صلى الإمام صرخوا عليه: اتجه يمينًا.. اتجه يسارًا!

وهذا تنطّع وغلوّ، قال ابن تيمية رحمه الله: من صلى إلى جهة الكعبة فهو مصل إلى عينها.

۞ نصّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على أن صلاة الجماعة شرطٌ في صحة الصلاة في موضعين: (١١/ ٦١٥)، (٢٤/ ١٠١) وقيّدها: «مع القدرة».

۞ اتخاذ وتطلب النساء سجادة للصلاة حذرًا من نجاسة الأرض والفرش ليس من سُنَّة السلف من الصحابة والتابعين كما قاله ابن تيمية رحمه الله.

وسبب ذلك: الوسواس من نجاسة الأرض غالبًا!

۞ والله لن تجد أحدًا يحافظ على الصلاة ويُبكّر لها من حين سماع الأذان إلا وجدته أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم بالًا، وأشدّهم تعلّقًا بالله، وحبًّا له، وشوقًا إلى لقائه، واعتناءً بمصالحه الدينية والدنيويّة على الوجه الصحيح؛ لأن من أقام أمر الله أقام الله له أموره، ومن كان مع الله كان الله معه.

۞ أمران إذا استحضرتهما في صلاتك فأنا ضامن لك أن تذوق طعمها وتجد فيها راحة ولذة وخشوعًا:

١ ـ اطلاع الله عليك ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨].

٢ ـ مناجاتك له، فأنت تخاطبه ويسمعك، قال النبي ﷺ: «**إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربه**».

استحضرهما في كل صلاة تصليها وسترى والله العجب.

۞ من السنن التي كادت تُهجر:

صلاة النوافل في البيت وخاصة الرواتب، قال النبي ﷺ: «**صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاةُ المرء في بيته إلا المكتوبة**».

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا كانت النافلة في البيت أفضل منها في مسجد النبي ﷺ ـ والصلاة فيه بألف صلاة ـ فأيّ فضل أبين من هذا؟ [الاستذكار ٢/٧٣]

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما حث على النافلة في البيت لكونه أبعد من الرياء وتنزل فيه الرحمة والملائكة وينفر منه الشيطان».

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو صلى نافلة في مسجد المدينة كانت بألف صلاة، وإذا صلاها في بيته كانت أفضل من ألف صلاة».

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأفضل أن تصلى هذه الرواتب في البيت حتى لو كنت في مكة أو في المدينة».

۞ قال النبي ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيسألهم ربهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون**».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من لطفه وجميل ستره؛ إذ أطلعهم

بكرمه عليهم حال عباداتهم، ولم يُطلعهم عليهم في حال خلواتهم بلذاتهم ومعاصيهم. فسبحانه من كريم جليل، إذ ستر القبيح وأظهر الجميل».

۞ الصلاة:

- إما أمر يريده الله منك، أو تريده منه.

فما يريده منك هو الثناء عليه والمدح له، وما تريده منه لا ينال إلا بالدعاء.

فالصلاة ثناء أو دعاء.

فليكن ثناؤك عليه ودعاؤك له بقلب صادق حاضر.

وحينها ستجد لذة وراحة فيها حتى تتمنى ألا تنقضي.

فيا سعادة ويا قرة عين من هذه حاله في صلاته.

۞ أخي المصلي، أختي المصلية:

إياك ثم إياك أن يراك الله إذا وقفت بين يديه: متجملًا لغيره أكثر من تجملك له، أو مفكرًا بغيره وأنت أمامه وتخاطبه ويسمعك، أو مستعجلًا طلبًا في إدراك حاجة، وحاجتك عند من وقفت بين يديه.

وأعظم ما تكون انشراحًا وأنسًا ولذة في الصلاة التي تتجمل وتخشع وتطمئن فيها.

وحُرِمْنَا من ذلك لتقصيرنا فيها.

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يزن العبد إيمانه ومحبته لله بمثل ميزان الصلاة».

فإذا أردت أن تتحقق من قوة إيمانك وحبك لله فانظر إلى حالك مع صلاتك.

فإن كنت: تبكر وتستعد وتشتاق لها، وترتاح فيها وتشعر بسعادة عند مناجاتك لله، وتجتهد في الخشوع فيها: فهذا علامة واضحة على قوة إيمانك وحبك لله.

۞ من أعظم أسباب قلة التوفيق في طلب العلم أو العبادة أو الوقت:

قلة العناية بالصلاة ـ خشوعًا وبُكورًا وأدًاء ـ فمن ضعفت صلته بالله تعسّرت عليه أموره.

۞ **الخشوع التام في الصلاة يحصل بأمور ثلاثة:**

١ ـ شدة تعظيمك لمن وقفت بين يديه.

٢ ـ شدة تضرعك له.

٣ ـ استحضارك الشديد بأنك تناجي ربًّا قريبًا يسمعك ويراك.

وإذا صليت بهذه الصفة: بلغت مرتبة الإحسان، وذقت حلاوة الإيمان والقرب من الرحمٰن.

فسبحان من ملأ قلوب الخاشعين طمأنينة وانشراحًا وسكينًة ونورًا.

۞ أتدري ـ أيها المصلي ـ كم سيئة يضعها الله عنك، وكم درجة يرفعك الله بها، وكم بيتًا يبنيه لك في الجنة، وكم صدقةً كتُبت لك، خلال عشر سنوات من مواظبتك على أداء فرائض الصلوات ونوافلها؟

قال النبي ﷺ: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**». رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**إن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا**

الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد». متفق عليه.

وقال ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة**». رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «**يصبح على كل سُلامى** ـ وهي المفاصل والأعضاء، وقد ثبت في صحيح مسلم أنها ثلاثمائة وستون ـ **من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**». رواه مسلم.

ومعنى الحديث: «أن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه، ليكون ذلك شكرًا لهذه النعمة». [جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/ ٧٥]

«فيكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان؛ فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته».

[شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص٩٣]

فخلال عشر سنوات تكون قد سجدت أكثر من (١٠٠) مليون سجدة، إذا كنت تحافظ على الفرائض، وركعة الوتر، وسُنَّة الضحى، والرواتب، وتحيّة المسجد أو سُنَّة الوضوء.

ولو فرض أنّ عدد خطواتك للمسجد (١٠٠) خطوة فقط، فإنك تكون قد خطوت قرابة (٦٥٠) مليون خطوة خلال عشر سنوات.

فخلال عشر سنوات قد رفعك الله أكثر من (٧٥٠) مليون درجة،

ووضع عنك أكثر من (٧٥٠) مليون سيّئة، وبنى لك (١٨٠) ألف بيت في الجنة، وكُتب لك أجر أكثر من (٤٦٦) مليون صدقة.

فانظر إلى هذا الفضل العظيم، والكنز الثمين، الذي تجمعه خلال إقامتك للصلوات والعناية بها خلال عشر سنوات فقط، فكيف إذا مضى على إقامتك لها ثلاثون أو أربعون؟ فالأجور والدرجات تُضاعف لك أضعافًا كثيرة.

هذا، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهذا أيضًا من غير الأجور العظيمة التي لا تخطر على بالك في الوضوء، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والدعاء، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومتابعة المؤذن.

فالحمد لله الذي شرع لنا هذه العبادة العظيمة، التي نجني منها كلّ هذه الأجور والدرجات وتكفير السيئات.

وصدق الله الكريم الوهاب: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النساء: ١٤٦].

قيام الليل:

۞ أهل الإيمان يجدون في قيام الليل حلاوة لا نظير لها، وفي مناجاة الله أنسًا لا مثيل له.

وفرحهم وهم يترقّبون آخر الليل كفرح من يترقّب وصول أعز حبيب بل أشد..

هذا حالهم كل ليلة..

فهل هناك حياة أعظم وألذ وأطيب من هذه الحياة؟

وهل يتسلل الملل والسآمة والكآبة إلى قلوبهم وهذه حالتهم كل يوم؟ لا والله، فأعظم أنس هو الأنس بالله!

۞ هناك من يجد أمتع أوقاته في ثلث الليل الأخير، حين ينهض من فراشه فرحًا مسرورًا ليقوم بين يدي ربه، ويرتل آياته ويناجيه، ومن شدة فرحه وانشراح صدره يخر ساجدًا!

بعضهم يقرأ في قيامه أكثر من ثلاثة أجزاء.

وبعضهم يأخذ أحسن زينته فيبخر مصلاه ويلبس مشلحه وأحسن ثيابه تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، فما أطيب عيشهم.

۞ **يا من لم تذق عيناه طعم النوم:** قم فناج ربك ليذوق قلبك أحلى وأفضل وأكمل طعم في هذه الحياة، إنه طعم الأنس بالله، وحلاوة مناجاته، وجنة الإقبال عليه، خاصة في الثلث الأخير من الليل.

بث له أحزانك، وتضرع إليه بصدق، فطالما شكوت إلى الناس همومك ومرضك، فاشك إلى الله وحده، ولن يخيبك ولن يضيعك.

۞ مناجاةُ الكريم الرحيم في الأسحار، وتلاوة آياته في صلاة آخر الليل والناس نيام، من أعظم لذائذ الدنيا، فلا تفرط في اللذة العظيمة.

۞ سوقُ أهل القرآن في آخر الليل، يُرتلون آيات الكتاب، ويأنسون بالخلوة بالكريم الوهاب.

وأجمع العارفون والعابدون على أن أمتع وآنس أوقات الصلاة والمناجاة آخر الليل.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ٦].

يا رجال الليل جدُّوا رُبّ صوت لا يُردّ
ما يقوم الليل إلا من له عزم وجِدّ

الصيام:

❁ كل عمل يكون شاقًّا في البداية خفيفًا في النهاية.

ومن العبادات الشاقة على الكثير من الناس الصيام، وخاصة صيام النفل.

ومن أراد أن يفتح الله له هذا الباب العظيم وتزول عنه أتعابه: فليصم ثلاثة أيام في الشهر على الأقل، مستعينًا بالله راغبًا إليه وداعيًا أن يعينه، وليصبر ولا يمل، وسيكون الصوم سهلًا جدًّا عليه.

❁ صيام يوم الاثنين سُنَّة، فقد سئل النبي ﷺ عن صومه فقال: «**فيه ولدت وفيه أُنزل علي**».

ومن جاهد نفسه في صيامه: ذهبت عنه مشقة الصوم، حتى يكون من أسهل العبادات عليه، وسيجد لذة لا تُوصف عند فطره، وانشراحًا طوال ليله، حيث اقتدى بالأخيار، وتغلب على هواه، فأقبِل على الله وتدارك بقية عمرك.

❁ سئل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين فقال: «**ذاك يومٌ ولدت فيه، ويوم بعثت، وأنزل عليّ فيه**». رواه مسلم.

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي فيه وجود نبيكم ﷺ، وفيه نزول كتابكم، وثبوت نبوته، فأي يوم أفضل وأولى بالصيام منه؟»

أحيوا ليالي الشتاء فهي طويلة. وصوموا ما تيسّر منها فنهارها قصير وأجواؤها باردة.

۞ للصوم فوائد دينية كثيرة وعظيمة جدًّا، منها:

١ ـ اتباع سُنَّة النبي ﷺ.

٢ ـ رقة القلب.

٣ ـ قوة الفهم.

٤ ـ ضعف سلطة الهوى والغضب.

٥ ـ الأجر العظيم.

٦ ـ اللذة والسعادة التي لا تُوصف عند الإفطار، واللذة والسعادة يوم لقاء الله أعظم وأكبر.

وله فوئد بدنية عظيمة جدًّا كذلك، منها:

١ ـ علاج للجهاز الهضمي.

٢ ـ صحة للقلب والشرايين وحمايتها.

٣ ـ يقلل من نسبة السكر في الدم.

٤ ـ يخلص الجسم من الفضلات.

فاعزم على الصيام كل اثنين، لا سيما إذا كان الصوم في وقت يكون فيه النهار قصيرًا والجو معتدلًا أو باردًا، حيث لا تعب ولا مشقة في الصوم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه حثّ على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: «**صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام**».

وثبت في صحيح مسلم أنه أوصى أبا الدرداء رضي الله عنه بذلك.

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**صم من كل شهر ثلاثة أيام؛ فإن بكل حسنة عشر أمثالها، فذلك صوم الدهر**».

فانظر إلى كثرة ما أوصى نبينا ﷺ أصحابه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، فلا ينبغي لنا أن نقصر في العمل بما أوصى به ﷺ.

۞ إذا ذهب النهار ضجت قلوب الصائمين فرحًا بتمام الصيام، قال النبي ﷺ: «**للصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه**».

فقد تحققت لهم الفرحة الصغرى في الدنيا وهم ينتظرون الفرحة الكبرى في الآخرة.

وإذا جاء آخر الليل طربت قلوب القائمين فرحًا بقيامهم بين يدي ربهم ومناجاته ودعائه.

فما أطيب عيش العابدين وما أمتع حياتهم.

۞ الصيام لا مثل له ولا عِدل له، ومن أفضل الأعمال، وجُنة للعبد إذا أراد به وجه الله.

ومن صام يومًا في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا.

وفي الجنة باب يقال له الرَّيَّان، خاص بالصائمين لا يدخله أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلا يدخل منه أحد.



الذكر والدعاء

۞ ما هو وقت أذكار الصباح والمساء؟

وقتها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وما بين دخول وقت العصر إلى غروب الشمس.

قال الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [ق: ٣٩]، وكل ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي: فالمراد به هذا الوقت. [الوابل الصيب لابن القيم رحمه الله ٢٣٩]

۞ حدثني صديقي بأن جدته أصيبت بمرض السرطان وانتشر في جسدها، وأخبرها الأطباء بأن نسبة الشفاء لا تتجاوز ١٠٪ فلم تكترث بكلامهم، وجعلت تدعو الله حتى شفيت.

وحدثني رجل بأن قريبًا له أصيب بمرض الغرغرينة في قدمه فقرر الأطباء بترها فرفض، وجعل يدعو الله ويلح عليه بالدعاء حتى شفي منها.

أتدري ما أقوى سلاح تَنتصر به على الشيطان الذي أوْقعك في المعاصي، أو أصابك بالسحر أو المس وأنواع الأذى؟

إنه الدعاء.

۞ جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سَحر رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيَّل

إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا».

ثم ذكرت أنه شُفي بعد ذلك.

أعرف مَن وسوس له الشيطان في صلاته فقال في سجوده: اللهم اغفر لي مغفرةً تُغيظ بها الشيطان.

فرآه في المنام كأنه ذبابة حقيرة هربت منه وهو يقرأ آية الكرسي.

۞ إياك والدعاء على نفسك أو أولادك، فقد توافق ساعةَ استجابة فتندم أشدّ الندم.

حدثني رجل ثقة أنه كان يقول في دعائه (اللهم عذّبني في الدنيا ولا تعذبني في الآخرة)، فقدّر الله عليه أن يصطدم بشاحنة كبيرة أثناء سفره مع أمّه وزوجته وأخته، فأصيبوا جميعًا بإصابات خطيرة، وفقدت زوجته وأخته الذاكرة بسبب تلف خلايا الدماغ.

قال: فتمنيت أني لم أدع بهذا الدعاء، وكلما تذكرته تحسَّرت وخُيّل إليّ أنَّ الذي أصابهم كان بسبب دعائي هذا.

۞ قال الله تعالى عن الصحابة رضي الله عنهم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧].

إذا كنت تشكو من الغفلة وقسوة القلب، وتعلقٍ بمعصية عجزت عن تركها، وطاعةٍ فترت عن القيام بها: فالْجأ إلى الله وانطرح بين يديه وقل بصدق كلّ وقت وحين: اللهم حبب إلي الإيمان وزينه في قلبي وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان.

۞ قال النبي ﷺ لرجل: «**قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله رب العالمين، لا حول**

ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني». مسلم.

هذا هو الأدب مع الله: ثناء عليه ثم سؤاله.

وهذا الذكر والدعاء له تأثير عظيم عليك فلا تتركه.

❁ دعا لوط عليه السلام أن يعصمه الله من الفاحشة التي انتشرت في قومه فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٦٩﴾ [الشعراء: ١٦٩]، ودعا إبراهيم عليه السلام أن يعصمه من عبادة الأصنام التي انتشرت في قومه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فلا يشغلك الحُزنُ على ما تراه وتسمعه عن الدعاء بصدق أن يثبتك ويعصمك من الفتن.

فتضرع إلى الله أن يعصمك من الشر والفساد المنتشر في مجتمعك.

❁ لا تترك هذا الذكر أبدًا:

قال النبي ﷺ: «**إذا نزل أحدكم منزلًا فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه**». رواه مسلم.

قال القرطبي رحمه الله: منذ سمعت هذا الخبر عملتُ عليه فلم يضرني شيء إلا أن تركته، فلدغتني عقرب ليلًا، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أنْ أتعوذ بتلك الكلمات!! [المفهم ٧/ ٣٦]

❁ إذا داومت على قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» وفهمتها ولامست قلبك زَرَعت في قلبك أمرين:

١ ـ التوكل على الله؛ لأنك تبرّأت من حولك وقوتك وسَلّمت الأمر كله لله.

٢ ـ عدم الخوف من أي مخلوق، لأنك توقن أنه لا قوة للمخلوقين إلا بالله، فلا تخاف منهم؛ لأنّ قواهم لا تكون إلا بالله، فخوفك لن يكون إلا ممن نواصي الخلق بيده.

۞ لو أن مَلِكًا من ملوك الأرض أعطاك رقمه الخاص وقال: متى أردتني فاتصل بي، ولن أرد لك طلبًا، لشعرت بالفخر والعزة والأمان، وملك الملوك ﷻ بشرك بقوله: ﴿قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وطلب منك أن ترفع له حاجتك متى ما شئت، ووعدك بالإجابة ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فأملأ قلبك بالفخر والعزة والأمان!

۞ أعرف رجلًا سعى في حاجة فطرق كل الأبواب فلم يُفلح، فلما يئس طرق الباب الذي لا يُغلق، فدعا الله بصدق أن يسهلها عليه، وبينما هو كذلك إذ قذف في قلبه طريقًا لقضائها لم يخطر بباله هو أفضل وأنفع له من كل ما كان يسعى إليه.

فيا من طرقت كل الأبواب واتخذت كل الأسباب: اطرق باب الكريم الوهاب.

۞ مضى على زواج صاحبي عشر سنوات ولم يرزقا بولد، وفعَلا كل شيء للحصول عليه، وطرقا كل الأبواب فأُغلقت في وجوههما، فيئسا من كل شيء إلا من الله، فتضرعا إليه وتعلقا به وحده، فجاء الفرج بغتة، فحملت زوجته وأنجبت.

ما أسرع إجابة الله لك إذا يئست من كل شيء إلا منه ولم تعلق قلبك إلا به.

۞ **ما يحض على الثبات:**

في قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥] إشعار بأن على العبد ألا يفتر عن ذكر ربه أشْغلَ ما يكون قلبًا، وأكْثرَ ما يكون همًّا. (الكشاف).

۞ والله ما لازم أحد الدعاء بصدق وصبر ويقين وتضرع إلا وجد أثر دعائه عاجلًا أو آجلًا.

أعرف من لزم الدعاء في طلب حاجات وتفريج كربات، وبعضها كالمستحيل..

فأجاب الله جميع دعواته سوى دعاء واحد، وهو على يقين أن الخيرة فيما يختاره الله..

۞ أمر الله المؤمنينَ بالاستغفار كما أمر به العاصين فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وحاجتهم للاستغفار ليست بأقل من حاجة العصاة؛ لأن المؤمن قد يُعجب بنفسه أو يحتقر غيره أو يُرائي من حيث لا يشعر فيحبط عمله.

فلازم الاستغفار.

وقل من قلب صادق معترف بالتقصير والتفريط: اللهم اغفر لي.

۞ دعاء فيه نظر: (لا تجعل لي حاجة إلا إليك) لأن بعضنا يحتاج إلى بعض، والله يقول: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، والنبي ﷺ احتاج إلى الصحابة في أمور كثيرة.

۞ دعوات المظلومين والمكروبين، والمضطرين والمتضرعين والملحين: لن تضيع، لها رب سميع محيط قريب مجيب لطيف حكيم خبير، وهو أرحم بأصحابها من أنفسهم ومن أمهاتهم، وأعلم بمصالحهم من أنفسهم.

فكن على ثقة بربك ويقين بأنه يسمعك، ولن يُقدّر عليك إلا ما يصلحك ما دمت تدعوه بصدق وإخلاص.

۞ الْزم هذا الدعاء العظيم المستجاب، الذي دعا به يونس ﷺ وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ أقررتَ لله بكمال الألوهية، وصرفتَ المحبة والرجاء والخوف له وحده.

﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ نزهتَه عن كل نقص وعيب.

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ اعترفتَ بظلم نفسك وتقصيرها.

۞ إذا امتلأ قلبك بذكر الله وتعظيمه استنار عقلك وأصبح يعمل لِمَا خُلق له، وهو التفكر في آيات الله الكونية والشرعية، ولذلك قدّم الله الذكر على التفكر فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

والتفكر يُنبت الخشية والإنابة كما ينبت الماء الزرع.

۞ **إذا ذكرت الله بقلبك ولسانك:**

١ ـ جمع ما تفرق وتشتت من قلبك وإرادتك.

٢ ـ وفرق ما اجتمع عليك من هموم وذنوب وجند الشيطان.

٣ ـ وقرب إليك الآخرة، فلا تزال تلهج بالذكر حتى كأنك قد دخلتها وحضرتها.

٤ ـ وبعّد عنك الدنيا، فإن الآخرة متى قربت من قلبك بعدت عنك الدنيا.

ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر بالقلب واللسان.

۞ من أعظم الأعمال ذكر الله، قال شيخ الإسلام رحمه الله: ممّا هو كالإجماع بين العلماء: أنّ ملازمة ذكر الله دائمًا هو أفضل ما شغل العبدُ به نفسَه في الجملة.

۞ ليس شيء أطرد للشيطان من ذكر الله تعالى بصدق وحضور قلب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٦]، فإذا كانت شياطين الإنس تنفِر من الذاكر لله، فشياطين الجن أشدُ نفورًا منه، وبعدًا وخوفًا.

فأكثر يا أخي من ذكر الله، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

۞ **قال ابن تيمية** رحمه الله: إن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان.

۞ قال الله في الحديث القدسي: «**من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا**».

قوله: «**من تقرب إلي شبرًا**»: هذا قرب عبده إليه.

وقوله: «**تقربت إليه ذراعًا**»: هذا قربه إلى عبده.

فبقدر قربك من ربك عبادةً ودعًاء وتوكّلًا ورجًاء وخضوعًا: يقربك منه، فيُجيب دعاءك، ويُعطيك سُؤلك، ويقضي لك حاجتك، ويزيدك علمًا، ويُوسعك فهمًا.

۞ ما صدقت مع الله ودعوته إلا أجاب دعاءك بتحقيق مطلوبك، أو أبْدَلك طمأنينةً ورضًا، وأيقنت أنّ خيرةَ الله خيرٌ لك من مطلوبك.

قال صاحب تفسير المنار (٨/٤٢٤): «قلَّما دعوت الله إلا استجاب لي أو ظهر لي ولو بعد حين أنّ عدم الإجابة كان خيرًا منها».

وهذا من التحديث بنعمة الله على الإنسان، وما قاله الشيخ يدل على صلاح سريرته، وصدق توجهه، رَحِمَهُ اللهُ وغفر له.

وقال أحد المشايخ: سمعت أحد طلاب العلم يقول: ما أذكر أني سألت الله شيئًا إلا أعطاني إياه عاجلًا أو آجلًا، أو عوضني خيرًا مما سألت. اهـ.

فالله سيختار الأصلح لحالك: الإجابة أو عدمها، فارض بما اختاره لك ليرضا عنك ويحبك ويقربك وأكثر من الدعاء الصادق، ولا تظن أنّ الفرج والرزق الذي تطلبه من الله لا بد أن يخرق لك عادة، ولكنّ الله سيقذف في خاطرك سببًا تتخذه يكون فيه فرجك ورزقك، أو يسخر لك من يسعى لك، أو يهيئ لك سببًا لم يخطر في بالك.

واحذر أن يطلع الله على قلبك فيرى أنك تدعوه لأجل حاجةٍ ومصلحة عرضت لك، فإن لم تتحقق حزنت وكسَلْت عن دعائه.

هذا يخالف كمال اليقين والعبوديّة، والله يُعطي العطاء السخي لمن سعى إلى الكمال فيهما.

والله يحب أن تدعوه محبةً وعبوديّة، لا لمصلحة وحاجة فقط.

وشتّان بينهما!

۞ تنبيه في الدعاء:

في الأدعية الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية، ولا يعدل عنها إلى غيرها إلا جاهل أو مفرط أو متعد. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعاء قِصاص، ومن دعا على ظالمِه فما صبر».

۞ أدعية نبوية صحيحة عظيمة لا تتركها ما حييت:

١ - اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

٢ - اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

٣ - اللهم اهدني وسددني.

۞ داوم على هذا الدعاء الجامع العظيم:

(اللهم اهدني وسددني).

قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم**». رواه مسلم.

وإذا هداك وسددك: ثبّتك وأعانك على إصابة الحق.

اللهم اهدنا وسدّدنا، ولا حول ولا قوة إلا بك.

۞ كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يدعو بهذا الدعاء: اللهم لا تُشْغل قلوبنا بما تكفَّلْت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك عبيدًا لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشرّ ما عندنا، ولا ترانا حيث نهيتنا، ولا تَفْقدنا من حيث أمرتنا، أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعاصي. [طبقات الحنابلة ٢/٧٢]

۞ **قالت أم حبيبة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: اللهم أمْتعني بزوجي رسول الله.. فقال النبي ﷺ: «**قد سألت الله لآجال مضروبة، ولو سألتِ الله أن يعافيك من عذابٍ في النار وعذابٍ في القبر لكان خيرًا لك**». رواه مسلم.

فالزم هذا الدعاء، وابتعد عن الدعاء بـ (أبقاك الله) ونحوه، فقد كرهه الإمام أحمد وابن تيمية رحمهما الله وغيرهما.

۞ ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]:

والله ما أمرك ربك الكريم الغني بأن تسأله من فضله إلا ليُفيض عليك من فضله وعطائه.

ولا أمرك بأن تدعوه إلا ليُجيب دعاءك.

فاسأله من فضله وألحّ عليه بالدعاء ولا تيأس.

فما ردّ غنيٌّ كريمٌ مَن سأله..

فكيف بأكرم الأكرمين وأغنى الأغنياء جل في علاه!

۞ لو لم يكن الدعاءُ أعظم سلاح المؤمن لَمَا كان هو ملجأ الأنبياء والصالحين.

ولا يكاد يذكر الله مصيبة نبيّ ومكر أعدائه به إلا ذكر له دعاء انتصر عليهم بسببه.

فبالدعاء تاب الله على آدم وأهلك قوم نوح ولوط وعاد وصالح وشعيب وغيرهم.

فادع الله بصدق لك ولأمتك، وتضرع إليه وكرر ولا تيأس.

۞ احفظ هذا الذكر والدعاء:

قال رجل للنبي ﷺ: علمني كلامًا أقوله، قال: «**قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**». قال: فهؤلاء لربي فما لي؟ قال: قل: «**اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني**». رواه مسلم.

۞ من أدعية الاستفتاح العظيمة:

١ ـ (الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا).

قال النبي ﷺ: «**عجبت لها فُتحت لها أبواب السماء**». قال ابن عمر رضي الله عنه: ما تركتهن منذ سمعته يقول ذلك.

٢ ـ (الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه).

قال النبي ﷺ: «**رأيت اثني عشر ملَكًا يبتدرونها أيهم يرفعها**». رواهما مسلم.

۞ قول النبيّ ﷺ: «**سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه..**»: معناه أنه سبحانه يستحق التسبيح بعدد ذلك، ليس المراد أنه سبّح تسبيحًا بقدر ذلك. ابن تيمية رحمه الله.

۞ إذا أردت أن تعرف سعة علم الله وإحاطته فاقرأ قوله: ﴿وَلَوْ

أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ كلمات الله هي التي كوّن بها جميع المخلوقات والذرات والجزيئيات.

يعلم تفاصيلها.

وهو القائم عليها لا يغفل عنها طرفة عين. فسبحان ربي.

۞ «ضاع كُراس فتعبت في التفتيش عليه فقلت: يا سميع يا بصير، بقدرتك على كل شيء وبعلمك كل شيء دلني على الكراس، فوجدته في الحال». ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ قال النبي ﷺ: «**سبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض**». رواه مسلم.

انظر إلى شأن هذا الذكر العظيم، فلا يفتر لسانك منه.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسبب ذلك أن التحميد إثبات المحامد كلها لله، فدخل في ذلك إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال كلها، والتسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب والآفات».

۞ جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إن لله ملائكة سيارة** ـ أي سياحون في الأرض ـ».

فُضُلا أي: «زائدون على الحفظة وغيرهم، لا وظيفة لهم».

يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم.

فاحرص على مجالس الذكر التي يحضرها هؤلاء الكرام البررة، واحرص على إحياء المجالس بالذكر والعلم والدعوة.

۞ ما أقبح الغفلة عن ذِكْر الله تعالى الذي يوالي عليك البر والإحسان.

ذكَرك قبل أن تخلق.

وذكَرك وأنت في أحشاء أمك.

وذكَرك بعد خروجك للدنيا.

ويذكرك بعد خروجك منها إلى أن تقف بين يديه.

وكلما كان ذكرك له أعظم وأكثر: كان ذكْرُه لك بالدفاع عنك وتسديدك وحفظك أعظم وأكثر.

وصدق الله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

۞ يروى أن نبي الله سليمان عليه السلام قال لرجل أعجب بملكه: «لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أُوتي آل داود، فقال الرجل: أذهب الله همك كما أذهبت همي».

بل هي خير من الدنيا وما فيها.

فليزل همك أخي بالقناعة واليقين أنك تملك أحسن وأعظم وأفضل مما يملكه أغنياء العالم، الذين لم يعرفوا الله طرفة عين.

۞ لا تترك هذا الذكر:

قال النبي ﷺ لامرأة تذكر الله كثيرًا: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**».

وفي رواية: «**سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**». رواه مسلم

۞ قال رجل لحكيم: من أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح له. ـ يقصد: من أكثر من الدعاء فتح الله له باب الإجابة ـ.

فردّ عليه الحكيم: ومتى أُغلق هذا الباب حتى يُسْتَفتح؟

فتح الله لنا باب التوبة والإجابة والرزق والبركة والسعادة ولم ولن يُغلقه..

ولكن أين من يدخله؟

وشرط دخوله: الصدق والإخلاص.

۞ إلٰهي..

أنت الملاذ إذا ما أزمة شمِلت ... وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل

أنت المنادَى به في كل حادثة ... أنت الإله وأنت الذّخر والأمل

أنت الرجاء لمن سُدّت مذاهبه ... أنت الدليل لمن ضلّت به السبل

إنا قصدناك والآمال واقعة ... عليك والكل ملهوف ومبتهل.

۞ من انقطع عن التعلق بالخلائق وتعلق بالخالق: استجاب الله له وكشف عنه:

أصيب صديق عزيز علي بمصيبة عظيمة، وطلب مني الدعاء له، وطلب كذلك من غير واحد من أصدقائه المقربين، فمكثتُ أشهرًا أدعو له كل يوم، وفي يوم ألححت في الدعاء له، وقلت في دعائي: اللهم مسه الضر وأنت أرحم الراحمين، اللهم اجمع شمله، وأصلح زوجه.

فنمت فرأيت فيما يرى النائم أني وفدت على الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع مجموعة من المشايخ وطلاب العلم، في طلب الشفاعة لصاحبنا هذا، وكان صديقًا مقربًا له من قبل، وقد سجنه في قصره الكبير، فدخلنا على قصره بعد أن استأذنا، وإذا هو مليء بالمساجين، فطلبنا مقابلته، فأقبل

وسلّمنا عليه، فجلس معنا، وجلس بيننا صاحبنا، فشفعنا وطلبنا إطلاق سراحه، فقال: إنني ناقمٌ عليه أنه إذا جلس عندي يفتخر بأنه جلس مع فلان التاجر، وذهب مع فلان الوجيه، وكأنه يفتخر علي بذلك، فلذلك سجنته عقابًا له.

فأولتها بقربه من الله سبحانه؛ لصلاحه ـ نحسبه كذلك والله حسيبه ـ وأنّ الله تعالى ابتلاه بهذا الابتلاء العظيم ـ والله أعلم ـ بسبب أنه كان يقول في بعض الأحيان: ذهبت عند الأمير فلان، واتَّصل علي التاجر الفلاني، والله يحب من العبد أن يكون ذليلًا له، ولا يتفاخر بشيء من الدنيا وأهلها، فابتلاه ليرجع إليه، ويذلّ له.

ووفِادتُنا على الملك وشفاعتنا: دعاؤنا لصاحبنا والعلم عند الله.

ونصحته بألا يطلب من أحد أن يدعو له، وكان كثيرًا ما يُلح عليّ وعلى غيري بذلك، فاستجاب لما قلتُ جزاه الله خيرًا، ولم يسألني بعدها، وانقطع إلى الله تعالى، وأيس من كلّ أحد إلا منه سبحانه، وأحسن الظن به ﷻ، وعَظُم رجاؤه به.

ثم اتصل علي بعد أقل من أسبوعين فبشرني بزوال المصيبة العظيمة التي جثمت على صدره لأكثر من عامين، ذاق خلالها مرارة الألم، وشدة الهم، فالحمد لله رب العالمين.

وإنما أراد الله تعالى ـ والله أعلم ـ أن يقطع رجاءه بالمخلوق، ويُخرج من قلبه أيّ ذرة من التباهي، وحينما فعل ذلك سارع الله تعالى إلى كشف ضرّه، وإجابة دعوته.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وجد الإياس من كشفه من

جهة المخلوق ووقع التعلق بالخالق وحده، ومن انقطع عن التعلق بالخلائق وتعلق بالخالق، استجاب الله له وكشف عنه؛ فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين، كما قال الإمام أحمد، واستدل عليه بقول إبراهيم لما عرض له جبريل في الهواء وقال: ألك حاجة؟ فَقَالَ: أما إليك فلا!.

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد. [مجموع رسائل ابن رجب ٣/ ١٧٣]

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يرزقنا حسن التعلق والظنّ به.

۞ ما رأيت أقوى وأقرب شيء في تحقيق ما تريد، وبأخصر طريق، وضمان سلامة العاقبة، مع ما فيه من الأجر الكبير، والفضل العظيم، ورفعة الدرجات، وصلاح القلب، وقوة اليقين والتوكل، وزيادة المحبة والقرب والسعادة مثل الدعاء الصادق بإلحاح وتضرع وخفية..

فأكثر من الدعاء الصادق، وأبشر ثم أبشر..



الإحسان والصدقة

۞ من أحسن إلى غيره أو كظم غيظه وعفا فإنما أحسن إلى نفسه قبل أن يحسن إلى غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

ويُفيده هذا فوائد عظيمة منها:

١ ـ أنه لا يرى له على غيره معروفًا.

٢ ـ سلامته من المنة والكبر والعُجب.

٣ ـ حرصه على الاستكثار من نفع الناس؛ لأنه إنما ينفع نفسه في الحقيقة.

۞ من أعظم الدلائل على بلوغك مرتبة الإحسان، وسلوكك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين: أن تكون في زيادة في الطاعات والإقبال على الله يومًا بعد يوم.

قال الله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾ [البقرة: ٥٨] وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

اللهم زدنا هدى وإيمانًا.

۞ **المنازل الربانية العالية مثل:**

ـ الإحسان، بأن تعبد الله كأنك تراه.

ـ والحبّ، الذي يجعلك تشتاق للقياه.

ـ والصدق، الذي يُحْرق كل شهوة محرمة وشبهة باطلة.

لن تُحرم منها إلا لأجل حجاب، وذلك الحجاب هو الاشتغال والتعلق بغير الله.

فلنفرّغ قلوبنا مما سوى الله حبًّا ورجاءً وخوفًا لعلنا نصل إليها.

۞ إحسانك إلى من أساء إليك لوجه الله؛ بهدية أو دعاء أو كلمة طيبة: درجة النبيّين والصّدّيقين.

والنبوة قد انتهت، وبقيت درجة الصّدّيقيّة، فلتعلُ همّتك لبلوغها.

وستستفيد أكثر من مائة فائدة في دينك ودنياك كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولا تحسن بنية أن يَلين قلبُه لك؛ لأنه ليس لوجه الله.

وستندم غالبًا إذا لم ينفعه إحسانك.

۞ **من درر ابن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن عاون مَن أحسن إليه على باطل: فقد غشه، وكفر إحسانه، وظلَمه، وجحد إنعامه، وكفر نعمة أعظم المنعِمين، وجَحَد إحسان أجلّ المحسِنين وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

ومَن حال بين المحسِن إليه وبين الباطل وأقامه على مُرِّ الحق فقد شَكَره حقًّا، وأدّى واجب حقّه عليه مستوفى».

۞ الضعفاء لهم فضل على الأغنياء والمجاهدين، روى البخاري أن سعد بن أبي وقاص رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ رأى أن له فضلًا على من دونه، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟**».

۞ ما بينك وبين عيشة الملوك، وسعادة الأغنياء، وهناء الأصحّاء إلا القناعة، بل والله تزيد عليهم!

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالِكُ الدنيا سواءُ

۞ من قنع بقليل ما عنده عن كثير ما عند الغني فقد ساواه في الغنى ولو ملَك مال قارون.

فإن ترفّع عما يخضع ويطمع إليه من فضول المال وزخارف المتاع واشتغل بما هو أنفع وأسعد له في دينه ودنياه من علم نافع وعمل صالح: فهو أغنى وأعز وأسلم عاقبةً منه.

فما أغنى وأعزّ وأسْعد من كان غناه في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغِنى عن كثرة العرض** ـ أي متاع الدنيا من المال أو نحوه ـ **ولكن الغِنى غنى النفس**». رواه البخاري ومسلم.

۞ **أتدري أيّ الصدقات أفضل عند الله؟**

هي ما تُنفقه على أهلك من طعام وفراش وكساء..

قال النبي ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**». رواه مسلم.

وجاء في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن المسلم إذا أنفق على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة**».

وفي صحيح مسلم أنه قال: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها**».

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «خير صدقة تتصدق بها ما تصدقت به على نفسك وأهلك..

ولم تخرج عن مسمى المتصدق إذا أنفقت على أهلك ونفسك؛ لأن النبي ﷺ جعل الإنفاق على الأهل من الصدقة.

بل الإنفاق على الأهل واجب تثاب عليه أكثر من الثواب على الصدقة على بعيد». [الشرح الممتع ٦/٢٧٢]

فاحتسب الأجر عند كل ريال تنفقه على أهلك، واجعل راتبك كلّه صدقة باحتسابك النفقة على نفسك وأهلك.

۞ وعْد صادق لا يتخلّف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقد أكد هذا الوعد بثلاثة مؤكدات دالة على تحقق ما وعد.

فما أنفقتَ من أي نوع وقدْر: من مال أو متاع أو طعام، ولأي أحد: لولدك أو لأهلك أو لفقير: فسيُخلفه الله لك في الدنيا بمثله، أو بثوابٍ أو صحةٍ أو دفع بلاء، أو يدّخره لك في الآخرة.

۞ إنّ للصدقة والإحسان تأثيرًا عجيبًا في البركة ودفع البلاء والعين وشر الحاسد.

قال ابن القيم رحمه الله: «إن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهلُ الأرض كلهم مُقِرُّون به لأنهم قد جرَّبوه..

فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معامَلًا فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة.

فالمحسن المتصدق يستخدم جندًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه». [الوابل الصيب ٦٩]

۞ يا من أغناك الله..

ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر**».

والله لو أفنيت عمرك ما حَصَلْت على هذا الفضل الكبير، وبالإنفاق على هؤلاء تحصل على ذلك.

فتلمّس حاجات الأرامل والمساكين وما أكثرهم!

۞ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «نبشر المدينين إذا أخذوا أموال الناس ليؤدوها، ولكن أخلفت الأمور أن الله سبحانه وتعالى يؤدي عنهم من فضله وكرمه، كما قال النبي ﷺ: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه**». رواه البخاري». [الشرح الممتع ١١/ ٢٠٢]

۞ أفضل وأنفع الصدقات:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما تصدق رجل بصدقة أفضل من موعظة يعظ بها جماعة فيتفرّقون وقد نفعهم الله بها. [صفة الصفوة ١/ ٣٠١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذه صدقة الأنبياء وورثتُهم العلماء؛ ولهذا كان الله وملائكته وحيتانُ البحر وطيرُ الهواء يُصَلُّون على معلم الناس الخير، كما أنَّ كاتِمَ العلم يلعنه الله ويلعنه اللاعنون.

[مجموع الفتاوى ١٤/ ٢١٢]



العقيدة والتوحيد

۞ دين الإسلام مبنيٌّ على الاتباع المحض لله تعالى ولرسوله ﷺ، ولا يُقبل قول أحد ـ مهما كان ـ إذا خالف الكتاب والسُّنَّة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: والله إنّ لنا شريعةً لو رَام أبو بكْر الصّدّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنْ يَخرج عنها إِلى العمل بِرأيه لم يُقبَل منه! [تلبيس إبليس ٤٠٠]

۞ أكبر نعمة وأعظم كرامة أن تشهد ألا إلٰه إلا الله؛ أي: لا معبود حقٌّ إلا الله.

فلا تخاف إلا منه، ولا ترجو ولا تحب إلا هو، ولا تتوكل إلا عليه.

هذه والله أربح تجارة، وأغلى بضاعة، وأعظم نعمةٍ على وجه الأرض.

ولو ملكت الدنيا وفَقَدْتَها فأنت خاسر، ولو خسرت كلّ شيء ومَلَكْتها فأنت رابح.

قلها واعمل بها وانشرها.

۞ **التوحيد الخالص الصادق:**

١ ـ أن توحّد الله، فتوقن بأنه الرب الملك المدبّر الخالق الرازق وحده لا شريك له، وتُثْبت له الأسماء الحسنى والصفات والعلا بلا تشبيه ولا تكييف.

٢ ـ وتُوحّد قلبك له، فتصرف له همّك وقصدك وحبّك وخوفك ورجاءك، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

۞ لن ينشرح صدرك بغير الإسلام، ولو حصلت على متع الدنيا كلها، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

والإسلام الذي يشرح الله به صدرك هو:

١ ـ تسليمك لأمر الله بالعمل به.

٢ ـ تسليمك لنهيه بالكف عنه.

٣ ـ تسليمك لأقداره بالصبر عليها والرضا بها.

۞ يجب أن يُعلم أنه لا يسوغ في العقل ولا الدين طلب رضا المخلوقين لوجهين:

١ ـ أن هذا غير ممكن.

٢ ـ أنا مأمورون بأن نتحرى رضا الله ورسوله. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **بعض من يَدْرس كتب العقيدة أو يُدرّسها**: لا يتبادر إلى ذهنه إلا العناية بالعقيدة النظرية العلمية، ولا شك في أهميتها، ولكن قلّ من ضمّ إلى ذلك العناية بالعقيدة العملية، التي هي الأعمال والأحوال القلبية؛ من صدق التوكل على الله، ومحبته، ورجائه، والخوف منه، والإقبال عليه، والتضحية في سبيلة.

۞ **المخلوق:** يغني ظاهرك، ويصلح دنياك.

ولكن الخالق ﷻ: يغني ظاهرك وباطنك، ويصلح دنياك وآخرتك.

فمن أولى بمحبته ورجائه؟ ومن أحق بأن تتعلق به وتصرف له همك وفكرك وحياتك؟

لقد عشت لنفسك دهرًا طويلًا، فعش لله بقيّة عمرك، ومتى عشت لله ستبكي والله على دهر أفنيته لنفسك ومع غيره.

۞ **سؤال المخلوقين فيه ثلاث مفاسد:**

١ ـ افتقار إلى غير الله وهي من نوع الشرك.

٢ ـ إيذاء المسؤول وهي من نوع ظلم الخلق.

٣ ـ ذل لغير الله وهو ظلم للنفس.

ابن تيمية رحمه الله.

۞ قد تصل في كثير من العلوم الشرعية إلى ما يسد حاجتك، وتُتقن أهم ما فيها من خلال العكوف عليها بعض الشهور أو الأعوام، ولكن ذلك لا يكفيك عن الاتصال بالعلماء ومباحثتهم.

بخلاف الأحوال القلبية من الإخلاص والصدق والخشوع والبعد عن التكلف وهضم النفس: فإنك لا تزال تتعلمها وتستحضرها إلى أن تموت، وتجدّد عهدك بها، ولو غفلت عنها بعض الوقت لأثَّر على صلاح قلبك.

۞ **أتريد أحسن وأكمل طريق لاكتساب الفِطْنة والذكاء ووَفْرة العقل؟**

إنه الإيمان بالله وشرعه والعمل به.

وإليك درّة ثمينة من درر الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان سبب ذلك، قال: (الإيمان يزيد الفطنة؛ لأن أصول اعتقاده مبنيّة على نبْذ كلّ ما مِن شأنه تضليل الرأي وطمس البصيرة). [التحرير والتنوير ١/ ٢٧٥]

❁ **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: الرب سبحانه: أكرم ما تكون عليه: أحوج ما تكون إليه وأفقر ما تكون إليه.

والخلق: أهون ما تكون عليهم: أحوج ما تكون إليهم.

[مجموع الفتاوى ١/ ٣٩]

❁ دل قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون: ٧٢] على أن بعض المخلوقين يرزق بعضهم كقوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [النساء: ٥].

فيجوز نسبة الرزق إلى المخلوق، لكن لا يجوز إطلاق اسم الرزاق لغير الله.

❁ من أسماء الله (الرب)، الذي يربّيك بإعطائك ومنعك، ومُعافاتك وإمراضك، وإغنائك وإفقارك.

والأب المربي يربي ولده فيمنعه يومًا، ويعاقبه أو يحْرمه مما يحبه يومًا آخر؛ لأنه يعلم مصلحته.

ولله المثل الأعلى، فربّك أعلم بما يصلحك، فارض به ربًّا مدبّرًا، وأحسن ظنك به، ولا يزدْك حرمانه لك إلا حبًّا وتعلقًا به.

❁ أبشر ولا تحزن يا من تجاهد نفسك في دفع الوساوس والشكوك في العقيدة والوضوء والصلاة وغير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كل ما وقع في قلب المؤمن من خواطر الكفر والنفاق فكرهه وألقاه ازداد إيمانًا ويقينًا، كما أنَّ كل

من حدَّثته نفسه بذنب فكرهه ونفاه عن نفسه وتركه لله ازداد صلاحًا وبرًّا وتقوى.

۞ **قال ابن القيم** رحمه الله: ليست هذه المسألة ـ محبة الله ـ من المسائل التي للعبد عنها غنًى، كدقائق العلم والمسائل التي يختص بها بعض الناس دون بعض، بل هذه مسألة أفرض على العبد، وهي أصل عقد الإيمان الذي لا يدخل فيه الداخل إلا بها، ولا فلاح للعبد ولا نجاة له من عذاب الله إلا بها. [طريق الهجرتين ٦٧٧]

۞ من نظر إلى الجهود الكبيرة التي قام بها المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأولاده وأتباعه في تصحيح عقائد الناس ومحاربة الشرك والبدع، وجهود الإمام محمد بن سعود رحمه الله وأولاده في نصرة الشيخ ومؤازرته وتأليف القلوب وتوحيد البلاد وجمعها على راية التوحيد عرف قيمة الأمن والدين الصحيح السالم من البدع والشرك.

۞ كانت البدع والشرك في الجزيرة العربية وغالب بلدان المسلمين منتشرة انتشارًا كبيرًا، وقلّ من سلم منها.

فيسر الله ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وأيدها الله بالإمام محمد بن سعود وأولاده رحمهم الله، فانتشر التوحيد إلى يومنا هذا.

۞ دعوة المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مباركة، ولطالما حُوربت، وبقيت ثابتة قوية؛ لأنها أُسِّسَت على الحق، قال الشيخ عبد الله البسام رحمه الله عن أحد الذين حاربوها من أهل العلم: فهذا الشيخ.. قد شرب من مشايخه عداوة الدعوة السلفية، وقد صنف في الردّ عليها كتابًا سماه: الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود، إلا أن الله أبقى هذه

الدعوة الطيبة في نموّ وتوسع، وذهبت رعوده وبروقه». [علماء نجد ٨٨/ ٤]

۞ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ لا يدعو لنفسه ولا لمذهبه ولا لجماعته، بل ينهى الناس عن طاعته.

إنما يدعو إلى الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، وتقديمهما على كل قول ورأي.

فاقرأ كتبه تجد ذلك جليًّا واضحًا، وإياك والوقوع في شباك الحملات المغرضة ضده رَحِمَهُ اللهُ، التي تسعى الى تشويه دعوته وتوجهه من زمنه إلى وقتنا الحاضر في الشرق والغرب..

ومما يدل على ذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ: «يا عباد الله لا تطيعوني، ولكن تفكروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله».

۞ كل أمة تفخر بعلمائها، وتبذل قصارى جهدها لإظهارهم والتعريف بهم، فكيف بالإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ الذي أنقذنا الله بسببه من الشرك والبدع، بل وأنقذ به ملايين الناس؟

فلنحرص على إظهار شمائله ودعوته.

فجزاه الله عنا خير الجزاء، ورحمه وغفر له، وجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة..

۞ ليس بين المشرك وبين الخلودِ في النار إلا الموت، والموت أقرب غائب يُنتظر! فما أعظم مِنَّة الله تعالى علينا بالتوحيد الخالص، والعقيدة الصافية!، فاللهم ثبتنا على ما يرضيك.

۞ لا يصح إسلامك إلا بمعاداة وبغض المشركين بالله.

قال ابن تيمية رحمه الله: لَا وَلَاء لله إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ من عَدو الله وَرَسُوله.

[قاعدة في المحبة ١٦٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: ما نجا من نجا من الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله..

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فتأمل.. إن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك، فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله..

۞ أمر الله بالكفر بالطاغوت، قال ابن القيم رحمه الله: وهو كل ما تجاوز العبد به حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرةٍ من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فالحذر الحذر من عبادة أحد هذه الطواغيت.

۞ دين الإسلام دين العقل والفطرة، وكلّ من خالف ما فيه فليس معه إلا شُبَهٌ وظنون وشكوك، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: «المخالفون للكتاب والسُّنَّة والإجماع، والمُدَّعون حصول القواطع العقلية: إنما معهم شُبَهُ المعقولات لا حقائقها». [جامع المسائل ١/ ٦٤]



الأدلة والحجج

۞ من أعظم فوائد الرجوع إلى مصادر الأقوال المنقولة: العثور على كلامٍ أعظم وأفضل من الذي رأيتَه، ومن قلة الأمانة: إثباتك للمصدر دون الرجوع إليه.

۞ إفتاءُ الناس بوجوب أمور عليهم بلا أدلة صحيحة صريحة: أمرٌ خطير.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: إيجاب ما لم يجب أشد من إسقاط ما يجب؛ لأنه أعظم، وفيه قول على الله بلا علم، وإشقاق على العباد..؛ لأن إسقاط ما يجب تخفيف، وإيجاب ما لم يجب تشديد، والموافق للإسلام التخفيف. الشرح الممتع ٧/٤٠٧.

۞ ما يحتج به المبطل من الأدلة الشرعية والعقلية إنما تدل على الحق، لا تدل على قول المبطل، وهذا عجيب قد تأملته فيما شاء الله فوجدته كذلك. ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ

۞ لا ترد الصواب لهوان صاحبه:

لا تحقرنّ الرأي وهْو موافق   حكم الصواب إذا أتى من ناقص
فالدّرّ وهْو أجلُّ شيء يُقتنى   ما حطَّ قيمته هوانُ الغائص

۞ «وقد تدبرت ما أمكنني من أدلة الشرع فما رأيت قياسًا صحيحًا يُخالف حديثًا صحيحًا، كما أن المعقول الصريح لا يخالف المنقول الصحيح». ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ

۞ التجرُّؤ على الفتوى بغير علم كذب على الله تعالى، والروايات عن الإمام مالك في «لا أدري» و«لا أحسن» كثيرة؛ حتى قيل: لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك لا أدري لفعل! [السير: ٨/١٠٨]



الحق والثبات عليه

۞ الغالب أن الباطل لا يستمر زمنًا طويلًا، وصاحبه دائمًا متزلزل، فإذا جاء الحق ووجد أنصارًا فإنه لا يلبث أن يدمغ الباطل وتكون العاقبة لأهله. محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ لا تحسبوه شرًّا لكم..

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من سُنَّة الله أنه إذا أراد إظهار دينه: أقام من يعارضه فيُحق الحق بكلماته ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه».

۞ الناس أقسام أربعة:

١ ـ من يريد الله بمراد الله، وهو المخلص المتبع.

٢ ـ من يريد الله بمراد نفسه أو شيخه أو مذهبه، وهو المبتدع الذي لم يجعل الكتاب والسُّنَّة مصدر علمه وعمله.

٣ ـ من لا يريد الله ويريد مراده، وهو المنافق، يعمل الصالحات رياء وسمعة.

٤ ـ من لا يريد الله ولا يريد مراده، وهو الكافر.

۞ نعمة الإسلام:

والله الذي لا إلٰه غيره إن الحق الذي جاء في الكتاب والسُّنَّة: أجلى من الشمس، وأنقى من الصفحة البيضاء، وأصفى من المرآة.

والعملُ به: أحلى من العسل، وألذّ من الماء البارد، وأنفع للروح

من الطعام للبدن، ولا يعمى عن رؤيته أو يكسل عن العمل به إلا مخذول، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩﴾ [سبأ: ٤٩].

۞ ينقسم الناس في عبادتهم لله إلى أقسام ثلاثة:

١ ـ الظالم، وهو الذي يعبده على الغفلة والعادة.

٢ ـ المقتصد، وهو الذي يعبده على الرغبة بالثواب والرهبة من العقاب.

٣ ـ السابق، وهو الذي يعبده محبةً ورغبةً ورهبةً، وإجلالًا وتعظيمًا وهيبة.

وعلامة هذا: أنه دائم الذكر له بقلبه ولسانه، عظيم الشوق للقائه.

۞ إذا أردت أن تعلم مدى ارتباط الإنسان بعاداته وتقاليده وأنها كالصنم تُعبَد وتقدس: فانظر إلى قريش كيف قاتلوا وقُتلوا وأخرجوا قومهم لأجلها!

ولا حجة لهم في ذلك سوى قولهم: أنترك دين آبائنا وأجدادنا؟

فاحذر من التقيد بعاداتك وطباعك فهي تأسرك وتقيّدك.

واجعل شعارك: سأدور مع الحق أينما دار.

۞ كلمات لاستنهاض همم الصالحين:

١ ـ قوة الباطل ليس منشؤه من قوة أتباعه وعزيمة أصحابه ومكْر رؤسائه.

بل من عدم جدّية أصحاب الحق وضعف هممهم وعدم تضحيتهم وقلة بذلهم.

كانت الفرس والروم قوة عظمى لا يتجاسر أحد أن يناطحهم، فثار في وجوههم (قلة) من أصحاب الحق فكسروهم وأذلوهم.

فظهر الحق وزهق الباطل.

٢ ـ إن ظهور الباطل يأتي من قِبَلك يا صاحب الحقّ؛ بسبب ضعفك، وتركك الجدّ في نصرة الحق ونشره، وانشغالك بنفسك، وانقطاعك عن إخوانك من أهل الحق، وعدم تواصلك معهم؛ لتثبيتهم ونصحهم وتكثير سوادهم.

فانْهض وانفُض عنك غبار الكسل والتسويف.

أفلا يُثير حفيظتك جَلَد أهل الباطل في نصرة باطلهم؟

٣ ـ **أهل الحق**: هم الموحّدون المؤمنون، منهم المهندس والطبيب والشاعر والمعلم والجندي والصانع ونحو ذلك.

فنصرة الحق مسؤولية الجميع، بكلمةٍ طيبةٍ، وأخلاقٍ رفيعة، ودعوة ونصيحة للأهل والأولاد، وفي مواقع التواصل وغير ذلك.

فاعمل ما تستطيع لنصرة الحق، ولا تدَعْه لغيرك.

فنصرة غيرك للحق لا يُعفيك من مسؤوليتك أمام الله.

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حذار من رد الحق لمخالفته هواك، فإنك تُعَاقب بتقليب القلب، وردّ ما يَرِد عليك من الحق رأسًا، ولا تقبله إلا إذا برز في قالَب هواك.

۞ حال أهل الباطل مع أهل الحق كما قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل الباطل مختلفة آراؤهم، مختلفة أهواؤهم، وهم مجتمعون على عداوة أهل الحق. [تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧٨]

وأهل الباطل والشهوات اليوم ازدادوا قوةً في باطلهم، فازدد أنت قوةً في الحق، وثباتًا وهمة في نشر الخير بكل ما تستطيع.

۞ خذها قاعدة: «لن يرتفع صوت الباطل إلا إذا غفل أهل الحق».

فلا تغفل عن دينك وعن نصرته بما تستطيع، فتكون سببًا في علوِّ الباطل وأهله.

أسلم أبو بكر رضي الله عنه فبادر مباشرة إلى الدعوة بلسانه وماله، وكذلك فعل عمر رضي الله عنه وغيره.

وأسلم رجال فذهبوا إلى أقوامهم مباشرة مبلغين وداعين.

فماذا ينتظر طالب العلم الذي أمضى سنوات ليدعو وينشر علمه؟

۞ لم يجد الجهلة والأراذل طريقًا لطمس الحق والهدى الذي جاء به النبي محمد ﷺ إلا السخرية به، وهذه حيلة العاجز الصاغر.

قال ابن تيمية رحمه الله: «لا يُوجد من شنأ الرسول ﷺ إلا بتَره الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ٣].. فكل من أبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره».

۞ للمسلمين في هذا الزمان قوة، وللحق صولة، وللدين رسوخ، وللقرآن والسُّنَّة والعلم الصحيح انتشار وقبول.

ولكنَّ ظلَام الباطل ومكْرَ أهله قوي حتى ظنّ الناس أن نور الحق قد انطفأ.

وسيأتي اليوم الذي سينقشع فيه هذا الظلام ويضعف أهله..

فيُشعّ نور الحق المبين.

فابحث عن الحق وأهله وإياك والباطل فإنه زاهق.

مداخل الشيطان

۞ عند المواقف التي تستفزك وتغضبك، أو تُثير شهوتك:

تتردّد عادة ثواني معدودة بين أمرين قبل أن تقرّر ماذا تفعل:

الأول: أن تستجيب لداعي الغضب أو الشهوة، والداعي لهذا الهوى والشيطان.

الثاني: أن تمتنع وتُحجم إلى حين التأكد من أن المصلحة في الاستجابة، والداعي لهذا العقل والإيمان.

وانظر فيما مضى من المواقف: هل كنت تفعل الأمر الأول أم الثاني؟

فإن كان الأول: فراجع نفسك وإيمانك، وتفكّر في الأضرار والآثام التي جنيتها واقترفتها.

فكم خسرت من صديق حميم، وقريب حبيب، وكم استَعْديت من عدوّ مكدِّر بغيض؟

وها هي المواقف واللذائذ المحرمة قد ذهبت وولّت، ولكن بقي عقابها وآثارها، وآلام الطاعات ومرارة الصبر قد ذهبت وولّت وبقي ثوابها وآثارها.

فاعزم على التغلب على هواك ونفسك وشيطانك، وإن لم تفعل خسرت المتعة في حياتك، وحصدت السيئات في معادك، ولو لم يكن إلا فوات أجور عظيمة ودراجات عالية في الجنة لكفى.

وإن كان الثاني: فاحمد الله، واسأل الله الثبات والمزيد من التوفيق والهداية والإعانة، فلقد ملكت كنوز الخير والفضل التي حُرمها أكثر الناس.

۞ لا تغترّ بنعم الله عليك، فقد تكون سببَ هلاكك، ولا تحزن على مصائبه، فقد تكون سببَ فلاحك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله تعالى يبتلي عبده: بنعمةٍ تجلب له نِقمة، وبنعمةٍ تجلب له نعمةً أخرى، وبنقمةٍ تجلب له نقمة أخرى، وبنقمة تجلب له نعمة، فهذا شأن نعمه ونقمه سبحانه. [التبيان في أقسام القرآن ص٤٩]

۞ كثيرًا ما يجتهد الإنسان ويتعب في عمله لله تعالى، ثم يعلم أنّه لو عمل بعمل آخر لكان أيسر له وأخفّ، لا سيما مع ثبوت الفضل لهما، فيتحسر ويندم على التعب الذي تكبّده، والأذى الذي لحقه!

مثال ذلك: ذهب رجل للحج، فسلك طريقًا طويلًا للتنقل بين المشاعر، وحينما عاد إلى أهله أو المخيم في مكة أخبر إخوانه بما واجهه من التعب والنصب، فقال له أحدهم: لقد سلكت هذا الطريق، ونحن سلكنا الطريق الآخر، وهو أقرب، وأخفّ زحامًا، فيتحسر على تعبه ونصبه.

وقد أخطأ في ذلك، حيث ندم على ما عمله لله تعالى، وعلى التعب والنصب في سبيل الله، وكل أتعابه في ميزان حسناته، فإذا تحسر وندم على ما عمل، فيُخشى عليه أنْ يذهب أجرُه، ويبقى تعبه، وهذه هي الخسارة.

وكلّ من تعب لأجل الله فلا ينبغي أن يندم ويتحسر عليه، حتى ولو أخطأ في اجتهاده، لأنّه مأجور على اجتهاده ولو أخطأ.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى بقوله ـ جلّ ثناؤه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

فقد حذّر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء الّذين كفروا وقالوا لأجل إخوانهم إذا سافروا للتّجارة والكسب فماتوا، أو كانوا غزاةً، فقتلوا: لو كانوا مقيمين عندنا ما مات أولئك المسافرون، وما قتل أولئك الغازون، «وقرن هذا القول بالكفر مشعرٌ بأنّ مثله لا ينبغي أن يصدر عن مؤمنٍ؛ لأنّه إنّما يصدر من الكافرين». [تفسير المنار ٤/١٥٩]

وبيّن تعالى أنّ التأسّف على ما مضى يكون حسرةً في قلوبهم، والحسرة: الندامة على الشيء الفائت المحبوب والغمّ به، ولا شكّ أنّ من تعب في إدراك شيء، ثم علم أنّه كان بإمكانه تحصيله دون تعب سيندم ويتحسّر، إلا إذا أيقن أن تعبه لن يضيع، وذلك إذا كان في سبيل الله تعالى، فلماذا يندم من تعب لأجل الله تعالى، وهو يعلم أنّ الله تعالى سيجازيه على ما عمل من خير!

❁ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللهُ: يستحب إذا أخذ المؤذن في الأذان أن لا يقوم أي الذي لا يسمع المؤذن؛ إذ في ذلك تشبهٌ بالشيطان.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: لا يقومُ أولَ ما يبدأ ويصبر قليلًا.

❁ الوسواس أساس كلّ الأمراض النفسية والعقائدية:

الوسوسة في الأصل هي الكلام الخفي، ويطلق الوسواس على ما يخطر في نفس المرء من الخواطر الرديئة التي يتوهمها ويتخيّلها، وأعظم مصدر لهذه الوساوس: الشياطين، وإذا لم يدفع الإنسان هذه الوساوس

تشربها، والشيطان يغذي كلَّ إنسان حسب ميولِه وطبعِه، فمنهم من يكون ميولُه ميولًا فكريًا وعقليًا، فيكون وسواسه في العقائد وإعمال العقل واستقلاله، إلى أن يصل إلى مرحلة الإلحاد، وهذه غايته.

ومنهم من يكون ميوله نحو الشهوات والملذات، فيكون وسواسه في تهييج الغرائز الشهوانية، والملذات المحرمة، وتزيينها له.

ومنهم من يكون ميوله نحو حب الرئاسة والشهرة، فيكون وسواسه في تزيين المناصب في عينه، وحب الشهرة والسمعة.

ومنهم من يكون في دينه صلابة، ولم يستطع أن يأتيه من هذه الأبواب، فيكون وسواسه في زيادة صلابته إلى حدّ الغلو والتنطع، إلى أن يؤول به الأمر إلى سفك الدماء أو التكفير واعتزال جماعة المسلمين.

أو يؤول به الأمر إلى الغلو في الاحتياط لدينه وعباداته، إلى أن يخرج عن السُّنَّة، ويزيد في الدين طلبًا للاحتياط، كأن يعيد الوضوء أو الصلاة مرارًا ظنًّا منه أنه لم يأت بالعبادة كما ينبغي، ثم لا يزال يزيده وسوسة في هذا الجانب إلى أن يُصاب بالوسواس القهري، الذي لا يكاد ينفك عنه.

ومنهم من يكون فيه خوف من الجن والعين، فيكون وسواسه في زيادة خوفه إلى درجة اليقين بأنه مُصاب بمس أو عين أو سحر، ويُخيّل إليه أن كل مرض ومشكلة سببها هذه الشيء، ويصل به التخيل إلى مرحلةٍ يوقن فيها بأنه يرى الجان ويخاطبونه!

فأصبح تقبُّل الإنسان للوسواس وعدم مدافعته له أساس كلّ الأمراض النفسية والعقائدية.

وسبب تقبُّل الإنسان الوسواس أمور منها:

١ ـ خلوه من العلم الصحيح النافع.

٢ ـ فراغه وكثرة تفكيره فيما لا ينفع.

٣ ـ إطلاقه لعقله أو لنظره أو لسمعه العنان في التفكير في كل شيء، أو النظر إلى كل شيء، أو السّماع من كل أحد، فتتراكم عليه الشبهات والأوهام حتى تُهلكه.

۞ شؤم المعصية تؤثر حتى في الأماكن، فقد أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونُهي عن القيام فيه.

وبركة الطاعة تؤثر في الأماكن كذلك، كما أثَّرت في مسجد قباء، ولهذا كان له من الفضل ما ليس لغيره من سائر المساجد المماثلة له.

فاحرص على القيام بالطاعات في بيتك ومزرعتك واستراحتك؛ لتحل بها البركة، وتُطرد الشياطين منها.

۞ **من أشد وأشق وأثقل الأشياء على النفس:** أن تجتهد في الإحسان إلى حبيب أو قريب، وتبذل ما تستطيع لإسعاده ونفعه، فيرى هو أنك قد أسأت إليه!

وحاله كمن زرع عنبًا في أرض فأنبتت له بعد تعب شوكًا! فكيف سيكون حاله؟

إنه يقتل في نفسك محبة الخير والحب له.

وأعظم أسباب ذلك سوء الظن والركون إلى وساوس الشيطان.

۞ لقد أعدّ إبليس لك العدّة، وأجلب عليك بخيله ورجله..

أنسيت قوله لربك: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧]، ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ [ص: ٨٢]، ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾ [الأعراف: ١٦]؟

فأعِدّ أنت العدة لرد مكائده، وذلك بأن تتسلح بسلاح الإيمان والعلم، وتتحصن بالتعلق بالله الذي لن ينجيك منه إلا هو.

۞ طريقان خطيران:

١ ـ طريق أهل الغفلة والشهوة وتمييع الدين وتتبع الرخص.

٢ ـ طريق أهل الغلو والتشدد والتحزب.

ونهايتهما واحدة، وهي هدم الدين والتنفير منه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو.

فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين.

فإن وجد في قلب العبد فتورًا ثبّطه وضربه بالكسل والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء.

وإن وجد عنده حذرًا وجِدًّا أمره بالاجتهاد الزائد، وسوّل له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا». [الوابل الصيب لابن القيم ٢٩]

۞ عبرة:

إبراهيم بن بكْروس كان: «فقيها، وقرأ القرآن، وعُني بالحديث أتمّ عناية، واشتغل بالفقه على العلماء ولازمهم، حتى برع وأفتى، ثم أقبل على إلقاء الدروس، ثم تولى منصبًا، فغيّر لباسه وتغيّرت أحواله وأساء السيرة وظلم وفتك».

فتنة المنصب عظيمة خطيرة، قد يبيع العالم والتقيّ لأجله دينه.

۞ بادر بالتوبة من ذنوبك، وأفرْح ربك، فهو يفرح بتوبة عبده،

ويحب التّوابين، ولو لم تكن التوبة أحبّ الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه!

۞ يشم الشيطان قلبك ويتفقد همتك، فإن رأى منك الضعف وغلبة الهوى شن عليك الحرب الضروس في الوسوسة والإغواء والتسلط والتمنّي، وإن وجدك حازمًا ورعًا قوي النفس متغلّبًا على هواك: ضعُفت وسوسته، وطفئت نار سطوته، وقنع منك بأدنى حظ يصيبه منك، ولو بالتخفيف من إقبالك على العلم والعبادة ونفع الناس.

۞ قاعدة عظيمة النفع في دينك ودنياك، وقد قررتها الشريعة المطهرة، وقبِلَتها العقول السليمة:

(اقبل الحق ولا تنظر إلى قائله ولو جاءك من فاسق أو عدوّ).

قال النبي ﷺ عن الشيطان: «**صدقك وهو كذوب**».

وقال الله عن قول ملكة سبأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ: ٣٤]، فقبِل قولها وصدّقه.

۞ علاج كثرة الوساوس والشكوك من خلال التجربة بأمور:

١ ـ الجأ إلى الله بصدق ولا تتعلق بمخلوق: لا بقارئ ولا طبيب.

٢ ـ لا تستطرد وراء الوساوس ولا تفكر فيها.

٣ ـ لا تُعد عبادةً بعد الفراغ منها، فلو شككت بعد انتهائك من الوضوء أنه لم يتم فلا تُعده أبدًا.

وهل الشيطان ناصح لك ليذكرك بما تركته من عبادة ونقص؟

٤ ـ احذر من الفراغ، واشغل وقتك بما ينفعك.

۞ من مكايد الشيطان: تركُ العمل خوفًا من أنْ يقول الناس إنه

مراء؛ لأن تطهير العمل من نزغات الشيطان بالكلية متعذر. [بغية المسترشدين ٩]

۞ **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هجر المسلم العدل من الكبائر، وقد صح قول النبيّ ﷺ: «**فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**»».

فلا يجوز لك أن تهجر أخاك الذي أخطأ في حقك أو قصّر في واجب لك.

وجاهد الشيطان الذي حرّضك على هجره.

أتنتقم لنفسك ونبيّك ﷺ لم ينتقم لنفسه؟

أأنت أكرم منه ﷺ؟

ألا تقتدي به ﷺ؟

تدارك نفسك قبل فوات الأوان.

۞ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتفق أئمة الدين على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرٌ واجبٌ على الناس، وتَركُه سببٌ لعقوبة الدنيا قبل الآخرة.

فلا يَظُن الظانُّ أنها تُصيبُ الظالمَ الفاعلَ للمعصية دونَه مع سكوتِه عن الأمر والنهي، بل تعمُّ الجميعَ». [جامع المسائل ٣/ ٣٨١]



العدل والظلم

۞ أيها الظالم:

ليس الخوف عليك من إنسان ظلمته وله قوة أو عشيرة يستعين بها عليك.

إنما الخوف عليك من ذاك الفقير المسكين المستضعف الذي لا يجد ناصرًا له عليك إلا الله، فالتجأ إليه واستعان به عليك.

فوالله لن يخيبه وقد رفع مظْلمته إليه وحده، وشكاك إليه دون غيره.

فتحلل منه وعجل..

كتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ إلى بعض أمرائه: إذا دعتْك قُدرتك على النّاس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك، ونَفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتُون إليك!

۞ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ۚ﴾ [المائدة: ٨]، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «هذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار ـ وهو بغضٌ مأمورٌ به ـ فإذا كان البغض الذي أَمر الله به قد نَهى صاحبه أن يظلم من أبغضه: فكيف بمن يُبغض مسلمًا بتأويل وشبهة أو بهوى نفس؟ فهو أحق ألا يُظلم»، [منهاج السُّنَّة ٥/ ١٢٧]

فإياك وظلم مسلم موحّد، فوالله ما أفلح من ظلمه.

۞ اعف عمن ظلمك ولا تتردد: قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: لا يكون

العفو عن الظالم مسقطًا لأجر المظلوم عند الله ولا مُنقصًا، بل العفو عن الظالم يُصيّر أجره على الله.

۞ لما أُخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى المعتصم يوم ضرب قيل له: ادع على ظالمك، فقال: ليس بصابر من دعا على ظالم.

وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ سجنه أعداؤه مرارًا، فسمع أخاه يدعو عليهم في حال خروجهم من السجن فمنعه الشيخ وقال له: بل قل: اللهم هب لهم نورًا يهتدون به إلى الحق.

سامح كل من ظلمك، وأبشر بالجزاء العظيم من الله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فسيعوضك الكريم غدًا.

۞ **من أشد أنواع الغيبة وأفظع الظلم**: اغتياب المسلم في دينه وعقيدته، واتهامه بأنه من الجماعة الفلانية بلا برهان قاطع، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعلماء من أول الدهر لم تكن الغيبة عندهم في شيء أعظم من الغيبة في الدين؛ لأن عيب الدين أعظم العيب، فكل مؤمن يكره أن يُذكر في دينه أشد مما يكره في بدنه».

۞ **رسالة إلى كل ظالم بقول أو فعل أو حُكم**: من سنن الله وأقداره الكونية أنّ (مَن أعان ظالمًا سُلّط عليه؛ فإن الله ينتقم من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الظالمين جميعًا). [البداية والنهاية ١٧/٤٥٨]

ما تفعله سيُفعَل بك، عاجلًا أم آجلًا، فإياك والظلم.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

۞ تأملتُ في سير السابقين والمعاصرين فما رأيت ظالمًا تمتّع في حياته وهنأ في عيشه.

ولو علم الظالم ما حلّ بالظالمين من الخزي والألم والنكد وما سيلقونه بعد موتهم إن لم يتوبوا: لكف عن ظلمه.

راجع نفسك أيها الظالم قبل أن تتجرع مرارات وغصصًا فيها حتفك.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

۞ أولئك الظلمة الذين يطالبون الغرماء الذين ليس عندهم شيء:

- لا يخافون الله؛ لأنهم عصوه، فالله يقول: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وهؤلاء لم يُنظروه.

- ولم يرحموا عباد الله؛ لأنهم يكلفون العبد ما لا يطيق، وربما أدى ذلك إلى حبسه.

لأن بعض القضاة يحبس هذا الغريم مع أنه لا يستطيع الوفاء. ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **قول من يقول**: الأصل في المسلمين العدالة: باطل، بل الأصل في بني آدم الظلم والجهل، كما قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢]. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ كان رجل يدنو من مكّي بن أبي طالب إذا خطب فيُحْصي عليه سقطاته، وكان كثيرًا ما يتلعثم ويتوقف بسببه، فلما أكْثر من انتقاده رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه، فأُقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك. تاريخ الإسلام

ما أكثر هذا الصنف من الناس، الذين كانوا ومازالوا من أعظم أسباب تثبيط الهمم.

البدع والهوى

۞ **من أعظم أسباب نشوء البدع والانحرافات العقدية**: قلة أو انعدام من يُعلّم الناس أعمال القلوب، ويعتني بفقه الباطن والرقائق والسلوك، فما أحوج الأمة إلى أمثال هؤلاء، فمثلهم في عهد الصحابة ﷺ والسلف الصالح كثير جدًّا، فصلح حالهم، واستقام دينهم.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن انعدامهم سبب في ظهور البدع.

۞ يومًا سيرد الناس حوض نبيهم محمد ﷺ، فمنهم من يسقون منه لأنهم أحبوه، ويشتاق إلى لقائهم لأنهم كانوا في شوق إلى لقائه.

ومنهم من يُمنعون منه لأنهم ابتدعوا وأعرضوا فيقول لهم: سحقًا لمن غيّر بعدي.

يا له من موقف عظيم؛ فاستعد له.

وإياك أن تبتدع في دينك وتخالف سُنَّة نبيك ﷺ فتُمنع من لقائه.

۞ أَعْمِل عقلك واحذر التقليد، قال محمد رشيد رضا رحمه الله: «لو كان التقليدُ عذرًا مقبولًا لكان أكثر كفار الأرض في جميع الأزمنة والأمكنة معذورين ناجين كالمؤمنين!».

۞ الخوارج قوم مخذولون ـ نسأل الله العافية ـ يستدرجون الجهال عن طريق العواطف، وحالِ الأُمّة، وجور الأَئمّة، ثم يستخدمونهم لقتل المسلمين وتشويه الإسلام وإرهاب أهله.

۞ ما أقبح الخوارج مظهرًا ومخبرًا، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عنهم: وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوّع خلقه كما أراد! [البداية والنهاية ٧/ ٢٢٨]

۞ الفساد الظاهر كان في الخوارج، مِن سفك الدماء، وأخذ الأموال؛ فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بقتالهم وذمّهم. ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

۞ توقير صاحب البدعة مظنةٌ لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

١ ـ التفات الجهال إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس.

٢ ـ أنه إذا وُقِّر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المُحرِّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء.. فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه. الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ.

۞ كلّ مسألةٍ خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرَّحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة. ابن القيّم رَحِمَهُ اللهُ.

۞ يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام، فكفر أهلُها المسلمين واستحلوا دماءهم، وهم إنما قصدوا اتباع القرآن! ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

۞ ينبغي للعاقل أنْ يتمرّن على دفع الهوى المأمون العواقب ليتمرَّن بذلك على ترك ما تُؤذي عواقبه، وليُعلم أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذّون بها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها.

ولهذا ترى مُدمن الخمر لا يلتذّ به عشْر معشار التذاذ من يفعله نادرًا في الأحيان. ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ هل وجود المعاصي وأهلها نعمة في حق المسلمين؟

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كفر الكافر نعمة في حق المؤمنين، فإنه لولا وجود الكفر والفسوق والعصيان، ولولا وجود شياطين الإنس والجن: لم يحصل للمؤمنين من بغض هذه الأمور ومعاداتها ومجاهدة أهلها ومخالفة الهوى فيها، ما ينالون به عليّ الدرجات وعظيم الثواب».

۞ حينما أخبر رسولنا الكريم ﷺ أنّه سيكون دعاةٌ على أبواب جهنم ـ وهم أهل البدع والأهواء ـ قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلْزم جماعة المسلمين وإمامهم**». قال: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها**».

فالْزم أخي وفقك الله جماعة المسلمين وإمامهم، وإياك والجماعات البدعية والقنوات الضالة والمواقع المضلة.

۞ لا يكاد أحد يسلم من اتباع هواه وميله مع حظوظ نفسه، حتى في عباداته وأخلاقه، فتراه يألف عبادة أو علمًا أو خلقًا لمجرد إلفه له ونشأته عليه وموافقته لهواه وبيئته.

والدليل على ذلك: أنه لو طُولب بعمل أنفع وأفضل لتثاقل وشق عليه وتركه.

ومن توفيق الله لك أن تراجع أعمالك: أهي لله خالصة أم لا؟

۞ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليحذر العبد أن يمازج العبودية حكم من أحكام عوائد النفس وصاحبها يعتقدها قربةً وطاعة، كمن اعتاد الصوم

وتمرن عليه فألفتْه نفسه وصار لها عادة، فيظن أن هذا محض العبودية، وإنما هي العادة.

وعلامة هذا: أنه إذا عرض عليها طاعة أيسر منها وأتم مصلحة لم تؤثرها إيثارها لما اعتادته.

۞ قاتل اللهُ الرافضة وانْتَصف لأهل البيت منهم، فإنّهم ألْصقوا بهم من العيوب والشَّين ما لا يَخفى على ذي عَين.

[ابن تيمية رحمه الله في منهاج السُّنَّة ٤/ ٢٤٦]

۞ لا تغتر بالغرائب، فقد روى مسلم أن رجلًا جلس عند مُبتدع فنهاه أيوب السختياني رحمه الله، فقال: إنه يجيئنا بأشياء غرائب.

فقال له: إنما نفرّ من تلك الغرائب!

۞ خطر المنافقين على الأمة عظيم، وذلك بسبب مزجهم الباطل ببعض الحق، حتى إن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يستمع لهم لحسن منطقهم، قال الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قد أخبر الله سبحانه أنّ فينا قومًا سماعين للمنافقين يقبلون منهم، وإنما عدّاه باللام لأنه متضمن معنى القبول والطاعة، كما قال الله على لسان عبده: «سمع الله لمن حمده»؛ أي: استجاب لمن حمده، وكذلك ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾؛ أي: مطيعون لهم، فإذا كان في الصحابة قوم سماعون للمنافقين فكيف بغيرهم؟»

فاحذر من الاستماع للمبتدعة والمنحرفين، وابْتعد عن متابعتهم في مواقع التواصل، فالشُّبَه خطافة، فقد تخطف قلبك شبهةٌ يبقى شؤمها إلى موتك والعياذ بالله..

❁ الرد على أهل البدع وكشف عوارهم وبيان حالهم ليُحذر منهم ومن منهجهم المنحرف من ضروب الجهاد في سبيل الله.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرادّ على أهل البدع مجاهد.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكلام في أهل البدع ومَن عندهم أفكار غير سليمة أو منهج غير مستقيم: ليس من الغيبة، بل هو من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين.



الجدال والحسد

۞ إلى كل من دخل في جدال:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صح عن الشافعي أنه قال: ما ناظرت أحدا على الغلبة». [طبقات الشافعيين ١/٥٨]

أي ما جادلت أحدًا بنية أن أتغلّب عليه وأُقنعه، بل بنية طلب الحق، فإن كان الحق معه اتبعتُه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يُخطئ، ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه».

بهذه النيّة الصالحة رفعه الله وبارك في علمه وعمره مع قِصَره.

ولو أن كلّ أحد نوى هذه النية عند النقاش والجدال: لهداه الله للحق وسدده بإذن الله.

۞ الجدال ليس مذمومًا مطلقًا، بل قد يكون مأمورًا به كما قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] ويكون محرمًا في حالتين:

١ ـ إذا كان بغير علم.

٢ ـ إذا كان في نصرةِ باطل أو ردّ حقٍّ بعدما تبين.

۞ قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صرَفَ التعصبُ للمذاهب كثيرًا من العلماء الأذكياء عن إفادة أنفسهم وأمتهم، وجعل كتبهم فتنة للمسلمين اشتغلوا بالجدل فيها عن حقيقة الدين!

۞ قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تلاميذه الذين يكبرهم بأكثر من عشرين عامًا:

- **الدمياطي**: الإمام المفيد الحافظ.
- **ابن كثير**: الإمام الفقيه المحدث الأوحد البارع.
- **صلاح الدين الصفدي**: الإمام العادل الأديب البليغ.

المعجم المختص بالمحدثين.

القلب إذا سلم من الحسد والكبر: كرم اللسان وجاد بالثناء والمدح والشكر.

۞ حسدُ الإنسان لمن فُضّل عليه من أبشع الطباع وأبغض الصفات، فهو خلق إبليس، وهو الذي جرّأ إخوة يوسف على التخلص منه.

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التخلص من مزاحمة الفاضل بفضله لمن هو دونه فيه أو مساويه بإعدام صاحب الفضل: أكبر جريمة؛ لاشتمالها على الحسد، والإضرار بالغير، وانتهاك ما أمر الله بحفظه».

۞ رجل قتله قومه لأنه نصحهم، فصعدت روحه إلى الله، وقيل له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]!

تمنى أن يُطلعهم الله على حاله ليتوبوا كيلا يعذبهم!

فلم يحمل الحقد والعداوة حتى على من سفكوا دمه! ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

إنها رسالة لمن يحمل الحقد على أخيه المسلم ويدعو عليه.

۞ من الحسد الخفيّ:

السكوت عن ذكرِ فضائل أقرانك وأصحابك وغيرهم وعدم الذبّ عن أعراضهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهؤلاء جزاؤهم أنهم يُبْخَسون حقوقهم فلا يُنْصَفون، ولا يُنْصَرون على مَن ظلمهم كما لم يَنْصُروا هذا المحسود.

[تقريب الفتاوى ١٩/ ٢]

فتخلّص من الحسد كلّه، فهو مرض يولّد أمراضًا كثيرة.

۞ **أقول بحق:** قرأت وسمعت عما يحدث بين بعض طلاب العلم والعلماء من حسد وشحناء، ولكن خلال معاشرتي لأقراني ومشايخي لم أر إلا المحبة والترابط والنصح.

وكم سمعت منهم عبارات الشكر والدعاء النابع عن المحبة.

فالحمد لله الذي ألّف بين قلوبنا، وأزال عنا الشحناء والحسد، وأخزى إبليس فلم يحقق مراده.

۞ مسكين أيها الحاسد، أنت في عذاب ونكد، ومن حسدته في نعيم وهناء!

إِنّـي لأَرحَـم حـاسِـديَّ لِـحَـرِّ مـا ... ضَمَّت صُدورُهُم مِنَ الأَوغارِ

نَظَروا صَنيعَ اللَهِ بي فَعُيونُهُم ... فـي جَـنَّـةٍ وَقُـلـوبـهـم فـي نـارِ

إني لك ناصح مشفق: ارفع يديك وادع لمن حسدته؛ لتذوق طعم السعادة والراحة.

۞ أقوى الأسباب المعينة على اندفاع شر الظالم والحاسد:

أن تفرّغ قلبك من الاشتغال به والتفكر فيه، وامسحه من بالك كلما

خطر لك، ولا تلتفت إليه ولا تخفه ولا تملأ قلبك بالفكر فيه.

بل اجعل كامل فكرك في الخوف من الله الذي بيده ناصية هذا الظالم، واجعل حبّه ورضاه همّك، وسيكفيك والله ما أهمّك.

❁ ما أقبح من إذا بلغه عن أخيه المسلم خيرٌ وعملٌ صالح تجاهله ولم يُلْق له بالًا وكأنه لم يسمع، وإذا بلغه عنه خطأ وزلة تحمس وبدا عليه الغضب، وأنكر عليه في وجهه ومن ورائه، وربما شهّر به وسعى إلى إسقاطه والإضرار به.

وهذا علامة من علامات الحسد ومرض القلب.

إِن يسمعوا سيِّئًا طاروا به فَرَحًا منيِ وما سَمِعوا من صالحٍ دَفَنُوا

❁ **ما أجمل هذه الحكمة:**

لا يحملُ الحقْدَ من تعلو به الرُّتبُ ولا ينالُ العُلا من طَبْعُه الغضبُ

الحقد والغضب: داءان مانعان من كل فضيلة وشرف.

❁ وراء فشل كل مشروع نافعٍ ومصلحٍ مخلص: حاسدٌ أحرق الحسدُ قلبَه.

قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ: «أكبر الموانع لارتقاء المسلمين الآن هو الحسد؛ لأن الأمم لا ترتقي إلا بنهوض المصلحين بها، وكلما قام فينا مصلح تصدى الحاسدون لإحباط عمله».

ولا تنطفئ نار الحاسد إلا بإشعالها فيمن حسده.

نعوذ بالله من كل حاسد.



العقل والجهل

۞ ينشأ بعضهم عاقلًا فطنًا، لكنه لم يغذ عقله بالعلم الصحيح والدين القويم، فيطغى عليه الجهل والضلال فيَفْسد عقله، ويهذي بأقوال ويعمل أعمالًا سخيفة.

وينشأ آخر أقل عقلًا وفطنة، لكنه غذى عقله بالعلم والدين، حتى أصبح من أعقل العقلاء وأحكم الحكماء.

وإذا كبر الأول ازداد عقله ضعفًا بخلاف الثاني.

۞ العاقل المنصف: ينظر إلى ما يقال، لا إلى من قال.

لأن الحكمة ضالته والحق مطلبه، فمتى وجدهما أخذهما وعمل بهما، ولم يلتفت إلى من جاء بهما.

والجاهل والمتعصب: ينظر إلى من قال، لا إلى ما يقال.

فإياك وهذا المنهج الأهوج، والطريق الأعوج، الذي ينبئ عن خبث السريرة، وسخافة العقل، وضعف الدين.

۞ أتعلم ما أجل الصناعات؟

صناعة العقول والأفكار، فهي الأساس لكل عمل وصناعة.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أشرف الصناعات: صناعة الفكر، وأرذلها: صناعة العمل، لأن العمل نتيجة الفكر، وهو مدبر به. [أدب الدين والدنيا ص٣٤١]

فاحرص على صناعة عقلك وأفكارك بالعلم النافع والتأمل الصحيح.

۞ لا يُسمَّى أحد عاقلًا مهما بلغ من الذكاء والدهاء إلا إذا كان ساعيًا إلى مرضاة ربه.

وهل يكون عاقلًا من سعى في عمارة دنياه وأهمل دينه الذي ما خلقه الله إلا لأجله؟

وقد ذكر الله ذلك وبيّن أنّ من عصاه لا يعقل، قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ١٠]، وقد كانوا سائسين لدنياهم مثمِّرين لأموالهم.

۞ **من علامات العقلاء:**

١ ـ تحرزهم عندما يتكلمون.

٢ ـ تثبتهم فيما يسمعون.

٣ ـ إيثارهم للسلامة ولو كان فيها خمول ذكرهم، على المخاطرة وخرم المروءة ولو كان فيها غناهم وشهرتهم.

ولسان حالهم:

ما على العاقل المهذّب عار   إنْ غدا خاملًا وذو الجهل سامي
فاللُّباب الشهيُّ بالقشر خافٍ   ومَصُون الثمار تحت الكُمام.

۞ **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه.

ولَلْكف عن شتم اللئيم تكرمًا   أضرّ له من شتمه حين يَشتم»

[تفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٢]

اجعل هذا منهجك في التعامل مع الأحمق وبذيء اللسان، في المجالس، أو مواقع التواصل، أو العمل، وستجد الراحة.

ولا تفكر في كلامه حتى لا يضيق صدرك، بل عامله كأنه لم يقل شيئًا.

۞ إذا تأمل العاقل عيوب نفسه ونعم الله عليه: صغرت في عينه كل أعماله وطاعاته، وصدق ابن القيم رحمه الله حين قال: «من جلّى الله صدأً بصيرته وكمَّل فطرته وأوقفه على مبادئ الأُمور وغاياتها: أصبح كمفلس حقًّا مِن علومه وأعماله وأحواله، يقول: أستغفر الله من علمي ومن عملي. فهو لا يشهد غير فضل مولاه».

۞ مهما كبر ونضج عقْل العاقل إلا أنَّه على خطر من بعض حُجُب العقل التي تسدلها ثلاث مهيّجات، فتجعله يتصرف تصرف المجانين والحمقى.

فعلى كلّ عاقل أن يحذر منها وهي:

١ ـ شدة الغضب.

٢ ـ هيجان الشهوة.

٣ ـ طغيان الغيرة.

فكن على حذر منها ومن مُهيّجاتها ومُسبّباتها، وابْتعد عن كل طريق يقود إليها، فهي سببُ كلّ مصيبة تحدث بين الناس.

۞ ما رأيت أحدًا أخسر ولا أظهر حسرة، ولا أخيب قصدًا، ولا أقل رشدًا ولا أحمق: من المفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام، مع تعريه عن سلوك أمثالهم وقصد أشباههم؛ متوهمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم.

وهيهات!

أنَّى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه؟ وأنَّى ينبل في الدارين إلا بكده؟

روضة العقلاء لابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ «العاقل: يستطيع أن يمنع نفسه من أكثر اللذات الحسية، ولكنه لا يستطيع أن يمنع عقله العلم، وذهنَه الفهم».

[تفسير المنار لمحمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢/ ٩٤]

۞ قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا نُقل لك عن أحد ما تكره، فلا تبادره بالعداوة وقطع الصلة قبل التثبت، وذلك بأن تقابله وتقول له: بلغني عنك كذا وكذا، ثم بعد ذلك تعمل بالمصلحة الشرعية المقتضية للموقف مبتعدًا عن حظوظ النفس، واحذر أن تسمّي له المبلّغ لما يترتب على ذلك من فساد ذات البين.

۞ العاقل يُغلّف كلامه بأحسن غلاف، حتى لو كان كلامه موجّهًا إلى من يبغضه أو ينتقده؛ فإن الطعام الشهي لو كان باردًا لما كان مستساغًا، وإن الهدية لو أحسّ المُهدَى إليه أن فيها منةً لما قبِلها، فكذلك انتقاد الآخرين أو نصحهم أو عتابهم ولومهم، إن لم يكن بأسلوب لطيف رفيق تثاقلته النفوس وعافته ولو كان حقًّا.

قال إبراهيم المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعني الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا وأنا أقول: فلان كذا، فقال: يا إبراهيم اكْسُ ألفاظك أحسنها، فلا تقل: فلان كاذب، ولكن قل: حديثه ليس بشيء.

[التلخيص الحبير ١/ ٤٧]

۞ العاقل لا يفرح بمن مدحه بما ليس فيه، ولا يحزن بمن ذمه بما ليس فيه، فهو أدرى بحقيقة نفسه، وقد بالغ في ذمك من مدحك بما

ليس فيك؛ لأنه نبه على نقصك من جهة، وغشك من جهة أخرى، وبالغ في مدحك من ذمك بما ليس فيك؛ لأنه نبه على فضلك من جهة، وأبان لك حقيقته من جهة أخرى.

❁ نقص العلم مع التقوى خير وأنفع من العلم بلا تقوى، ولذلك تجد كثيرًا من الصالحين متواضعين محبين للخير وأهله، ليس فيهم عُجب ولا ازدراء ولا تسلّط، وهم من عوام الناس.

بخلاف العالم العَرِيَ من التقوى، فتراه إذا سمع موعظةَ واعظٍ ازدراه بلسان حاله أو مقاله، ولم تسمح له نفسه بالجلوس لسماع موعظته.

❁ الشيء الثمين إن لم يُحسن صاحبه التصرف فيه كان عدمه خيرًا منه، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها:

١ ـ العقل، فالعاقل إذا لم يحسن التصرف في عقله كان البليد خيرًا وأسلم وأهنأ عيشًا منه.

٢ ـ العلم، فالعالم إذا لم يحسن التصرف فيه كان الجاهل خيرًا وأسلم وأهنأ عيشًا منه..

❁ كم يُنافح بعض الناس عن رأيه، ويستبدّ بعلمِه، ويذمّ مَن خالَفه، وهذا من أعظم الجهل

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن أعظم الجهل اسْتبدادُ الإنسان بعلمه!

❁ كان العقلاء في الجاهلية والإسلام يتمدحون بقلة الأكل ويذمون كثرة الأكل، قال حاتم الطائي:

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

۞ العاقل يعتبر بغيره.

من أعظم نعم الله علينا في هذا البلد ـ المملكة العربية السعودية ـ أننا نعيش في بلد يحكم بشرع الله، وفي أمن ورغد من العيش، وترابط، ونمو اقتصادي وتفوق عسكري..

ولا أحد يسعى في زوالها ـ مهما كانت مبرراته ـ إلا حاسد أو حاقد أو جاهل..

والواجب ألا نسمح لهؤلاء أن يتمكنوا من مقاصدهم الفاسدة.

اللهم احفظنا بحفظك.

۞ الجهل والهوى يلْعبان بعقول الرجال، كلَعِب الصّبيان بلُعَبهم، فيفعلون أفعالًا لا تُناسِب أعمارهم، ولا تَليق برُجُولتهم.

ولا فرق بينهم وبين كثير من الأطفال إلا بالشّكل والعُمر.

وبالعلم والإيمان تُبنى العقول وتُستَجلب الحكمة.

ولن يرفع الجهل إلا العلم، ولن يدفع الهوى إلا الإيمان.



مواقع التواصل واستخداماتها

۞ لا تغتر بالشهرة:

قال ابن القيم رحمه الله: من له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه: رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا!

۞ لكل شابّةٍ وشابّ ومشهور غافل ولاهثٍ وراء الشهوات والشهرة:

يومًا ما سينكشف عنك الغطاء ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق: ٢٢].

وسترى كل أعمالك وأقوالك وتُحاسَب عليها.

ستبقى مقاطعك وسناباتك وتغريداتك التي ملأتها بما يُرضي هواك ومتابعيك.

لكنها أسخطت ربك الذي خلقك، وستلقاه ليُحاسبك عليها.

حاسب نفسك قبل فوات الأوان.

۞ لا تُتابع مبتدعًا ولا منحرفًا ولا متذبذبًا؛ لأنّ هذا تعظيم له من حيث لا تشعر، وقد يُصيبك ببعض ما تلوّث به فتهلك، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: مَنْ عظّم صاحب بدعة فقد أعانَ على هدم الإسلام!

[حياة السلف: ٤٦]

۞ **المنهج الصحيح في التلقي:**

قال أَبو عبد الله بن منده رَحِمَهُ اللهُ: «طفت الشرق والغرب مرتين، فلم أتقرَّب إلى كلّ مُذَبذب، ولم أسمع من المبتدعين حديثًا واحدًا».

فالعاقل الذي يرجو النجاة لا يأخذ عمن يتذبذب ويتقلب، ولا عن المبتدع، فما عند علماء أهل السُّنَّة خيرٌ مما عنده، ولا يتابعه في مواقع التواصل ولا يقرأ له.

۞ التصوير والإخلاص..

بعضهم إذا ساعد مسكينًا أو حيوانًا أو طيرًا اهتم بالتصوير قبل أن يساعده.

وإذا اعتمر أو ضحى أرسل صورًا وهو يطوف أو يضحي..

فماذا بقي لله؟

ما تفعله لله فمالك وللناس؟

ماذا يُفيدك كثرة المتابعين والمادحين؟

هذا والله سراب.

أبق لنفسك أعمالًا خالصة تسرّك يوم العرض على الله.

۞ تساهُل بعضِ النساء في الكلام الليّن والضحك والمزاح في وسائل التواصل، وسماعُ الرجال كلامهن! من المنكر الذي يجب علينا أن نتواصى بإنكاره ولا نشارك بنشره، وقد قال الله تعالى لأطهر نساء الأرض: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فتَلِنّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق»..

۞ نصيحة للمشاهير:

إن جعلت شهرتك وسيلة لنفع الناس؛ بتبصيرهم أمور دينهم ودنياهم فلك أجر كلّ من انتفع بك.

وإن جعلتها وسيلة لترويج الباطل ونشر الحرام والتبرج والتعلق بالدنيا بتزيينها لهم من خلال تصويرك زخارف الدنيا فعليك إثم كلّ من تأثّر بما تنشر.

«ويل لهؤلاء المشاهير من حساب عسير».

۞ إنّ أخوف ما يخافه العاقل حينما يكتب أو يتكلّم بأحسن وأفضل ما عنده أن يُسأل يوم العرض على الله تعالى: «ما بَالُ أقوالِك تُنَاقِض أفعالَك؟».

۞ حينما تتكلّم أو تكتب عن مسألة شرعية، ثم تتوالى عليك الردود المؤيدة أو المخالفة: فينبغي أن تفرح؛ لأنه يدل على وعْي الناس.

ولو كان الردّ جافًّا فلا تحزن؛ لأن دافع الراد الغيرة على الدّين.

وافرح بالمخالف إذا كان على حقّ كفرحك بالمؤيد؛ لأن الغاية الوصول للحق.

واحذر أن تدافع عن قولك إذا تبين لك عدم صوابه.

۞ إنّ ما تُسطّره في هاتفك أو كتابك هو ما تُسطّره في صحيفة أعمالك، فاسْتحضر وأنت تكتب أنّك تكتب في موضِعَيْن:

- في هاتفك أو كتابك.
- وفي صحيفة أعمالك.

تذكّر ذلك اليوم الذي سيُقال لك: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤].

فلا تكتب إلا ما يسرّك إذا قرأته يوم العرض على الله.

۞ إن حروفك التي تكتبها وكلماتك التي تصفها، إنما تعرض بها عقلك وتنشر بها قيمك ومبادئك، فتأمل جيدًا قبل أن تنشر ما تكتب، فكتابتك تَنْعكس على شخصيتك!!

۞ (حسب ما وصلني)!

بهذه العبارة تُروَّج الشائعات والأكاذيب، ويظنّ قائلها أنه سلِم من الْإثم!

وقد قال النبي ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع**».

۞ طُوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، والويل لمن إذا مات بقيتْ ذنوبه سنواتٍ طويلة يُعذب بها في قبره، كمن ينشُر صورًا محرمة، أو يضع في منزله القنوات الضالة الهابطة.

۞ **نصيحة لمن دخل تويتر:**

١ ـ تابع من تستفيد منه لا من كان مشهورًا.

٢ ـ غالب الهاشتاقات سموم قاتلة فاحذرها.

٣ ـ لا تكن متفرّجًا، بل كن نفّاعًا بفائدة ترسلها بها أو تعيد إرسالها، فربما دخلت الجنة بسببها.

٤ ـ لا تتابع أحدًا على أن يتابعك، فلا مكان منه للمجاملات.

٥ ـ ليس كلّ ما يُثار يجب أن تتكلم عنه.

٦ ـ إياك وما يغضب الله، فسترى يومًا ما كتبت وما نشرتَ، وستُحاسب عليه.

۞ كان النبي ﷺ يغشى مجالس الناس وأسواقهم ومُنتدياتهم يدعوهم إلى الله ويُبلّغهم دينه، وكان يلقى الأذى والإعراض والصد.

ولو قيل له: سنصنع لك منبرًا تُوصل به صوتك إلى أنحاء العالم، ويسمعك كل من أراد سماعك، فهل تراه ﷺ سيتردد في القبول؟

لا أظنّ ذلك، فهو الذي ما ترك موسمًا ولا مجمعًا في مكة إلا وحضره ودعا إلى الله فيه.

فها أنت ـ يا من أكرمك الله بالعلم والاطلاع، صُنعت لك منابر كثيرة يصل بواسطته كلامك إلى أقصى بلاد الهند والسند، ووسط أفريقيا وأطرافها، وشمال أميركا وجنوبها، وغرب سيبيريا وشرقها.

ولو كانت عنده وعند الصحابة رضوان الله عليهم هذه البرامج ـ مثل تويتر وتيلجرام وغيرها ـ التي تصل بها أصواتُهم إلى كل الناس لما هجروها وتركوها للمفسدين.

فانشر فيها دين الله الصحيح السالم من البدع.

فكم لها من الأثر الكبير والنفع العظيم.

بضغطة زر فقط تبلغ الدين لآلاف الناس!

فزك علمك، فإنّ الأمة تحتاجك، وأنت أحوج منهم إلى هذا العمل الذي يُكسبك مرضاة الله تعالى.

وإياك أن تُشغلك لذة العلم عن التعليم.

ويا من كنت نشيطًا في هذه البرامج النافعة وغيرها ثم قَلّ نشاطك: عد فالعَوْد أحمدُ، فوالله ما تدري متى تكون لإحدى كتاباتك أو كلامك الأثر الكبير في إصلاح أفراد أو مجتمعات، وهداية ضالين، وتعليم جاهلين.

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تبليغ سُنَّة النبي ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم.

[جلاء الأفهام: ٤٩٢]

هنيئًا والله لمن سخّر مواقع التواصل للدعوة إلى الله ونشر سُنَّة نبيه ﷺ.

۞ يا أخي..

إذا لم تقدر أن تقول الحق فانشر الحق الذي قاله غيرك ولا تقف متفرجًا.

ومن الحرمان ألا تكون من المصلحين وأنت ترى كثرة المفسدين.

أين الغيرة على دينك؟



من أسباب اجتماع الأمم

لزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج على وليّ الأمر المسلم

۞ **من منهج أهل السُنَّة والجماعة:** لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وعدم الخروج عليه لا بالقول ولا بالفعل.

قال عبادة بن الصامت ﵁: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان.

۞ يسهل على أي حاكم أن يجمع الجنود ويُوفر العَدد من كل نوع بنقد النقود وبذل النفقات، ولكن من أين يُصيب بطانة عقلاء رحماء مُخلصين؟ [تفسير المنار ٤/ ٧٤]

۞ جرى بين الصحابة ﵃ اختلاف كثير، ولم يؤد اختلافهم في الاجتهاد إلى اختلاف قلوبهم وتفرقهم.

وإنما سبب التفرق الذي حدث في الأمة فيما بعد:

١ ـ اتباع الهوى، بتعصب الناس لآرائهم أو آراء غيرهم.

٢ ـ أو بعدم سلامة القلوب من الغل والحسد والكبر.

والصحابة ﵃ قد سلّمهم الله من ذلك، فكانوا أبعد الناس عن اتباع الهوى، وأطهر الناس قلوبًا.

۞ لا يجوز مخالفة وليّ الأمر المسلم ولو كان فاجرًا ما لم يأمر

بمعصية، ولا يجوز التحايل على الأنظمة التي يضعها لمصلحة البلد والناس، وهذا ما عليه علماء أهل السُّنَّة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: لا تجوز معصية الإمام برًّا كان أو فاجرًا، إلا أن يأمره بمعصية الله.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «أهل العلم لا يُرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه كما عُرف من عادات أهل السُّنَّة».

۞ قال الآجري رَحِمَهُ اللهُ: لا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام ـ عدلًا كان الإمام أم جائرًا ـ فخرج وجمع جماعة وسل سيفه: فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم. [الشريعة ص٣٥]

ولْتعلم أنّ التحريض على ولاة أمورِ المسلمين وتأليب العامّة عليهم هي بذرةُ شجرةِ الخروج الخبيثة.

فالزم جماعة المسلمين وإمامهم..

۞ **قال الشيخُ ابنُ عثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: لا تستهينوا بالنظام، نظامُ الدولة إذا لم يخالف الشرع فهو من الشرع؛ لأن الله تعالى أمرنا بطاعة ولاة الأمور في غير معصية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. [لقاءات الباب المفتوح ٢/٥٣]

۞ **رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ **حين قال ـ وكأنه يتحدّث عنا ـ:** «هذا التّفريق الذي حصل من الأمة: علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها: هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها».

۞ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: من سداد الرأي: أنْ يكون شورى بين

أهله، ولا ينفردُ به واحدٌ، وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بكون أمرهم شورى بينهم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ [الشورى: ٣٨].

۞ من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: عدم الخروج على السلطان الجائر إلا إذا رأوا كفرًا بواحًا وامتلكوا القدرة على عزله بدون أن يتسبب عزله في إراقة الدماء؛ لأنّ الخروج عليه عند انتفاء هذه الشروط سيترتب عليه من الفساد والضرر ما لا يُحصيه إلا الله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره ٨/ ٢٢٢: «جور السلطان عامًا واحدًا: أقل إذاية من كون الناس فوضى لحظة واحدة».

۞ قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾، فقد ذكر الله تعالى أربعة مقاصد للمنافقين من بنائهم لمسجد الضرار في عهد الرسول ﷺ.

فمن مقاصدهم: التفريق بين المؤمنين.

فمن سعى في التفريق بين المؤمنين بقول أو فعل فقد وافق وشابه المنافقين في خصلة من خصالهم.

نعوذ بالله من ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا يدلك على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة: تأليف القلوبِ والكلمةِ على الطاعة.

[تفسير القرطبي ٨/ ٢٥٧]

فاحذر ـ أخي المسلم ـ أن تكون سببًا في التفريق بين المؤمنين، بالغيبة والنميمة، أو بالطعن والقدح في أحد رموزهم المسلمين وعلمائهم ودعاتهم، أو بالترويج لمن يفعل ذلك، أو بنشر الأخبار والإشاعات التي

تسيء إليهم، دون أن تتحقق من ذلك وتتأكد تأكدًا تُعذر به أمام الله تعالى.

۞ «ما الذّئابُ الضَّاريَةُ بِأفْتكَ في الْغنَمِ مِنْ فتْكِ الشَّفاعاتِ في إفْسادِ الْحُكُومات والدُّول». محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ [تفسير المنار ٥/٢٦٦]

۞ تأملت جل الصراعات بين المسلمين قديمًا وحديثًا فوجدت من أعظم أسبابها:

١ ـ ألفاظًا موهمة، يُفهم منها حق وباطل.

٢ ـ حظوظًا شخصيّة.

٣ ـ انتماءاتٍ مُفَرِّقة.

فالعنايةُ بالألفاظ، والتجردُ من الحظوظ، ونبذُ الانتماءات لغير الكتاب والسُّنَّة: من أعظم أسباب سلامة الصدور، والإخاء والمودة والاجتماع والتآلف.

۞ **(برجل حكيم)**: قد تُبنى دولة، وتترابط أسرة، وتربح شركة، وتنجح وزارة.

(وبرجل طائش): قد تُهدم دولة، وتتفرق أسرة، وتخسر شركة، وتفسد وزارة.

۞ قرأت العديد من كتب التاريخ التي سردت أحداث الناس منذ عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى وقتنا هذا، فتأملت في كثرة الصراعات والقتال والفتن، وفي أسباب سقوط الدول ونهوضها، وأسباب تفشي حالات الانتحار والهموم، فخرجت بأربع كلمات هي خلاصة هذه القراءة: «بالعدل تصلح الشعوب، وبالإيمان تصلح القلوب».

۞ **من أسباب فشل المسلمين**: التنازع ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وإنما كان التنازع مفضيًا إلى الفشل:

- لأنه يثير التغاضب.
- ويزيل التعاون بينهم.
- ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر.

فَيَحْدُث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضًا، فيَصْرِفُ الأمةَ عن التوجه إلى شغلٍ واحدٍ فيما فيه نفعُ جميعهم. ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ نتيجة الجماعة: رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادةُ الدنيا والآخرة.

ونتيجة الفرقة: عذاب الله ولعنته وبراءةُ الرسول ﷺ منهم. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ ذكر الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أمثلة الأدلة القطعية: اجْتماع الكلمة.

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انظر في حكمة الله ومحبته لاجتماع القلوب كيف حرم النميمة وهي صدق؛ لما فيها من إفساد القلوب وتوليد العداوة، وأباح الكذب وإن كان حراما إذا كان لجمع القلوب وجلب المودة وإذهاب العداوة.اهـ.

فاحرص على التآلف وفقك الله.



الحياة في زمن الفتن

۞ في زمن الفتن التي تموج بالشهوات والشبهات والتضييق على المسلمين وحربهم: مكسب كبير، ومنفعة عظيمة جدًّا، وهي أن للعامل بالخير والصابر لله فيها أجر خمسين من الصحابة ﷺ.

فاجتهد في الطاعات ونشر الخير في هذه الأزمان لعلك تنال هذا الفضل العظيم.

۞ يبتلي الله الناس بابتلاءات وفتن عصيبة؛ ليميز الطيّبين من عباده، فيزيدهم طِيبًا وإيمانًا وثباتًا وجهادًا.

فقد ابتلى قرية بتسلط الفجرة فاعتزلهم فتية فخلّد ذكرهم.

وابتلى قرية أخرى بمجرمين أحرقوا المؤمنين في الأخاديد فخلد ذكرهم.

وتحصل ابتلاءاتٌ في هذا الزمان، فهل ستكون من الطيبين الثابتين المصلحين؟

۞ أبشر وأحسن الظن بربك، فالدّين لله ولن يضيّعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من اعتبر أحوال العالم قديمًا وحديثًا، وما يُعاقَب به من يسعى في الأرض بالفساد، وسفك الدماء بغير حق، وأقام الفتن واستهان بحرمات الله: علم أن النجاة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون. [مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٥٠]

۞ من ثبّته الله عند انتشار الفتن فليحمد الله كثيرًا.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الثبات على العلم والإيمان عند وقوع الفتن والشبهات من أعظم النعم؛ فإن من الناس من يؤمن في العافية ثم إذا فُتن ارتد.

فينبغي أن يُعلم أن ثباته على الإيمان عند الفتنة والشبهة من أعظم النعم. [جامع المسائل ٣٩٩/ ١٠]

۞ يا من كنت تصلي في جماعة ثم هجرتها، يا من كانت لك لحية ثم حلقتها، يا من كنتِ محجبة ثم تبرجت، يا من كنتَ تسمع القرآن ثم أصبحتَ تستمع للألحان؛ ما الذي غيرك؟ وهل كان سلفنا في ضلال فعرفت الحق؟ وهل معك حجة تنجيك من عذاب الله؟ عد إلى الله فالحياة قصيرة، والحساب عسير، والوقوف أمام الله أمر خطير.

۞ **أكثر من قول:**

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

«فلا يدري المؤمن أية ساعة تحل فيها به أسباب الشقاء.

ولا يدري الشقي أية ساعة تحفّ فيها به أسباب الإقلاع عما هو متلبس به.

ولذا: كان دأْبُ القرآن قرنَ الثناء بالتحذير، والبشارة بالإنذار».

[التحرير والتنوير ١٨٠/ ٣]

۞ **إذا كنت تعلم أن الله:** مقلب القلوب، ويحول بين المرء وقلبه، وكل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء: فما يؤمنك أن يقلب قلبك ويحول بينك وبينه؟

فلا يفتر لسانك عن قول:

ـ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

ـ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

قلها بصدق.

❁ **ما انتكس أحدٌ بعد هدايته أو سَفَه بعد بلوغ أشدّه إلا بسبب إحدى هذه الأمراض الخطيرة:**

١ ـ حبُّه للشهرة والظهور والصّدَارة.

٢ ـ عُجْبه وغروره واعتداده بنفسه.

٣ ـ احتقارُه للصالحين.

٤ ـ شماتتُه بالمقصّرين.

٥ ـ عدمُ شكره لربه على نعمة الهداية العظيمة.

فاجتنبها أخي المسلم واجتنبيها أختي المسلمة، واسألوا الله الثبات..

❁ يحتاج المؤمن إلى مزيدٍ من العبادة في زمن الفتن، وانتشار الشبهات والشهوات، وكلما اشتد الباطل فينبغي أن يشتد تمسكك بدينك، وكلما قوي أهل الباطل في باطلهم، كان لزامًا عليك ـ إذا أردت النجاة والفوز والثبات ـ أن تقوى في الحقِّ الذي قاتَل ومَات وعُذِّب في سبيله الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم، فاثبت كما ثبتوا، لتفوز كما فازوا.

❁ هنيئًا لمن ثبت على دينه في زمن الفتن وانتشار الشبهات والشهوات.

فكان في صبره عليه كالقابض على الجمر.

استقام حين تنازل كثير من الناس عن كثير من المُسلّمات.

دعا إلى الله بخلقه وقلمه ولسانه حين أحجم بعضهم كسلًا أو ذُلًا

هنيئًا والله لهم.

ما ضرهمْ ما فات من دنياهمُ   فلذيذ عيشهمُ الهنيءُ مؤخّر

۞ كن حذرًا مما تقرأ وتسمع.

قال الأديب الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: انتبهوا لما تنظرون فيه من كتب ومجلات، وما تسمعونه من إذاعات ومحاضرات، وما تشاهدونه من مسلسلات ومسرحيات، ولا تظنوا أن أثر ذلك يذهب مع إكمال الكتاب أو انتهاء المحاضرة أو إسدال الستار على المسرحية، بل إن بعضه يبقى ما بقيت الحياة! [الذكريات ١/١٠١]

۞ إذا كثرت الفتن من حولك وتكالب المجرمون على الدين وأهله فأوصيك بأمور ثلاثة:

١ ـ اعتزل الفتن وأهلها ببدنك ولسانك وسمعك.

٢ ـ انشغل بإصلاح نفسك وأهلك ومن تقْدر عليهم.

٣ ـ أكْثر من الدعاء بالثبات ونصر الإسلام والمسلمين.

قال نبيُّ الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه وقومه: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٨].

۞ من المجالس التي أنصحك بهجرها والهرب منها: مجالس المرجفين والسلبيين الذين يُخبرون بأسوأ ما رأوا وسمعوا.

فلا تسمع فيها إلا الأخبار المحزنة التي تبعث على الإحباط والحزن والضيق، كقول بعضهم:

رأيت فتاة متبرجة.. صديقي انتكس.. انتشرت الفتن وكثر الفساد..

وهؤلاء خالفوا وصية النبي ﷺ بقوله: «**يسروا ولا تعسروا سكّنوا ولا تنفروا**».

۞ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: الجهاد وإن كان فيه قتل النفوس فمصلحته راجحة، وفتنة الكفر أعظم فسادًا من القتل كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

۞ قال بعض العلماء: الخاسر هو الذي يأكل الدنيا بدينه، وأخسر منه الذي يصلح دنيا غيره بفساد دينه!

وما أكثرهم، نسأل الله الثبات على الدين، والنجاة من الفتن، التي تعصف بالأمة.

۞ إذا كان الله قد أثنى على أصحاب الكهف اعتزالهم لأجل الثبات على دينهم، فكيف بمن يخالط الناس في زمن الفتن، وقد أخذ على عاتقه أن يثبت على دينه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وينصح بما يستطيع، بالقول، أو بالرسائل، أو بحسن التعامل، أو بالتربية!

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المصلحين.

۞ يا من كنت في طريق الاستقامة والهداية ثم تراجعت وانتكست واقتحمت المحرمات في أوقات الفتن، اسمع إلى قول الله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] فالناس عند الفتن وانتشار الشهوات قسمان: خبيث وطيب، فمن أيّ القسمين أنت؟

حاسب نفسك اليوم قبل أن تُحاسب.

۞ تأملت في كبار السن ـ خاصة من كانت لهم مكانة وشهرة ـ فوجدتهم قبل كِبَرهم أحد رجلين:

١ ـ مستقيم، فلا يزيده الكبر إلا وقارًا وعقلًا وصلاحًا.

٢ ـ غافل، فلا يزيده الكبر إلا سفاهة وغفلة.

وربما صور نفسه في أوضاعٍ تافهة، وقد كان قبل ذلك يترفع عنها ويأنف منها!

ولسان حاله كما قال الشاعر:

عصيتُ هوى نفسي صغيرًا فعندما   رمَتْني الليالي بالمشيب وبالكبر
أطعتُ الهوى عكس القضيّة ليتني   خُلِقْت كبيرًا وانْتقلت إلى الصغر

فمن عاش على استقامة دام ومات عليها.

۞ قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوصني؟ فقال: «انْو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير».

هذه وصية عظيمة، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها واستمرارها.

فيا لها من وصية ما أعظم نفعها، فنسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين العمل بها.

فمثل هذا تكون وصايا أئمة المسلمين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. [الآداب الشرعية ١/٨٨]

۞ النظرة الإيجابية للمحن:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكفار رحمة في حق المؤمنين الذين جاهدوهم فنالوا بجهادهم أعلى الدرجات، وكذلك وجود الفجار في حق من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حتى ينال أعلى الدرجات.

والله قد ابتلى بعضنا ببعض، فمن أعانه على أن أطاعه في الابتلاء كان الابتلاء رحمة في حقه».

❁ أتدري ما هي أعظم وأخطر فتنةٍ على المجتمعات والرجال؟

قال النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء**».

ففتنة النساء على الرجال أشدّ من كلِّ فتنة، والمحنة بهن أعظم من كلِّ محنة؛ لأنَّ النفوس مجبولةٌ على الميل إليهن، وعلى اتِّباع أهوائهن مع نقص عقولهن وفساد آرائهن إلا من رحم الله.

❁ لا تأمن على نفسك من الوقوع في النفاق أو الكفر، وادع الله كثيرًا أن ينجيك منهما.

قال ابن تيمية رحمه الله: «إذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر ﷺ بقتالهم.

فليُعلم: أن المنتسب إلى الإسلام والسُّنَّة قد يمرقُ أيضًا من الإسلام في هذه الأزمان»...



حقيقة الحياة الدنيا

۞ **حقائق عن الدنيا:**

١ ـ أحقر مما تتخيل. (لا تزن عند الله جناح بعوضة).

٢ ـ أقصر مما تظن. ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً﴾ [يونس: ٤٥].

٣ ـ ظاهرها مرْتع للمتع، وباطنها ممرّ للآخرة، فلا يغرك ظاهرها عن حقيقة باطنها.

٤ ـ الذليل فيها من رَكن إليها.

٥ ـ الفقير من طمع بها.

٦ ـ الخاسر من جعلها ربْحه.

٧ ـ الأحمق من جعلها همّه.

يساق بنو الدنيا إلى الحتفِ عنوةً ... ولا يشعرُ الباقي بحالةِ من يمضي

كأنهم الأنعام في جهل بعضها ... بما تم من سفك الدماء على بعضِ

۞ المؤمن يُجازيه الله في هذه الدنيا ببعض الإحسان؛ كالسعادة والانشراح وتيسير أموره، ويُجازي الكافر ببعض العذاب؛ كالهموم والضيق وتعسير أموره؛ لأن الدنيا أهون عليه من أن تكون موضع كمال إحسانه وعذابه، ولا يكون هذا إلا في الدار الآخرة الكبرى.

فما رضي الدنيا ثوابًا لمؤمن ... ولا رضي الدنيا عقابًا لكافرِ

۞ قد يوجد في هذا الزمان من يترك الوسائل الحديثة زهدًا، كالفرش، والسيارة، والكهرباء!

وقد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: المنافع الخالصة أو الراجحة الزهد فيها حُمق.

۞ مثالنا في هذه الدينا: كمجموعة متسابقين، وبداية السباق مشي على الأقدام في غابة جميلة آمنة، مليئة بالطعام والشراب، وفيها محلاتُ بيعِ حاجاتِ السفر، ثم بعد مسافةٍ قصيرةٍ سيخرجون منها إلى مناطق وعرة، وجبال شاهقة، ووديان سحيقة، وأماكن مليئة بالوحوش، وظلام دامس.

فمن لم يستعد في بداية الطريق ويشتري ما يحتاجه من مصباح وسلاح وأدوات لتسلق الجبال ونزول الوديان: هلك في الطرق.

وهكذا في الدنيا، نحن في بداية الطريق، الذي فيه كثيرٌ من وسائل الراحة والمتعة، وفيه كل ما نحتاج لعدة السفر الطويل الشاق الصعب، وعن قريب سنودِّع الدنيا، فالسعيد منا من استعد الآن وأخذ أهبة السفر الطويل الشاقّ الصعب.

۞ **قال الرازي** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥] وسمى الدنيا بأسرها قليلا ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧]، وانظر كم مقدار هذا القليل حتى تعرف عظمة ذلك الكثير!

۞ كان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إذا ذكر صاحب الدنيا يقول: والله ما بَقِيتْ له ولا بقي لها، ولا سَلِم من تَبِعَتِها ولا شرِّها ولا حِسَابها، ولقد أُخْرج منها في خِرْقة!

وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟

قال: أحلام النائم!

فهل من معتبر؟

۞ أَقْسم الله بالبيت المعمور، ولما عرج بالنبي ﷺ رآه فسأل جبريل عليه السلام عنه فقال: «**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه، إذا خرجوا لم يعودوا إليه**». متفق عليه.

وعددهم منذ عرج إلى يومنا هذا أكثر من ٣٦ مليار ملك! ويزيدون كل يوم.

هذا والسماوات والأرض مليئة بأضعاف أضعافهم.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

ما أعظم ربي سبحانه.

۞ وعدك الله بجنة أقلّ ساكنيها له عشرة أمثال الدنيا..

فما هو سعة مُلك من هو في الفردوس؟

لا تضيّعها بشهواتٍ فانية، وملذات حقيرة، ولهث وراء مناصب الدنيا وزخرُفها ومُتعها.

وحجم الأرض صغيرٌ جدًّا بالنسبة لهذا الكون، والجنة أوسع وأكبر من هذا الكون كله.

وهل تستحق أن تجعلها همك؟

۞ إذا أردت أن تعرف الفرق الكبير العظيم بين هذه الدنيا بكل ما فيها من متع ونعيم، وبين نعيم الجنة: فاسمع إلى هذه الآية وإلى هذا الحديث:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ فلينظر بم ترجع؟**». رواه مسلم.

تأمل كثيرًا فيهما.

۞ لو رأيت يسير ما بقي من عمرك لزهدت في طول ما ترجو من أملك.

تفكر في حالك حينما تدخل قبرك وينصرف عنك أصحابك وأقرباؤك، وصرت تُدعى فلا تجيب، فلا أنت قادر أن تعود إلى أهلك أو تزيد من عملك.

فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة وقبل الحسرة والندامة.

فلا ينفعك مال جمعته، ولا ولد ولدته، ولا منصب تبوّأته، إلا ما كان مما ينفعك بعد موتك.

۞ حياةٌ بعدها موت ليست بحياة؛ ولذلك جاءت في القرآن مقيّدة: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٣٥].

وأما الحياة الآخرة فقد جاءت مطلقة وبصيغة المبالغة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ويقول الكافر يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٤] فلم يعدّ عيشه في الدنيا حياة.

فاجعل همّك الدار الآخرة الخالدة، واعمل لها.

۞ من عرف بأنه لا بد أن ينتقل من هذه الدار كما انتقل غيره، وسيرحل عنها ويتركها لمن بعده كما رحل عنها من قبله وتركها له: فَلِمَ يتخذها قرارًا ويخلدُ إليها؟

وأمامك دار هي الدار التي جَمَعت كل نعيم، وسَلِمت من كل آفة ونقص، وهي التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرتحل نحوها السابقون واللاحقون.

۞ قال أحد الخلفاء للفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أزهدك؟

فقال: «أنت أزهد مني؛ لأني زهدتُ في الدنيا التي هي أقلّ من جناح بعوضة، وأنت زهدت في الآخرة التي لا قيمة لها(١)، وأنا زاهد في الفاني وأنت زاهد في الباقي».

بين يديك فرصة لامْتلاك أعظم مُلك ونعيم لا يفنى، فلا تضيعها فتخسر خسارة لا تُعوَّض.

۞ في الحياة أبواب كثيرة، وكل باب تفتحه تظنه يسلك بك إلى جنة من الأنس ولا مكان فيها للقلق والألم، ولكنها كلها تكون على غير ما ظننت؛ مثال ذلك: المال، والزواج، والوظيفة، والصداقة، والسفر.

سوى بابين فقط: باب العلم النافع والإيمان الصحيح.

وهما اللذان لن يغلقا حتى موتك، فإياك أن تفح كلّ الأبواب وتغفل عن هذين البابين.

۞ ما أتْفه هذه الدنيا، وهي كل يوم تصبّحنا وتمسّينا بموت قريب وحبيب.

يا عجبًا لحال بعض الناس وهو موقن أنه حتمًا سيفارقها يومًا، كيف يلهث وراءها، وكيف يجعل غاية طموحه أن ينال منصبًا أو شهادة، وكيف يخاصم أخاه لأجلها، ويقاطع صديقه بسببها؟

---

(١) أي: لا تُساويها أي قيمة مهما عظُمت.

الدنيا (متاع قليل)، والآخرة: (دار القرار)، فاختر أيّهما شئت.

۞ المعنى الحقيقي للزهد:

هو ترك ما لا ينفعك في الآخرة، وتجريد قلبك عن التعلق بالدنيا والركون إليها.

قيل لبعض العلماء: تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا وأنت تلبس أحسن الثياب وتأكل أطيب الطعام؟

فقال: كلّ ما يُصلحك لله فافعله.

إذا صلح حالك مع الله بلبس ليّن الثياب وأكل طيّب الطعام فلا يضرك.

۞ إذا كان المريض ينظر إلى طيِّب الطعام فلا يشتهيه من شدة الوجع، ولو أكله ما تلذّذ به: فكذلك صاحب الدنيا الذي صرف جل همّه لها لا يلتذّ بالعبادة ولا يجد حلاوتها، وليس في الدنيا أحلى ولا ألذّ منها.

قال الفضيل بن عياض: فرحك بالدنيا يذهب بحلاوة العبادة، وهمك بالدنيا يذهب بالعبادة كلها.



الموت والدار الآخرة

۞ يومًا ما قيل عنك (وُلد).. وسيأتي اليوم الذي سيقال عنك (مات).. وما بينهما كأنه حلم أو سراب.

وحياتك كلها ستراها يومًا ساعة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥].

اعمل لله واجتهد ما دمت في هذه الساعة التي سرعان ما تنقضي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥].

۞ في يوم ما: ستُوضع في حفرة وحيدًا فريدًا غريبًا، وستُلاقي كل ما عملت، وستَلقى خلقًا من خلق الله يُحيطون بك، وسيسألونك عما كنت تعمل: أكان لله وعلى شرع الله؟

والله لو كشف الله عنك غطاء الغفلة لما نسيت هذا اليوم الخطير العظيم المخيف..

أكثر من ذكر الموت، وزر المقابر، واذهب لوحدك للمقبرة..

۞ تخيل فرحتك ببشارة الملائكة لك عند موتك بالجنة وتلقّيهم لك عند الفزع الأكبر، وأخذ صحيفتك بيمينك؟

تخيل فرحتك وأنت ترى أبواب الجنة مفتّحة لك؟

تخيل شعورك عند سماعك كلامَ الله في الجنة ورؤيتك له؟

تخيل سعادتك بلقاء النبيين والصحابة والأحبة؟

لا تضيِّع هذه الأفراح بشهوات فانية وحياة قصيرة.

۞ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الّذي يحصل للمؤمن من البشرى، ومسرّة الملائكة بلقائه، ورفقهم به، وفرحه بلقاء ربّه: يهوّن عليه كلّ ما يحصل له من ألم الموتِ، حتّى يصير كأنّه لا يحسّ بشيء من ذلك». اهـ. [فتح الباري ١١/ ٣٦٥]

اللهم أحسن خاتمتنا، وهوِّن ميتتنا.

۞ **أطول وأجمل سفرة:**

سفر المؤمن بعد موته: ستخترق روحه السماوات السبع، وسيرى خلقًا لم ير مثل أشكالهم وأحجامهم وجمالهم، وسيُنادى بأحسن أسمائه، ثم سينزل من السماء السابعة لقبره في دار البرزخِ مكرمًا، وسيرى أعماله بأحسن صورة، وسيُنعَّم فيه، ثم سيمكث طويلًا.

فيا لجمال ومتعة سفرته، فهنيئًا للمؤمن الموقن بلقاء ربه.

۞ **الموت مصيبة وأيّ مصيبة!**

قال الله تعالى: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦].

ولو لم يكن من مصيبة الموت إلا أن الأعمال الصالحة التي كانت تُرفع ستنقطع وتتوقف!

إلا مَنْ مَنّ الله عليه بأسباب دوامها، كالولد الصالح الذي يدعو له، والعلم الذي يُنتفع به، والصدقة الجارية، ومَن سنّ سنةً حسنة فعمل الناس بها.

۞ يومًا ما ستموت..

وستموت معك طموحاتك وآمالك وشهاداتك وشهرتك ومنصبك، وستخلَّد آثارك وأعمالك التي عملتها في حياتك:

فإن كانت خيرًا: كانت نورًا وسعادة لك في قبرك ويوم لقاء ربك.

وإن كانت شرًّا: كانت ظلمةً وحسرةً عليك في قبرك ويوم لقاء ربك.

فازرع لك أعمالًا صالحةً قبل موتك، فإنك لا تدري متى يُباغتك!

۞ إنَّ دقيقة واحدة يتمناها الميت الكافر ليقول: لا إلٰه إلا الله؛ لينجو بها من النار.

ويتمناها مانع الزكاة ليخرج زكاته لينجو من النار.

ويتمناها القاطع والكاذب والزاني وتارك الصلاة والعاق وآكل الربا ليتوبوا فينجون من العذاب.

وأنت تملك آلاف الدقائق بل أكثر!

فلا تضيعها فتندم كما ندموا.

۞ خَطبَ النبيّ ﷺ فقال: «**عُرضت علي الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**»، فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غطوا رؤوسهم ولهم خنين. متفق عليه

يا تُرى.. ما ذا كان يعلم من تفاصيل أهوال القبر ويوم القيامة؟

إن الدنيا كلها كقطرةٍ في بحر، فلا تغفل عن مصيرك بعد موتك، واستعد وبادر إلى كل عملٍ صالح، فقد تكون آخر أيامك سويعات أو دقائق ثم ترحل إلى عالم غريب عجيب مهيب..

۞ **مَن أشد الناس خسارة وندامة وغبنًا رجلان:**

أحدهما: علّم علمًا ولم يعمل به، وعمل به غيره فنجا به وأفلح.

والآخر: اكتسب مالًا وتعب في جمعه ولم يتصدق به في وجوه الخير، فمات وتركه لورثته لا حساب عليهم فيه، فعملوا فيه بطاعة ربهم.

فيا أيها المعلم اعمل بعلمك قبل أن تعلمه لطلابك، ويا صاحب المال تصدق وأنفق قبل أن يتحول لورثتك.

۞ ما أفضل ما تُهديه للميّت؟

وما حكم إهداء ثواب أعمالك الصالحة للميت وإشراكه بها؟

وهل يُنقْص ذلك من أجرك أو يُكتب لك وله الأجر كاملًا؟

ذكر أهل العلم ـ رحمهم الله ـ أنّ الميّت يصل إليه ما يُهديه له الحيّ من العمل الصالح.

ولكن إذا أهدى الحيّ ثواب عمله ـ كالصدقة والعمرة ـ للميّت: انتقل الثواب له، ولم يكتب للحيّ أجر ذلك العمل، بل له أجر النية الحسنة والإحسان له.

وإن أشركه فيه ـ كأن يقول: اللهم اجعل أجر صدقتي لي ولأبي ـ؟

فقد اختلف العلماء: هل يُنقْص ذلك من أجر الحيّ أو يُكتب له وللميّت الأجر كاملًا؟

ليس في هذا دليل من الكتاب والسُّنَّة، فلا ينبغي الجزم بأحد القولين؛ لأنه من الأمور الغيبية، والعلم بها لا يكون إلا من كتاب الله أو سُنَّة رسوله ﷺ.

وليُعلَم أنّ إهداء الأعمال الصالحة للأموات أو إشراكهم فيها لم يكن أمرًا سائدًا ولا عملًا مشهورًا في زمن الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم.

وقد ورد ذلك عن بعضهم في حالات معينة وأعمالٍ معدودة، كما في الصحيحين أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلِتَتْ نَفْسُها، وأراها لو تكلمت تصدقت، أفأتصدق عنها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

وهذا إنما كان جوابًا على سؤال، وغاية ما يدل عليه الجواز.

فلم يرد عن النبي ﷺ أنه حثّ على إهداء الثواب للأموات، ولو ورد عنه لتسابق الصحابة والسلف الصالح على فعله.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ليس من هدي السلف فعل ذلك كثيرًا، وإنما كانوا يدعون لموتاهم ويستغفرون لهم، فلا ينبغي للمؤمن أن يخرج عن طريقتهم». اهـ. [مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٢٥]

ولكنه ﷺ قد ثبت عنه أنه حثّ على الدعاء للأموات، فقد كان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يُسأل**». رواه أبو داود وصححه الألباني.

فأمرهم بالاستغفار والدعاء له؛ لِعِلْمه أن ذلك أفضل وأنفع ما يقدّمه الأحياء للأموات.

ولم يأمرهم بالصدقة له، وهو الناصح الأمين، ولو علم عملًا أنفع للميت غير الدعاء لأمرهم به.

وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: الأفضل للإنسان أن يجعل الأعمال الصالحة لنفسه، وأن يخص من شاء من المسلمين بالدعاء له؛ لأن هذا هو ما أرشد إليه النبي ﷺ.

وقال: الدعاء للوالدين أفضل من أن تُهْدي إليهما ثواب العمرة، أو ثواب الطواف، أو ثواب القراءة، أو ثواب الصوم، أو ثواب الصدقة. اهـ. [مجموع الفتاوى ٢٤/ ٥٤، ٧٦]

فالدعاء للأموات هو خير ما تقدّمه لهم، وأنفع ما يصلهم منك.

نسأل الله أن يغفر لكل من مات مسلمًا موحّدًا، إنه قريب مجيب.

۞ أين الأمير والمأمور، أين المادح والممدوح، أين الرئيس والمرؤوس، أين الأغنياء وأصحاب الأموال، أين السجين والمسجون، أين الشريف والوضيع، أين الصحيح والمريض؟ ماتوا وواجهوا كلّ ما عملوا من خير وشرّ.

أين الملوك التي عن حظّها غفلت ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

تلك المدائن بالآفاق خالية ... أمست خلاء وذاق الموت بانيها

فلا تنشغل ما دمت في هذه الحياة إلا بالعمل الصالح الذي سينفعك في حياتك وبعد مماتك.

فستذهب ساعات الغفلة، وتبقى مرارات الحسرة.

ستنقضي حلاوة المعصية، وتبقى تبعاتها المؤلمة.

ستزول سكرة الهوى، ويبقى شؤمها فلا يفنى.



الجنة والنار وأحوال يوم القيامة

۞ ثبت في الصحيحين أنّ آخر من يدخل الجنة يُعطى مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

فكيف بأصحاب اليمين والسابقين؟

ولك أنْ تتخيل مدى اتساع الجنة وكِبرها.

۞ كثير من الناس يحفظ قول النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**»، ولكن قل من يحفظ قوله: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه**». رواه مسلم.

ومعنى «عال» أي قام عليهما بما يحتاجان من طعام ولباس، وأدبهما على الأخلاق والحياء، وعلمهما أمور دينهما.

۞ **قال القرطبي** رحمه الله **في قول الله عن أهل الجنة**: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: ٦٢]: «قيل: إنما ذكر ذلك لأن صفة الغداء غير صفة العشاء، تتلون عليهم النعم، وهذا لا يعرفه إلا الملوك!».

ونحن اليوم نعرف ذلك، فصفة غدائنا غير صفة عشائنا، تتلون علينا النعم، ونعيش عيشة الملوك، فلْنشكر الله على نعمه علينا.

۞ بشارة عظيمة لكل من مات له ولد: قال النَّبي ﷺ لرجل مات ابن له يحبه محبة عظيمة: «**أما تحب أن لا تأتيَ بابًا من أبواب الجنة إلَّا وجدتَهُ عندَهُ يسعَى يفتحُ لَكَ؟**» قيل: له خاصة؟، قال: «**بل لكلكم**». رواه

الإمام أحمد، وصححه ابن عبد البر، والألباني وغيرهما رحمهم الله.

۞ سرحت بخيالي يومًا وتفكرت في مقدار الفرحة التي ستغمر المؤمن عندما يضع قدمه في الجنة!

ما شعوره وهو يقترب من أبواب الجنة المفتّحة له!

ما مدى سروره وهو يرى ملائكة الرحمٰن يدخلون عليه من كل باب قائلين: سلام عليك بما صبرت!

أي فرحة ستغمره، وأي بهجة وأي لذة وأي سعادة وأي أنس؟

العبارات تزاحمت عليّ، والخيال عجر عن تصور ذلك..

اللهم إنا نسألك الجنة..

۞ هل استشعرت بصدق أنك موعود بجنة عرضها السماوات السبع بما فيها من مجرات وأفلاك، والأرضين السبع على سعتها وكبرها؟

ابذل وقتك في طلبها، فالعمر قصير.

وابذل ما تستطيع لأجلها.

اقرأ عنها وعمّا أعدّ الله فيها؛ لتزداد لها شوقًا، ولمن وعدك بها حبًّا، ولمن دلّك عليها توقيرًا.

نسأل الله الجنة.

۞ يجمع الله لأهل الجنة أنواع السرور:

١ ـ سعادتهم في أنفسهم ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

٢ ـ ومزاوجة الحور العين ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ [الدخان: ٥٤].

٣ ـ ومؤانسة الإخوان المؤمنين ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الطور: ٢٥].

٤ ـ واجتماع أولادهم بهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

۞ **بشارة عظيمة:**

قال النبي ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**» صححه الترمذي والألباني وغيرهما.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديث جيد الإسناد، وفيه بشارة عظيمة لعموم المؤمنين من الصالحين.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

۞ **أمتع منظر تراه:** رؤية ربك الذي خلقك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢].

وأحسن كلام تقوله: حينما تطأ قدمك الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وألذّ كلام تسمعه: قول الملائكة عند مدخل الجنة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

ثم قول الله تعالى بعد دخولها: «أُحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا».

لمثل هذا فليعمل العاملون.

۞ أعد الله لأهل الجنة من كل صنوف النعيم ومن جميع أنواع

اللذات، فمساكنهم القصور، وتجري من تحتهم الأنهار، وتحفُّهم الأشجار، وتخدمهم الولدان، وأزواجهم الحور الحسان.

فهل هناك ما هو أعظم من هذا النعيم؟

نعم. إنه رضا ربهم عليهم ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

اللهم ارض عنا رضًا لا تسخط علينا بعده أبدًا.

۞ **في الجنة:** كل ما تشتهيه نفسك، وتلذّ عينك، وما لا يخطر على قلبك، وفيها من كل فاكهة زوجان، وخيرات حسان، وولدان يخدمونك، وأنهار وعيون جارية، وقصور عالية، ونعيم وملك كبير، وسيُقال لهم يومًا ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

فاعمل لها ولا تضيّعها بشهوة عابرة، ودنيا فانية.

۞ **دخل الناس النار من ستة أبواب:**

١ ـ شبهةٌ أورثت شكًّا في دين الله.

٢ ـ وشهوةٌ أورثت تقديم الهوى على طاعته.

٣ ـ وغضبٌ أورث العدوان على خلقه.

٤ ـ وحرصٌ أورث الطمع فيما عند الناس.

٥ ـ وحسدٌ أورث البغي على ما عند غيره.

٦ ـ وكبرٌ وعُجب أورث رد الحق واحتقار الناس.

فمن أغلق هذه الأبواب ولم يفتحها: أفلح ونجا.

۞ املأ حياتك واعْمُر أوقاتك بالأعمال الصالحة، فإن من أشد الحسرات أنْ تمر على الصراط زحفًا، وترى من يمرون بين يديك كلمح

البصر وكالبرق، فتتحسّر أشدّ الحسرة على تلك الحياة التي لم تعمل فيها لأجل هذا اليوم العظيم المريع، ثم لا تدري هل تنجو أم تسقط في النار؟

اللهم ارحمنا ونجنا من النار.

۞ عوّد نفسك عدم الانتقام لنفسِك ممن ظلمك بالدعاء عليه أو سبّه أو شكايته، وفوِّض أمْرك إلى الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّ العبد ليشتدُّ فرحُه يوم القيامة بما له قِبَلَ النّاس من الحقوق في المال والنّفس والعرض، فالعاقل يعدُّ هذا ذُخْرًا ليوم الفقر والفاقة، ولا يُبطِله بالانتقام الذي لا يُجدِي عليه شيئًا».

[مدارج السالكين ٣/ ٥٧]

۞ أعظم الغبن يوم القيامة: أنك لا تستطيع أن تعطي أبويك أو ولدك حسنة مع حبك لهم، ولكنك ستُعطي أضعافها شخصًا كرهته فاغتبته! ولذا سُمي يوم التغابن.

۞ **ينتصر الإنسان وينجو إما:**

١ ـ بقوةٍ في نفسِه.

٢ ـ أو نصر غيرِه له.

والفاجر يوم القيامة تخونه قوتُه، ويخذله أحبابه، فلذلك أخبر الله تعالى أنه سَلَب الكفار يوم القيامة القوة والناصر ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق: ١٠].

۞ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: **الإمام العادل:** من أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور يوم القيامة، وذلك جزاءً لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته، وطمعه، وغضبه، مع قدرته على بلوغ

غرضه من ذلك؛ فإنّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين.

۞ يوم القيامة سيكون همّك الأول والأعظم: نفسَك، حتى إن شعار الأنبياء عليهم السلام: نفسي نفسي، ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]؛ أي: تخاصم عن نفسها، وتسعى في خلاصها بالاعتذار، لا يُهِمّها شأنُ غيرها.

فاشتغل اليوم بنفسك، وإصلاح عيوبك.

ولا تشتغل بعيوب وزلات غيرك، فلن تُسأل إلا عن أعمالك لا عن غيرك.

۞ جاء عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**ويل لمن يكذب ليضحك الناس، ويل له**».

فكيف بمن يكذب ليغشهم أو يخونهم؟

ويا ليت الكذاب يستمع لما أعده الله تعالى يوم القيامة له من العذاب الشنيع والعقاب الأليم إن لم يتب أو يتجاوز عنه ربه.

۞ يا لها من حسرة عظيمة، وفاجعة كبيرة، يوم أن تعرض عليك صحيفة عملك يوم القيامة، فترى فيها:

- كان يصلي ثم تركها..
- كان مستقيمًا ثم انتكس..
- كان يصاحب الأخيار فصاحب الفجار..
- كانت محجبة ثم نزعت حجابها..
- كانت من أهل القرآن ثم هجرته..

أي حسرةٍ ستحل بمن كان من الصالحين ثم انتكس بعد ذلك؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: ٢٥ ـ ٢٧].

۞ نار جهنم واسعة جدًّا، ومما يدل على ذلك قول النبيّ ﷺ: «**يُؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**».

أي: ٤ مليار و٩٠٠ مليون ملك!

تخيّل هذا العدد الهائل من الملائكة وهم يجرونها يوم القيامة!

ولا يعلم ضخامتهم إلا الله.

والله إنه لمشهد يبعث على الرعب والخوف من نار جهنم، أعوذ بالله من النار.

۞ عند قيام الساعة تحدث أهوال وأمور عظام، ومن أعظم ما يبين حجم هولها قول الله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧]؛ أي: عاليًا داهيًا فاشيًا.

قال بعض السلف: كان شره فاشيًا في السموات فانشقت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وفي الأرض نُسفت الجبال وغارت المياه.

فلنستعد لذلك اليوم المهيب الرهيب.





قصص وعبر

۞ قالت لي امرأة: رأيت في المنام أني أضع على ابني المريض الذي لا يكاد ينام غطاء لونه زيتيّ.

قلت: ادهنيه بزيت الزيتون، بعد أن تقرئي عليه.

ففَعَلت، فنام بعدها قرابة عشر ساعات، وشُفي من علّته بعد المداومة عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدهن في البلاد الحارة من آكد أسباب حفظ الصحة وإصلاح البدن، وهو كالضروري لهم».

۞ **حسن الخاتمة:**

أعرف رجلًا عَمَر أوقاته بالعبادة والذكر وقيام الليل، وكان يأتي قبل المؤذن في كل صلاة.

وما غفل مع الغافلين، وما انشغل بغير ما يُرضي رب العالمين ـ أحسبه والله حسيبه ـ وفي ليلة من الليالي فرش سجادته ليناجي ربه، فشاء الله أن تصعد روحه إليه وهو على هذا الحال.

فيا لها من خاتمة حسنة!

ومن عاش على شيء مات عليه، نسأل الله حسن الخاتمة.

۞ احذر الشماتة، فما أسرع ما يُبتلى من شمت وعيّر مسلمًا بمثل ما عيّره به.

أعرف رجلًا شمَت بقريبة له قُبض عليها مع رجل خلا بها، وعيّرها وشهّر بها، وبعد مُدة تعلّق بها وافْتُتِنَ بها ثم تزوجها! وهجر زوجته الأولى وأولاده! وانعزل عن الناس معها!

فأكثر من حمد الله عندما ترى من ابتُلي بذنب أو خلق رديء.

۞ قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]:

أُصيب رجل بمرض السرطان حتى تمكّن منه، ولم يزل يراجع المستشفى حتى يأسوا منه، وأعلنوا عجزهم عن شفائه، فحُمل إلى بيت والده نحيلًا ضعيفًا.. فجعل المرض يفتك ببدنه حتى أصبح طريح الفراش لا يفارقه ولا يقوى على الحركة.

فجعل والده يقرأ عليه القرآن كثيرًا من وقته، فدبّت العافية في بدنه يومًا بعد يوم، حتى شُفي ورُزق بذرية بعد ذلك.

أعرف صاحبها وقد حدثني بها.

۞ قصة هداية مُنكرِ القرآن والإسلام:

اتصل عليّ رجل يجحد القرآن والإسلام، وسرد عليّ بعض الشُّبه، فأجبته عليها ثم قلت له:

أريد منك ثلاثة أمور:

١ ـ أنْ تقرأ القرآن بنيّة الهداية.

٢ ـ أن تدعو الله بصدق أن يهديك للحق.

٣ ـ أنْ تُزيل من قلبك الكبر والاستعلاء.

فاتصل عليّ بعد يومين وقال: لقد هداني الله بعد طول إعراض وجحود.

ووجدت الأمن والراحة بعد طول همّ وضيق.

ولو مكثتُ شهرًا على هذه الحالة لانْتحرت من الهمّ والضيق والحيرة.

ولقد تأملت في الآيات التي كنت أراها دالّةً على نقْصه فإذا بي أراها دالّةً على إعجازِه وكماله.

ولقد تعجّبت مليًّا في جحودي له مع وضوحه وكماله وإعجازه.

فقلت: لأنك كنت حينها متكبّرًا فصرف الله عنك فهم كتابه والإيمان به، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦].

فتأمل كيف هدى الله هذا الكافر الجاحد لكتابه ودينه في يومين فقط، حينما صدق مع الله ودعاه وطلب منه الهداية وطهّر قلبه من الكبر والعُجب.

فوالله لو دعوته وصدقت معه وطهَّرت قلبك من الكبر والعُجب لهداك وأعطاك.

❁ **قال لي مسؤول في أحد البنوك:** دخل عليّ رجل رث الثياب كريه المنظر، فظننته من المتسوّلين، فهممت أن أعطيه بعض المال..

لكنه طلب مني كشفًا لحسابه، فنظرت فيه فإذا هو يملك أكثر من عشرين مليون ريال!

ومع هذا فقد قتّر على نفسه وأهله.

لو لم يكن من مفاسد البخل إلا أن البخيل حُرم لذة الإنفاق والكرم لكفى.

۞ قال لي رجل كان من كبار القساوسة والدعاة إلى النصرانية: «قرأت القرآن بنيّة البحث عن أخطائه، فما أتممت عشر صفحات حتى كاد قلبي ينخلع من عظمته وبيانه وبلاغته وحسنه وجماله، فنطقت الشهادة، وختمت القرآن وتعلمت دين الإسلام، وكرست وقتي للدعوة إلى الله، وقد أسلم على يدي قرابة ٢٠ ألف إنسان».

۞ قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت أبا منصور يقول: أول يوم جلس والدك للقضاء واجتمع الناس: حضرت صلاة الظهر فتأخرت وقلت: يا سيدنا نتجمل بالصلاة وراءك، فقال لي: جمالك: صلاتي وراءك. فَغُرِسَ له في قلوب العامة والخاصة نباهةً وجلالة».

فما أجمل أن يرفع الشيخ والمعلم من قدر طلابه، ويشجّعهم ويقترب منهم.

۞ قال لي أحد من ابتُلي بمرض طال به واشتدّ عليه: كنت أتعبّد لله في بعض الطاعات من أجل الشفاء من المرض الذي أصابني، حتى يئست من الفرج، وشعرت أن الأمر بلا جدوى، ففترت عن العبادة، حتى وقفت على هذه الجملة: (اعبد الله حبًّا لله، وتعبّدًا له، وامتثالًا لأمرِه)، فشعرت حينها أني أسلمت من جديد.

۞ قال لي رجل: رأيت أخي المتوفى ويده مصابة وعليها جبيرة.

فقلت: يده كسبت إثمًا فما هو عمله؟

قال: أنشأ حسابًا وهميًّا في (تويتر) وملأه بالمحرمات مدة سبع سنين!

فيا من أنشأت حسابات أخفيتها عن الناس: لن تخفى على الله وسيُعرض عليك كل ما فيها من صور وكلام محرم.

وعليك إثمها وإثم من قرأها وشاهدها حتى بعد موتك.

۞ لا تدَع هذا الذكر ما عشت:

«لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة كل يوم، وقد صح أن من قاله كان له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي.

قال لي أحد الرّقاة الثقات: «لا أحصي من شُفي من أمراض المسّ والعين حينما أوصيتُهم بهذا الذكر العظيم».

۞ حدثني من أثق به أنّ رجلًا ظلم آخر، فمات الظالم، فطلب من المظلوم أن يسامحه فأبى، فقال: إنك لن تستفيد شيئًا من عقوبة الله له، وسوف يعطيك الله أكثر مما فقدت، فسامحه، فرأى في المنام أن الميت أقبل إليه فرحًا وعانقه.

فيا أخي سامح أخاك، فماذا تستفيد إذا عذبه الله؟ ألا تحب أن يغفر الله لك؟

۞ حدثني رجل بأن زوجة صديقه لا تحمل حتى يقرأ عليها راق، قال: وإذا طال الزمن ذهبنا إليه فرقاها فتحمل بعد رقيته.

وحدثتني امرأة عن صديقتها مثل ذلك.

وكان أحد الرقاة كثيرًا ما يرقي من لم يُرزقن بذرية ثم يحملن بعد ذلك.

فقد أبطل الله ببركة القرآن المانع من حملهن.

فلنعالج أنفسنا بكتاب الله.

۞ موقف أثر عليّ:

امرأةٌ تقف لوقت طويل في الدكان عند المحاسب، ومعها سلة فيها مواد غذائية، ففطن لها شاب ذكيّ، فدفع قيمتها، فرفعت يديها بالدعاء له ثم خرجت فرحةً مسرورة.

ما أسْعده بدعواتها الصادقة، وبتفريج كربتها.

ولن ينسى له الله هذا الموقف العظيم.

وما أجمل أن نتفطن للفقراء المتعفّفين.

۞ القدوة الصالحة:

حدثتني امرأة ثقة أن ابنة أختها كانت تلبس الحجاب الكامل الساتر، فرأتها شابة متساهلة في حجابها، فلحقتها وقالت لها وهي تبكي: لقد تأثرت حينما رأيت حجابك الساتر، وأُعجبت به، وكبرتِ في عيني، ووالله لن ألبس عباءتي هذه بعد اليوم!

أختي المسلمة: كوني قدوة وداعية إلى الله بثباتك على حجابك.

۞ حدثتني امرأة صالحة أنها رأت كلابًا صغيرة كادت تموت من العطش وحرّ الشمس، فسقتهن الماء وظلّلت عليهن حتى عادت أمهن.

وبعد سنوات مرضت مرضًا شديدًا كادت تموت منه ثم شُفيت منه، فرأت قريبةٌ لها في المنام ـ أثناء مرضها ـ أنها بكامل صحتها فقالت: كيف حييتي؟

قالت: أحياني الله بتلك الكلاب.

فكيف بمن يُطعم ويعين مسلمًا موحّدًا!

۞ ماتت امرأة فلم يظهر الحزن على ابنها وقال: أنا مؤمن بالقضاء والقدر، فلذلك لم أحزن على موتها.

فقلت له: سأسألك واصدقني: لو كان ابنك فلان هو من مات فهل شعورك سيكون مثل ذلك؟

فسكت قليلًا ثم قال: لا والله.

فليسأل نفسه كل من فقد أباه أو أمه ولم يتأثر هذا السؤال؛ ليعلم أنّ السبب قد يكون من قسوة قلبه، أو عدم مبالاته بهما وقلّة قدْرهما عنده.

۞ كان السلطان عماد الدين رَحِمَهُ اللَّهُ شديد المحبة للعلماء، وقد ابتنى لهم مدرسة، وشرط لهم طعامًا يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم، وهذا نظر حسن، والفقيه أولى بهذه الحسنة من الفقير؛ لاشتغاله بمطالعته عن الفكر فيما يُقيته. [البداية والنهاية ١٣/٣]

أنفق يا صاحب المال على طلاب العلم وابحث عن المحتاج منهم.

۞ **قصة وعبرة:**

قال لي رجل: ذهبت مع بناتي للبر فصعدن الرمال، ثم نزلن مسرعات، وقد انقلبت وجوههن إلى اللون الأسود، ثم أصبن بإعاقة، فتجرعت مرارة الألم لما حلّ بهن.

وقد سمعت منهن هذه القصة.

العبرة: حذار من ترك قراءة أذكار الصباح والمساء، وخاصة آية الكرسي، وحضُّوا أولادكم الصغار خاصة عليها.

۞ بنى رجل جدارًا ملاصقًا ومرتفعًا على جدار جاره فلحقه أذى منه، وسقط على بيته بعض قطع الإسمنت، فوقف موظف البلدية ليكتب مخالفة عليه فقال له جاره: أنا جاره وقد رضيت بالذي فعل.

فقال له: هذا يضرك.

فقال: لا عليك، والمهم ألا يصل إلى جاري أذى مني، وأما أنا فأحتمل أذاه.

۞ دولة بني أمية عهد جهاد وفتوحات عظيمة، ففي عهد الوليد بن عبد الملك فُتحت الأندلس وأذربيجان وسمرقند وبخارى وخوارزم والهند وأفغانسان، ووصلوا إلى حدود الصين شرقًا وفرنسا غربًا.

وكان أخوه مسلمة وأولاده مروان والعباس قادة الفاتحين.

قال ابن كثير رحمه الله: «حتى عاد الجهاد شبيهًا بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

۞ كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب بن أبي صفرة رحمه الله يُعجّله في حرب الخوارج ويلومُه، فكتب إليه:

إنّ البلاء كلّ البلاء أنْ يكون الرأْيُ لمن يَملكه دون من يُبصره!

[البيان والتبيين للجاحظ ١٥٧]

صدق والله..



وصايا للمسؤولين

❁ **للإخوة المحامين وفقهم الله:**

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] فقد نهى رسوله عن المحاماة عن أهل التُّهم والدفاع عنهم.

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره (٦/ ١١٦): «في هذا دليل على أن النيابة عن المبطل والمتهم في الخصومة لا تجوز، فلا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق».

❁ **(لمن تولّى منصِبًا):** قيل لحكيم: تولى فلان منصبًا وتغيّر، فقال: إنْ كان تغير إلى أحسن فالمنصب أصغر منه، وإن كان تغير إلى أسوأ فالمنصب أكبر منه!

❁ كن على يقين ـ يا من توليت منصبًا ـ أنّ الناس إنما عظَّموك ومدَحوك بعدما تولّيت: لأجل منْصبك، ولو تركتَه لَنَسَوْك وهجروك، فلا تغترّ بثنائهم، ولا تركن إلى تعظيمهم لك..

قال أحد القضاة: لمَّا وُلِّيتُ القضاء وخرجت: وجدتُ الناس واقفين ينْتظروني على الباب، فعلمتُ هوى الناس للدنيا.

❁ دعاء عظيم من النبي ﷺ لكل مسؤول ومدير ووليّ أمر: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**». رواه مسلم.

أثر هذا الدعاء باقٍ إلى قيام الساعة، فاتق الله يا من وُلِّيت أمرًا من أمور المسلمين.

ارفق بهم وأحسن إليهم وإياك ثم إياك أن تشق عليهم!

❁ يا أصحاب المناصب من مدراء ووزراء وأمراء، قال نبيّنا ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى عن هذه المناصب: «**إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدَّى الذي عليه فيها**». رواه مسلم.

فأدوا الأمانة والنصح وأخلصوا في العمل، وإلا كانت مناصبكم خزيًا وعارًا عليكم، وندامة وحسرة.



نصائح وتأملات

❁ **أختي المسلمة**: قال النبي ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: نساء كاسيات عاريات**».

قال ابن عثيمين رحمه الله: لبس النساء أمام النساء الملابس ذات الأكمام القصيرة، والفتحات من جهة النحر أو الظهر أو الساقين، والملابس الضيقة أو الشفافة، ولبس الملابس القصيرة وهو ما يصل إلى نصف الساقين: لا يجوز.

❁ والله إن هذا الدين هو الحق من ربنا فتمسك به ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣].

وهذه الحياة إنما هي متاع الغرور، تغر وتخدع الغافل، وهي ممر ومزرعة، وغدًا تحصد ما زرعت ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩].

والموت يتخطف كثيرًا منَّا، وسيأتي عليك الدور في يومٍ ما، فاستعدّ لما بعد الموت بالأعمال الصالحة.

❁ من الأخطاء المنتشرة قول بعضهم إذا عزم على فعل شيء: قضاه الله، أو: مكتوب أن أفعل كذا.

وهذا خطأ شنيع، فما يدريه أن الله تعالى قد كتبه وقضاه؟

فربما لا يفعله، فيكون قد تقول على الله.

وهذا الكلمة تقولها إذا فعلت وانتهيت، لا على ما عزمت على فعله.

۞ حقيقة النفس:

نفسك لك إن لم تكن لها، وفي سلطتك إن لم تكن تحت سلطتها، وراحتُها في تعبها، ورفعتها في تواضعها، وشرها في اتباع هواها، وخيرها في مخالفة هواها، وفلاحها وصلاحها وعزّها وصفاؤها وراحتها في طاعة ربها.

فبعها لله تربحها، واجعلها تحت مراده لتفوز برضاه.

۞ من السنن المهجورة: النظر إلى السماءِ.

فقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء. رواه مسلم.

وكان إذا قام آخر الليل ينظر إلى السماء ويقرأ أواخر سورة آل عمران. رواه البخاري.

وقد كان ابن تيمية رحمه الله يكثر من تقليب بصره نحو السماء بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الشّمس. [الأعلام العلية ص٣٨]

وفي ذلك حِكم منها:

١ ـ التفكر والاعتبار.

٢ ـ إظهار الحاجة والفقر والضعف، ولو لم يتكلَّم الإنسانُ.

٣ ـ زيادةُ الإيمانِ بمشاهدةِ قدرةِ اللهِ، وعظيمِ خَلْقِه، وإتقانِ صُنْعِه.

۞ نصيحتي لك أخي المريض:

١ ـ كن على يقين أن الذي ابتلاك بمرضك هو اللطيف الخبير البر الرحيم. والبلاء رحمة منه لك إن آمنت وصبرت، وهو خيرةٌ لك ورفعةٌ في درجاتك.

هذا هو الأهم.

٢ ـ تضرع لله في السجود وجوف الليل.

٣ ـ أكثر من الصدقة لوجه الله، لا بقصد الشفاء فقط، حتى تكون خالصة له.

شفاك الله يا رب.

۞ صفتات تعرف بهما أن المُعبر كذاب أو كاهن أو يتعامل مع الجن:

١ ـ عدم اعتماده على رموز الرؤيا، ولذلك لا يقبل أن تسأله عن وجه تعبيره.

٢ ـ القطع دائمًا بما سيحصل في المستقبل، كأن يقول: سيهزم الفريق الفلاني.. ستنجبين ذكرًا.

ولا يجوز التعبير عند هؤلاء، ويجب التحذير منهم وفضحهم وبيان دجلهم.

۞ لا تنظر إلى نقص البدايات، ولكن انْظرْ إلى كمال النهايات، ولا يحزنك قول الأعداء فيك، واجعل همّك وهمتك قبول الله لك.

فهذا يوسف عليه السلام باعه من وجده بثمن بخس.

وقال قوم إبراهيم عليه السلام عنه: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وقال قوم صالح لصالح عليه السلام: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ [هود: ٦٢].

وقال قوم شعيب لشعيب عليه السلام: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود: ٩١].

وقال قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧].

فكانت العاقبة الحميدة لهم، وأبقى الله ذكرهم الجميل بين الناس إلى أن تقوم الساعة.

فأكثر الناس لن يرضوا عنك مهما سعيت في رضاهم، ولن يغفروا لك مهما فعلت واعتذرت وأحسنت وصدقت.

والله تعالى يرضا عنك إذا حمدته ولو على لقمة تأكلها، ويغفر لك كل ذنوبك بطلبٍ صادقٍ منك له أن يغفر لك، ويقربك إليه ويجعلك في أعلى مكان إذا بذلت له ما يُحبّ.

فأحق من تصرف له الحب والرجاء والخوف والخشية هو الله تعالى.

۞ **حكمةٌ لا يستغني عنها أحد**: قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «لَأَنْ أنفع نفسي وحدي خيرٌ لي مِن أنْ أنفع غيري وأتضرر»!!

[صيد الخاطر ١١٨]

۞ معلومة تعجّبت منها حينما قرأتها، وجربتها فرأيت صحتها تمامًا، فأثّرت على تفكيري تجاه الهموم والمخاوف: (٧٠ إلى ٩٠ ٪ من التوقعات السيئة لا تقع)

ولقد مرت علي أمور مقلقة ومصائبُ كثيرة، فكنت أستحضر هذه المعلومة فأجد راحةً عجيبة وطمأنينة كبيرة.

فهوّن المصائب؛ فإنها أصغر مما تظنه بادئ الأمر.

۞ **حقيقة الغرب**: ربع البريطانيين مُصابون بأمراض نفسية!، انتحر كثير منهم بسببها حسب إحدى دراساتهم.

فالحمد لله على الإسلام الذي جلب لنا الطمأنينة.

❁ وقفات وتوصيات مفيدة حول الجوائح والمصائب والمحن:

أولًا: كثيرًا ما تكون الخيرة في المحن والمصائب وما تكرهه النفس، قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

وغالب المحن والمصائب يكون ظاهرها بخلاف باطنها، وأشبه شيء بها: الجوهرة الثمينة التي تعلوها الأتربة، فمن يراها من أول وهلة يحتقرها، ويزهد بها، وينفر منها، وإذا صبر وأزال ما عليها: ظهر جمالها، وعرف حقيقة أمرها، وأيقن أنَّ الغبار قد أخفى جمالها، وهكذا المصائب، تبدو في بادئ الأمر سيئة وحاملة للشر والضرّ، وإذا صبر العاقل وجعل يبحث عن المنح المصاحبة لها حمد الله على عدم اطراحها وكراهتها.

ثانيًا: أنّ الحكمة من ابتلاء الله للناس بالسراء والضراء، والغنى والفقر، والصحة والعافية هي: الرجوع إليه بالتضرع والتوبة، قال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف: ١٦٨]، قال البغوي رحمه الله: بلوناهم بالحسنات: بالخصب والعافية، والسيئات: الجدب والشدة؛ لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا. [تفسير البغوي ٢/ ٢٤٣]

وقال تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢﴾ [الأنعام: ٤٢]؛ أي: «أخذناهم بالفقر والمرض والآفات والمصائب رحمة منا بهم لعلهم يتضرعون إلينا، ويلجؤون عند الشدة إلينا». [تفسير السعدي رحمه الله ص٢٥٦]

فلنرجع إلى الله ولنتب إليه، ولنكثر من الاستغفار والتضرع.

ثالثًا: العاقل في مثل هذه الأزمات يعيد ترتيب أوراقه، ويبدأ

بالتخلص من الحاجات الكمالية، ومظاهر الترف، ويجمع أهله وأولاده، ويخبرهم بما حصل، وأنه يتطلب منهم العون على الاقتصاد، وترك الإسراف والبذخ في الملبس والمطعم والمركب والمسكن، وإن كان الخادم أو الخادمة لا ضرورة في بقائهم فالحزم في الاستغناء عنهم.

وكان يقال: حسن التدبير مفتاح الرشد، وباب السلامة الاقتصاد.

وقال الحكماء: الاقتصاد في كل شيء حسن حتى في المشي والقعود.

رابعًا: يجب أن نتوكل على الله تعالى، فالزرق بيده، وأمور العباد إليه، ومن توكل على الله كفاه، ومن لجأ إليه أعانه على جميع شؤونه، فتوكل على الله ـ أخي المسلم وأختي المسلمة ـ وكن واثقًا به، موقنًا بكفايته، صادقًا في استعانتك به.

وشدة خوفك من نقص رزقك يدل على ضعف إيمانك، ونقص توكلك، وعدم كمال تحقيقك للتوحيد.

خامسًا: إذا كان في الغنى منافع وفوائد، ففي الكفاف ـ وهو التوسط بين الفقر والغنى ـ منافع وفوائد أعظم وأكثر منها، ومن ذلك:

١ ـ خفة الحساب يوم القيامة، قال النبيّ ﷺ: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**». رواه مسلم.

٢ ـ ترك التكبر والعجب المصاحب للغنى ـ غالبًا ـ، ولذلك قال الله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦، ٧]، «فالإنسان ـ لجهله وظلمه ـ إذا رأى نفسه غنيًّا طغى وبغى وتجبر عن الهدى، ونسي أن إلى ربه الرجعى، ولم يخف الجزاء». [تفسير السعدي رحمه الله ص٩٣٠]

٣ ـ أن النبي ﷺ تخوّف علينا من بسط الدنيا، ولم يتخوف علينا من الفقر، قال ﷺ: «**والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**». متفق عليه.

٤ ـ أنَّ الكفاف هو حال نبينا وقدوتنا وإمامنا ﷺ، ووالله لو شاء الله لأجرى الله له أنهار الذهب والفضة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لَمَّا أُوتي بأموال كسرى: «ما فتح الله هذا على قوم إلا سفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم.

وقال: اللهم إنا لا نستطيع إلا أنْ نفرح بما زيَّنت لنا، اللهم إنك منعت هذا رسولك إكرامًا منك له، وفتحته علي لتبتليني به، اللهم سلِّطني على هلكته في الحق واعصمني من فتنته».

[شرح صحيح البخاري لابن بطال رحمه الله ١٠/١٦٩]

۞ أعظم الشكر لربك تعالى على ما أنعم عليك: اعترافك بقلبك أنّ واهب هذه النعم ومسديها هو الله تعالى، فتعظّمه وتنسِبها إليه، ولا تنسبها إلى ذكائك وجهدك، أو علمك وخبرتك.

قال سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف: ٣٨].

۞ كم من مُستَدرَج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه!

وأكثر الخلق عندهم: أن هذه الثلاثة:

١ ـ النعم والرخاء والعافية.

٢ ـ ثناء الناس.

٣ ـ قضاء الله حوائجه وستره عليه: علامة السعادة والنجاح.

ذلك مبلغهم من العلم. مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله ١/ ١٨٩

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لماذا يكون الإنسانُ من الْمُطَفِّفِين؟

لا يحتج لغيره كما يحتج لنفسه، ولا يقبلُ لنفسِه ما يقبله لغيره!

[مجموع الفتاوى ٢٤/ ٨]

❁ رُفع إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أقوام يشربون الخمر فأمر بجلدهم.

فقيل: إن فيهم صائمًا؟

فقال: ابدؤوا به فاجلدوه.

ألم يسمع قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

❁ من الخذلان الانشغال بعيوب من عرف عنهم الصلاح.

قال ابن قدامة رحمه الله عن رجل ابتلي بذلك: قد شغل كثيرًا من زمانه بالرد على الناس في تصانيفهم ومحبة بيان سقطاتهم.

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه.

أفتراه يحب لنفسه بعد موته من ينتصب لكشف سقطاته وعيب تصانيفه وإظهار أخطائه؟

۞ قاعدة تكتب بماء الذهب اجعلها نُصب عينيك:

ما يراه الناس من الأعمال مقربًا إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه.

وإلا فلو كان نفعه أعظم غالبًا على ضرره لم يُهْمله الشارع؛ فإنّ النبي ﷺ حكيم لا يُهْمل مصالح الدين ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين. ابن تيمية رحمه الله.

۞ **بالتجربة وسؤال أهل الخبرة**: سبعة أمور تساهم في سلامة المعدة وخاصة من يعاني من القولون:

١ ـ المشي السريع.

٢ ـ تنظيم الأكل وتقليله واجتناب ما يثير القولون.

٣ ـ شرب ماء اليانسون مع الشمر.

٤ ـ شرب ماء اللومي الأسود المطحون.

٥ ـ عدم النوم بعد الأكل مباشرة

٦ ـ المشي ولو ربع ساعة بعد الأكل بساعة.

٧ ـ تجنب الغضب.

۞ لا تقل يومًا عن أحدٍ من المسلمين رأيتَه أو جالستَه وكنت تراه كبيرًا في نفسك قبل ذلك: سقط من عيني! أو قلّ قدرُه عندي!

فلعله في عين الله عظيم، ولعل قدره عند الله كبير.

وما أدراك! فلعلَّه يحمل قلبًا خاشعًا مخلصًا معظِّمًا لله.

لعلّ له قدم صدق عند الله، فتبوء بالإثم لسوء ظنّك.

۞ ذكر ابن القيم رحمه الله قاعدة تكتب بماء الذهب، والعمل بها من

أعظم أسباب نشر الخير، وتقليل الشر، وصفاء القلوب، وذهاب الأحقاد، قال رَحِمَهُ اللهُ: «كلٌّ من التمس المعاونةَ على محبوب لله مرضيٍّ له أُجيب إلى ذلك كائنًا من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوبِ مبغوضٌ لله أعظم منه. وهذا من أدقِّ المواضع وأصعبها وأشقّها على النفوس». [زاد المعاد ٣/ ٢٦٩]

فإذا طلب منك أحدٌ فعلَ الخير ـ وخاصة فيما فيه نفعٌ للإسلام والمسلمين ـ فلا تمتنع، ولو كنتَ تُبْغضه، وامْتناعك من فعل ونشر الخير على يديه يدلّ على مرض قلبك، وانتصارك لنفسك، وتقديمِ حظوظ نفسك على ما يحبّه الله ويرضاه من نشر دينه، وتبليغ رسالاته، ونفع عباده.

وهو أمرٌ شاقّ على النفس، ثقيلٌ على القلب، إلا إذا كانت النفس طاهرةً صافية، وكان القلب سليمًا نقيًّا من الغل والحقد والانتصار للنفس.

فهو كما قال ابن القيم: «من أصعبها وأشقّها على النفوس».

وقد قال النبي ﷺ يوم صلح الحديبية: **«وَالَّذِي نفسي بيده، لا يسألونني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيها حُرُماتِ الله إلَّا أعْطيتُهمْ إيَّاها»**.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في استنباط الفوائد من صلح الحديبية: «ومنها: أن المشركين وأهلَ البدع والفجورِ والبغاةَ والظلمةَ إذا طَلَبوا أمرًا يُعظِّمون فيه حرمةً من حرمات الله أُجيبوا إليه وأُعطوه وأُعينوا عليه وإن مُنِعوا غيرَه، فيعاوَنُون على ما فيه تعظيمُ حرماتِ الله لا على كفرهم وبغيهم، ويُمنَعون مما سوى ذلك». [زاد المعاد ٣/ ٢٦٩]

لكن هناك حالة واحدة يجب عليك أن تمتنع من قبول طلبه، وهي

إذا ترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه، كمن يكون من أهل البدع والأهواء، ويطلب منك نشر الخير عبر مواقع التواصل التي تُشرف عليها، أو أن يتولّى منصبًا دينيًّا - كالإمامة والخطابة - وإذا تمكّن واشتهر بين الناس نشر ما كان يُبْطنه من الشر والبدع والباطل.

وهذا يحتاج إلى تجرّد وصدق مع الله، وبراءة من حظوظ النفس الأمارة بالسوء، ويحتاج إلى دقّة وتحرٍّ كما قال ابن القيم: «وهو من أدقِّ المواضع».

وكم من إنسان منع غيره من عمل الخير والبرّ لأجل هواه وحظوظ نفسه، فويل له إذا وقف بين يدي الله، كيف سيلقى الله وقد منع مسلمًا ظاهره الصلاح من نشر العلم والخير؟

وبماذا سيجيب الله إذا سأله: لم منعت فلانًا من تبليغ ديني، ونفع عبادي؟

اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، إنك سميع قريب مجيب.



درر من اللغة العربية

❁ **من الكلمات العربية التي تستعملها العامة:**

١ ـ رَيِّض، وهي كنايةٌ عن الأمر الذي يحتاج إلى إحكامٍ ووقتٍ لبُلُوغِه.

٢ ـ القَبْص، وهو تناول الشيء ـ كالجلد ـ بأطراف الأصابع بخفة وعجلة.

٣ ـ الشّرْوى: المِثل. فلان شروى فلان أي مثله.

٤ ـ لَزّ: أي: لصق ولازم، لَزّ يَلزّه لزًّا إذا لصق به.

٥ ـ القاع والقاعة: أرض مستوية لا ارتفاع فيها ولا انهباط، لا بمعنى: أسفل.

❁ من العامي الفصيح قولهم لمن يكثر الإلحاح والطلب: لا تلجّ، أو أنت لجَّة؛ أي: كثير الضجة والكلام، قالوا: لجّ في الأمر: لازمه وأبى أن ينصرف عنه.

❁ كنّا زمانًا نقول عن الرجل إذا سقط وتدحرج: تَكرْفسَ، وهي كلمةٌ عربية فصيحة، وهذا دليل على فصاحة كثير من كلماتنا العامية، وأنَّ لها أصلًا صحيحًا.

❁ من الكلمات التي يستعملها العامة في عكس ما وُضعت له: «البسيط»، فهي تدل على السعة ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً﴾ ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾، وليس من معانيها السهولة والقلّة.

۞ بيّض الله وجهك:

عبارة فصيحة عربيّة بليغة، وكان العرب يقولونها في حقّ من عمل عملًا يُحمد عليه، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لي: إنّ أول صدقة بيَّضَتْ وجْه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيّئ، جئتَ بها إلى رسول الله ﷺ. رواه مسلم

أي: سرَّتْهم وأفرْحتهم.

وهذا يدلّ على أنّ كثيرًا من كلماتنا فصيحة.

۞ تكلف الأسجاع والأوزان ونحو ذلك مما تكلفه متأخرو الشعراء والخطباء والوعاظ: لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم، ولا كان ذلك مما يهتم به العرب.

وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني، كالمجاهد الذي يزخرف السلاح وهو جبان.

[منهاج السُّنَّة لابن تيمية رحمه الله ٧/ ٥٥]



قصائد

السبب الذي جعلني أميل لكتابة الشعر، وقراءةِ كتب العروض والأدب المفيد: أنَّ أحد الأصدقاء كتب لي يومًا بيتين من الشعر، يلتمس مني أن أصاحبه لنزهةٍ بريَّة، فقال:

أخبر أبا عمر إن كنت لاقيه   أني على لُقْيَة الأحباب ولهان

فالنفس رائقة والروح مفعمة   والجو معتدل والطير تزدان

فتحيرت! كيف لي بأن أرد عليه شعرًا؟ وأنا حينها لم أكتب بيتًا واحدًا في حياتي، ولا أحب قراءة كتب الشعر أصلًا!، فكتبت ـ بقدر الإمكان ـ على وزن بيتيْه، وقلت:

جاءت رسالة بالقلب واقعة   من صديق له في القلب وجدان

فالمسجد رابِطُني والعرس أوثقني   فبالصبر أخيَّ أنسٌ وسلوان

فعاتبني بأن البيتين منكسران، وركيكان، فلا هو شعرٌ محكم، ولا هو نثرٌ يُفهم.

فحزّ في نفسي ذلك، وأثقلني عتابُه، وأرَّقني جوابه، ولكن لعلَّه كما قال المتنبي:

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ   فرُبّمَا صَحّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ

ولا زلت أرسل له بعد ذلك ببيتٍ أو بيتين، فيوجعني نقدًا، ويزيدني عزمًا.

فتوقفت عن القراءة في الكتب الشرعية، وجعلت أقرأ في كتب العروض والشعر، حتى تعلمت الشيء الكثير بحمد الله.

فأرسلت إليه مسرورًا فرحًا، وكأنما هي نشوةُ النجاح بعد الامتحان، والانتصارِ في ميادين الطِّعان: بعد عكوفٍ اسْتمرّ لأيام عديدة، وساعاتٍ طويلة، وبحثي وقراءتي في العروض: أُرسل لك هذه الأبيات ـ وهي أول أبياتٍ موزونةٍ قلتها ـ، وأعطني رأيك:

وإذا رغبت بنزهة أو سفرةٍ ... فاقصد صديقك لا عدمت خليلا
إني هويت الشعر فاسمع قولتي ... أمْنُن عليَّ بنصحكَ المأمولا
واصبر على كلف الزمان فإنني ... ألقى كثير اللوم صار ملولا

* * *

ومع ركاكته إلا أنه أكرمني بتشجيعه وثنائه، ولا زلت أكتب وأبحث في الشعر والعروض، وأنهيت عدة دواوين منها ديوان المتنبي وأحمد شوقي والشافعي وغيرهم، وقرأت كثيرًا من ديوان عنترة وأبي نواس وحسان رضي الله عنه، وكتب الأدب ككتب المنفلوطي، حتى رُويَتْ غُلَّتي، وشُفيتْ عِلَّتي، وانتهيت من التفرغ الكامل للشعر والدواوين الشعرية والأدبية، وعُدت إلى القراءة في الكتب الشرعيّة.

وهذه بعض القصائد:

❁ قلت عن إخواننا في سوريا ١٧/ ١٢/ ١٤٣٢:

بكيت اليوم في وقتِ الرُّقاد ... وأقبَلَت الهموم على الفؤادِ
فليت الدمعَ ينفع حين همِّي ... فأملأ من دموعي كلَّ وادي
رأيت الظلم يعلو كلَّ حيٍّ ... وأرضُ الشام تنحو للكساد
عصاباتٌ تجوب الأرض ظلما ... تقتِّل بالرصاص وبالأيادي

ولا ترضا بنصحٍ أو رشاد وتُمْعِنُ بالخراب وبالعِناد
وما رحموا الأرامل والثكالى وما رحموا التَّقيَّ من العباد
ومهما طالت الأيام يغدو هوى الظُّلَّام يومًا للنفاد
فصبرًا في سبيل الحق صبرًا فنور الحق يطفئ كلَّ عادي
وجِدُّوا يا أسود الحقّ دومًا ونادوا للنضال وللجهاد
وما نصرٌ يكون بغير بَذْلٍ وما عزٌّ يكون على الوِساد[1]
فيا ربي أزلْ ظلمًا شديدًا أصاب الناس في شتَّى البلاد

۞ وهذه قصيدةٌ قلتها في رئيس حزب الرافضة في لبنان حسن نصر الله يوم السبت بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٤٣٣: (من الكامل)

يا مَن يُدندن بالجهاد ويدَّعي كُرْهَ اليهود ونُصرةَ الإسلام
هذي الْيَهودُ نَراهمُ بجواركم تلهو وتقتلُ دائمًا بسلام
يا مُدَّعٍ حبَّ الرسول وآله أنت الْمُحبُّ لزُمْرةِ الآثام
وسِلاحُكَ الفتَّاكُ قد أعْددْتَه غدرًا لأهل الحقِّ لا الْإِجْرام
أمْطرته أرضَ العراقِ وأهلَه وَدَهَتْ صَواعِقُهُ بلادَ الشَّامِ
شاركتَ في اليمن السعيد عدوّهم وجَهِدتَ في التقتيل والإعْدام
أَنَعَامةٌ عند العدوِّ مُذلَّلٌ أسدٌ على النسوان والأيتامِ
يا مَنْ أخذتَ من القرامِطِ نهجَهُم لَمَّا استباحوا حُرْمةَ الإسلام
أسْرفتَ في سَفْكِ الدِّماء كأنَّما صيَّرتها حِبْرًا على الأقلام
تبًّا لهذا إنَّ هذا صِنْوُهُم[2] فَهُما لنا حربٌ بلا إحْجام

* * *

(١) وِسَادَة، وِساد: مِخَدَّة.

(٢) قال ابن فارس: الصاد والنون والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلُّ على تقارُب بين شيئين، قرابةً أو مسافةً. من ذلك الصِّنو: الشَّقيق. وعمُّ الرّجل صِنوُ أبيه.

۞ (قصيدة في صديق وفيّ) «١٥/ ٤/ ١٤٣٧»:

قلمي جرى يومًا لِيَكْتبَ قصَّةً ويبوحَ سِرًّا جَلّ عنْ كِتْمانِ
لو كان ما بي هيّنًا لكتمتُه لكنّ ما بيْ فاض كالْفَيَضَانِ
فأتت يديْ واسْتقبلتْ أحضانَه فتعانَقا كتعانقِ الْخِلَّانِ
فجرى حديثًا ما بدا ليَ سالفًا فحفظتُه خوفًا مِنَ النِّسيانِ
وبدا القصيدُ لنصفِ شهرٍ كاملٍ بعد العشاءِ من الربيع الثاني
يا مُنشدًا شعرًا رويدك هذه الـ أبيات تُغني عن فصيح بيانِ
فإذا علمتَ لِمَنْ تخطُّ أنَاملي لَعَذَرْتني وهَمَمْتَ بالإذعانِ
كم مرّةٍ واعَدْتُه فوجدْتُه قُدَّامَ بابِ البيتِ كالْوَلْهَانِ
أمُقزّمَ الْمُتطاوِلِيْنَ تكبُّرًا هلّا برزتَ إليهمُ بِعَيَانِ
يا مُخرسَ الْمِهْذارَ مَدْحًا نفسَه بالفعل منك يَكُفُّ عن هذيانِ
كم مُنْيةٍ صُرِفَتْ وَحَالَتْ مِثْلَمَا قد حيل بين العَيْرِ والنَّزَوانِ
أرخى لها حبل الخطام فقادها فتبخْتَرَتْ كتبختُرِ النشوانِ
والله ما جاد الزمان بمثلِه إلا القليلَ وذاك في نقصانِ
شهدتْ بصدقٍ مَدائِحيْ أخلاقُه وهْي التي ثَقُلَتْ على الميزانِ
وإذا امْتطيتَ أخا الحوائج مُكْثِرًا كلّت يداه وصَدّ كالغضبان
لا تسألِ المعروفَ إلا أهلَه فتبوءَ إنْ خالفتَ بالخسرانِ
وإذا طلبتَ إلى لئيمٍ حاجةً خَلَعَ الْعِذَارَ(١) ولجَّ في(٢) الْهُجرانِ

---

(١) العِذار: الذي يضم حبل الخطام إلى رأس البعير والناقة.
وعذار الرجل: الشعر النابت على العظم الناتئ بقرب الاذن.
تقول منه: عذرت الفرس بالعذار إذا شددت حبله على عاضيه.
ثم يستعيرون هذا فيقولون للمنهمِك في غَيِّه: «خَلَعَ العِذار». ألقى عنه جلباب الحياء كما خلع الفرس العذار فجمح وطمح.
(٢) لج في الأمر لازمه، وأبى أن ينصرف عنه.

يا صاحبي هذا ختام قصيدتي هلا قَبِلتَ اليوم شَجْوَ جَنَانِي

والْمَدحُ محمودٌ إذا ما كان حقَّـ ـًا صحّ في الْمَعْقُول والقرآن

صلَّى الإله على النبيِّ محمدٍ والآل والأصحابِ والإخوانِ

* * *

❁ وقلت هذه القصيدة في أحد الأصدقاء الأوفياء، يوم الأربعاء ١٨/٣/١٤٣٩:

ألا مُبلغًا عني صديقًا سميدعًا[1] ترَى رِفْدَهُ للضَّيفِ ملآنَ مُتْرَعَا

سلامًا فقد طال الفراق وكلّني مُكوثي بلا خلٍّ يُزيل التّوجُّعَ

فعَيْنَيَّ إذْ أوْدَى الفِراقُ سخيَّةٌ فَلا تَجْمُدَا أنْ تَسْتَهِلَّا فتَدمَعَا

إذا ضاق صدري أو تكدّر خاطري عزمنا على اللُّقيا فلبّى وأسْرَعَا

يقود المعالي لا يُرَى الخلُّ ضائقًا وقد أسْعد الخِلَّان دومًا وأوسَعَ

صبورٌ وأوفاه لصحبٍ تَخَالُهم مُلوكًا ويأبى أنْ يُهانَ ويُفجعَ

بشوشٌ وبسَّامٌ وبَذَّالُ مالِه عليهمْ ونِعْمَ الْخُلَّتَان هما مَعَا

ونحظى بِخِلَّيْن هما خَيْرُ مَعْشَرٍ إذا ما اجْتمعنا لا يُرى الهَمُّ طالِعا

يُداريهمُ طوعًا ويرجو رضاهمُ فما تفتأُ الأحزانُ أنْ تتراجَعَ

❁ أَلَمَّت بي مصيبة عظيمة، استمرت قرابة أسبوعين، تعرضت فيها لظلمٍ ومكرٍ عظيمٍ جدًّا، ففرجها الكريم سبحانه، ويسر الله لي بعض الأصدقاء المخلصين، وأخي سُليمان جزاهم الله خيرًا، وثارت قريحتي بهذه الأبيات:

غيومٌ من همومٍ في الظلام توالت لا تُرى إلا أمامي

(١) السَّمَيْدع: السيّد الكريم.

تكالبني اللئام بكلّ صوب ... فأعجزني المصاب عن الكلام
وفارقتُ الفراش لطول غمّي ... وقلبي في اشتعالٍ واضْطرام
مرضت وكدت أن أُردى صريعًا ... وكاد اليأس ينخِر في عظامي
ففرجها إلـه الكون ربي ... وأوكلَ أمرها بعض الأنام
سليمانًا ومَن أعني سواه ... فقال عليّ بالنَّذْل الطّغام
فقارعهم وصارعهم بعزمٍ ... وحزم قاطع مثلَ الحسامِ
فباؤوا بعد مكرهمُ صِغارًا ... كفَأر صار بين يديْ قَطامِ
وفاقوا من سبات التِّيه لَمَّا ... أصيبوا بالأذى من سهمِ رام
ووفقني الكريم لخير صحبٍ ... تنادوا ثم وفَّوا لي ذمامي
فهبّوا كالليوث مزمجراتٍ ... فحلّ النور في حلَكِ الظلامِ
ولن يجزيهمُ حمدي وشعري ... ولو أمضيت وقتي كلّ عام
ويا حزمًا هلمّ وكن رفيقي ... فما عزٌّ يدوم بغيرِ حامي
ومن صحب الكرام فلا يبالي ... وعاش الدهر في برّ السلام

۞ دخلت يومًا دار أمي رحمها الله، فلم أستطع تجاوزه، فجلست أتخيلها في كلّ زاوية منه، وأستذكر كلامها وأمانيها، حيث كانت تقول لنا: إذا شفاني الله تعالى سأجمعكم وأذبح لكم ذبيحة، وأفرش في فناء البيت فرشًا جميلا، وسأصوم عشر ذي الحجة وأتصدق، فعجزت عن كفكفة دموعي، وكبح جماح بناني، فكتبت هذه الأبيات والدمع لا ينقطع:

دمعي جرى هذا المساءُ بحرقةٍ ... وكأنما أبكي بدمعٍ قاني
والفكر جال مشرّقًا ومغرّبًا ... متذكّرًا دهرًا مضى كعيان
مستقبلًا دارَ الحَنَان ومَوْئلًا ... للأهل والإخوان والضيفان
دارٌ بجانب منزلي فأؤمّه ... في غالب الأوقات والأحيان

لِتُزيح عن نفسي همومًا ساقها ... كَبَدُ الحياةِ ونزغةُ الشيطان
دارٌ يَشُعّ النورُ بين جهاته ... والأنسُ فاح وصار كالريحان
دارٌ إذا ما القلبُ ضاق قصدتُها ... فأعودُ منها خاليَ الأحزان
دارٌ غدت كخليّةِ النَّحْل التي ... ظلّت منارًا سائر الأزمان
في وسْطه أمٌّ تعاظم قدرها ... وتجمّلت بالفضل والإحسان
تحنو على أولادها وتحوطهم ... بمزيد عطفٍ خالصٍ وحنان
هي نورُنا هي أُنْسُنا هي روحُنا ... هي نهرُنا تُعطي بلا أثمان
عَجَز اللسان عن الحديث بوصفها ... وخواطري كلّت وحار بناني
عيدٌ لها يومُ الخميس لأنه ... يومٌ لِلَمِّ الشَّمْل والإخوان
لم تبرح الأمراض تنخُر جسمها ... وتئِنُّ في الإسرار والإعلان
فأراحها المولى فأمسك روحَها ... لتعيش عيشًا هانِئًا بأمان
يا صاحب الإكرام والإحسان ... أحسن إليها في المحلّ الثاني
وافْسح لها في قبرها يا ربَّنا ... واجعله روضًا يا عظيمَ الشَّان
والْطُف بشيخٍ لا يزال لفقدها ... يبكي بكاءَ العاشق الولهان
ما ظنّ يومًا أنْ تسيح دموعُه ... ولَهًا وحزنًا للحبيب الدَّاني
وارحم بُنيّاتٍ بَكَيْنَ بحرقةٍ ... وتأسَّفَنْ أسَفًا بلا كتمان
وارحم بنينًا صبَّروا أرواحهم ... وتجلّدوا كتجلّد الشُّجْعان
يا رب فاجْمعنا بها في جنةٍ ... بين القصور وخالصِ العِقْيان

۞ قصيدة في فضل العلم وأثرِه عليّ:

يا لذةً بين كُتْب العلم أعشقها ... لا شيءَ يعدلها مَالٌ ولا سَمَرُ
هي الشفاءُ لأمراضٍ تُؤرّقني ... وهْي الأنيس إذا ما أقبلَ القَمَرُ
بها كُسَبْتُ عقولًا للورى ذهبوا ... أجسادُهم فنيتْ والعلمُ مُسْتَطَرُ

تُعطي الهناءَ بلا مَيْنٍ ولا كدَرٍ ... ولا جدالٍ كما قد يفعلُ البشَرُ
وما بِها مع طويلِ الْمُكثِ أيُّ أذىً ... ولا مَلالٌ ولا عَتْبٌ ولا ضَجَرُ
ماذا اسْتَفَادَ الذي جاب القِفار ومَنْ ... لها مع الصَّحْبِ إذ أوْقاتُهُمْ هَدَرُ
والعُمْرُ ليس له مِن فوتِه عِوَضٌ ... وبئْسَ عُمْرٌ فنى وما له أثَرُ
أقْبِلْ على العلم وابْحَثْ عن مجالسِهِ ... فالعلم عزٌّ ومجدٌ كلُّهُ عِبَرُ
كم عالمٍ كان قبل العلم مُمْتهنًا ... فإذ به عَلَمٌ كالمزنِ يَنْهَمِرُ

۞ قصيدة في مدح الله رب العالمين:

ضَلَالٌ مَا رَأَيْتُ مِنَ الضّلَالِ ... خَواءُ القلب من ذكرِ الْمآلِ
أيا من عاش في لهوٍ وسُكْرٍ ... وأفنى العمر في قيلٍ وقال
تفكّر في مصيرك بعد موتٍ ... فعاقبةُ الضلالِ إلى الْوبالِ
وعذرًا منك يا ربي لِحالي ... فقد أكثرت مِن مدح الرجالِ
ولم أمدحك يا ربي بشعري ... فيا أسفا لأيامٍ خوال
وهل قولٌ يزين بلا مديحٍ ... وحمدٍ لِلْمُهَيْمِنِ ذِي الْجَلَالِ
لِمَن فيه الكلامُ يصيرُ دُرًّا ... وفي الوجدانِ كالسِّحر الحلالِ
ومَن وهَبَ الهباتِ بلا مَلالِ ... وأعطى الأُعطياتِ على التوالي
غنيٌّ يا إلٰهِ[1] عن البرايا ... عزيزٌ ذا الجلال وذا المعالي[2]
وأنت اللهُ فوق العرش عال ... عظيمُ القَدْرِ محمودُ الفِعَالِ
مليكٌ مؤمنٌ مولى نصيرٌ ... عَلَوْتَ بِلَا شَبيهٍ أو مِثَالِ
قويٌّ واحدٌ صمَدٌ حكيمٌ ... وُصِفْتَ بكلِّ أوصافِ الكمالِ

---

(١) حُذفت ياء الإضافة في المنادى هنا، نحو يا غلامِ؛ لأن الكسرة تدل عليه، كما حذفت في المصاحف في كثير من المواضع.

(٢) ذا الجلال وذا المعالي: منادى، تقديره: يا ذا..

قـريـبٌ تـسـتـجـيـب دعـاء عـبـدٍ ... دعـاك لـكـشـفِ ضـرٍّ أو نَـوالِ[1]

عـلـيـمٌ لا يـغـيـب عـلـيـك شـيءٌ ... ولـو فـي قُـعْـرِ بـحـرٍ أو جـبـالِ

خـبـيـرٌ رازقٌ وِتْـرٌ سـمـيـعٌ ... مـحـيـطٌ بـالـخـفـيّ بـلا كَـلَالِ

حـلـيـمٌ لا تُـعـاجـلُ أخـذَ عـاصٍ ... عسى يومًا يتوب عن الضلال

كـريـمٌ مُـحـسـنٌ مُـعـطٍ جـوادٌ ... وإن أحـدٌ أتـاك فـلا يـبـالـي[2]

عـفـوٌّ شـاكـرٌ حَـيٌّ حَـفِـيٌّ ... ومَـنْ يـهْـجـرْك آلَ إلـى سَـفـالِ

لـطـيـفٌ راحـمٌ غـفّـارُ جُـرْمٍ ... لـعـبـدٍ تـاب مـن سـوء الـفـعـالِ

ودُودٌ خـالـقٌ بـرٌّ جـمـيـلٌ ... كسَوتَ الكون مِن فيضِ الجمال

فـهـذا بـعـضُ مـدحِـك يـا إلٰـهـي ... ومـدحُـك لـن يـحـيـط بـه مـقـالـي

نـظـمـتُ قـصـيـدتـي سَـهـرًا لـيـال ... ولـذَّ لـذاك هَـمِّـي واشـتـغـالـي

لـوجـهـكَ أنـت لـسـتُ أُريـدُ مـنـهـا ... بـلـوغَ وِجَـاهـةٍ أو كـسـبَ مـال

مُـعـطَّـرَةً بـريـحـانٍ نـديٍّ ... بـه أرجـو رضـاكَ وحُـسْـنَ حـالـي

وريـحـانُ الـنـبـات يـعـيـش يـومًـا ... ولـيـس يـمـوت ريـحـانُ الـمـقـال

ومـا تَـعَـبٌ لـذاتِ الله خُـسْـرٌ ... ومـا بَـذْلٌ لأجـل الله غـال

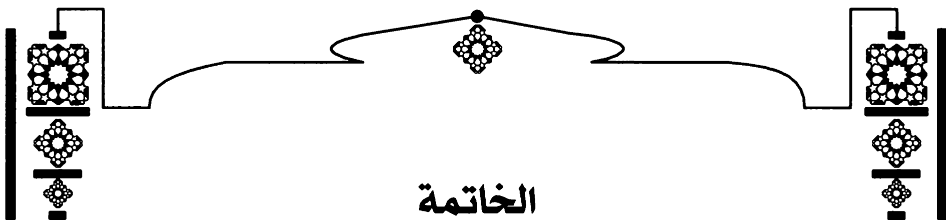
صـلاةٌ مـنـك ربّـي مـع سـلامٍ ... على المختارِ محمودِ الخصال



---

(١) النوال: العطاء، فالعبد إما أن يسأل زوال ضر، أو تحصيل نفع، من مال أو متاع ونحو ذلك.

(٢) أي: لا يبالي بمخلوق ولا هم، حيث وفد على الكريم العظيم الغني القوي ﷻ.



الخاتمة

هذا ما تيسر تقييده من الخواطر التي ألهمنيها ربي، والنَّقْل عن الأئمة الذي أعانني ربي على تدوينه، فما كان من خيرٍ من الله وحده، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله جل وعلا أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

طُبِعَ لِلْمُؤَلِّفِ

١ ـ حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ. (الطبعة الرابعة).
٢ ـ مختصر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ والْعَمَلِ.
٣ ـ إرْشادُ السَّاجِدِ بأسْبابِ الخِلَافِ والتَّقاطُعِ في الْمَسَاجِدِ.
٤ ـ الْإِفَاضَةُ في أَحْكَامِ الْحَيْضِ والنِّفَاسِ والاسْتِحَاضَةِ.
٥ ـ كَيْفَ تُرَبِّيَ أولادك؟ (الطبعة الثانية).
٦ ـ بُيُوتٌ تَئِنُّ مِنَ الْمَشاكِلِ والْخلافَاتِ، الأسْبَابُ والْعِلَاجُ.
٧ ـ حُقُوقُ الصَّدِيْقِ وكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ.
٨ ـ آدابُ طالِبِ الْعِلْمِ وسُبُلُ بِنَائِه ورُسُوخِه.
٩ ـ الحياةُ الزّوجيّةُ السّعيْدَةُ، قَوَاعِدُ وَحُقُوقٌ وَعِلاجٌ لِلْمُنغّصاتِ.
١٠ ـ عِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤَى، بَحْثٌ تَأْصيْلِيٌّ عِلْميٌّ تَطْبِيقِيّ.
١١ ـ الْمَعِيْنُ الْجَارِي في اسْتنباطِ الفَوَائِدِ واللطَائِفِ مِنْ صَحِيْحِ الْبُخَارِي.
١٢ ـ مَنْهَجُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الصَّالحِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ فَتَاوَى الْمُفْتِينِ والرَّدِّ عَلَى الْمُخْطِئِين.
١٣ ـ تَهْذِيْبُ كِتَابِ الْمُوَافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبي، مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ.
١٤ ـ مَجالسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.
١٥ ـ قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِديْن والْمُشَكِّكِيْن والْمُوسْوِسِيْن، معَ بَيَانِ طُرُقِ إقْنَاعِهم وَهِدايَتِهم.
١٦ ـ الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْويدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.
١٧ ـ عِبَاراتٌ أثَّرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ في حَيَاتِي.
١٨ ـ عَبْقريَّةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.
١٩ ـ بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.
٢٠ ـ صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).
٢١ ـ صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.
٢٢ ـ الْأُنْسُ بِاللَّه تَعَالَى.
٢٣ ـ تَقريبُ فَتَاوى ورسائل شَيْخِ الإسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.
٢٤ ـ فنُّ التَّعَامُلِ واكْتِسَابِ الْأَخْلَاقِ.
٢٥ ـ الرُّقْيَةُ الشَّرْعيَّة بين باعةِ الأوهام وأصلها الشرعيّ، قصص وعبر.
٢٦ ـ غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلَاء.
٢٧ ـ نَثْرُ الْخَوَاطِرِ.
٢٨ ـ حَدِيْقَةُ الْمُتَنَبِّي.